
سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٤)

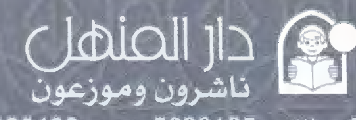
التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ العَنْكَبوتِ - نِهايَةِ سُورَةِ السَّجْدَةِ

تأليف
الدكتور صلاح الخالدي

إشراف
الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية
الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الاردن
http:\www.dmanhal.com

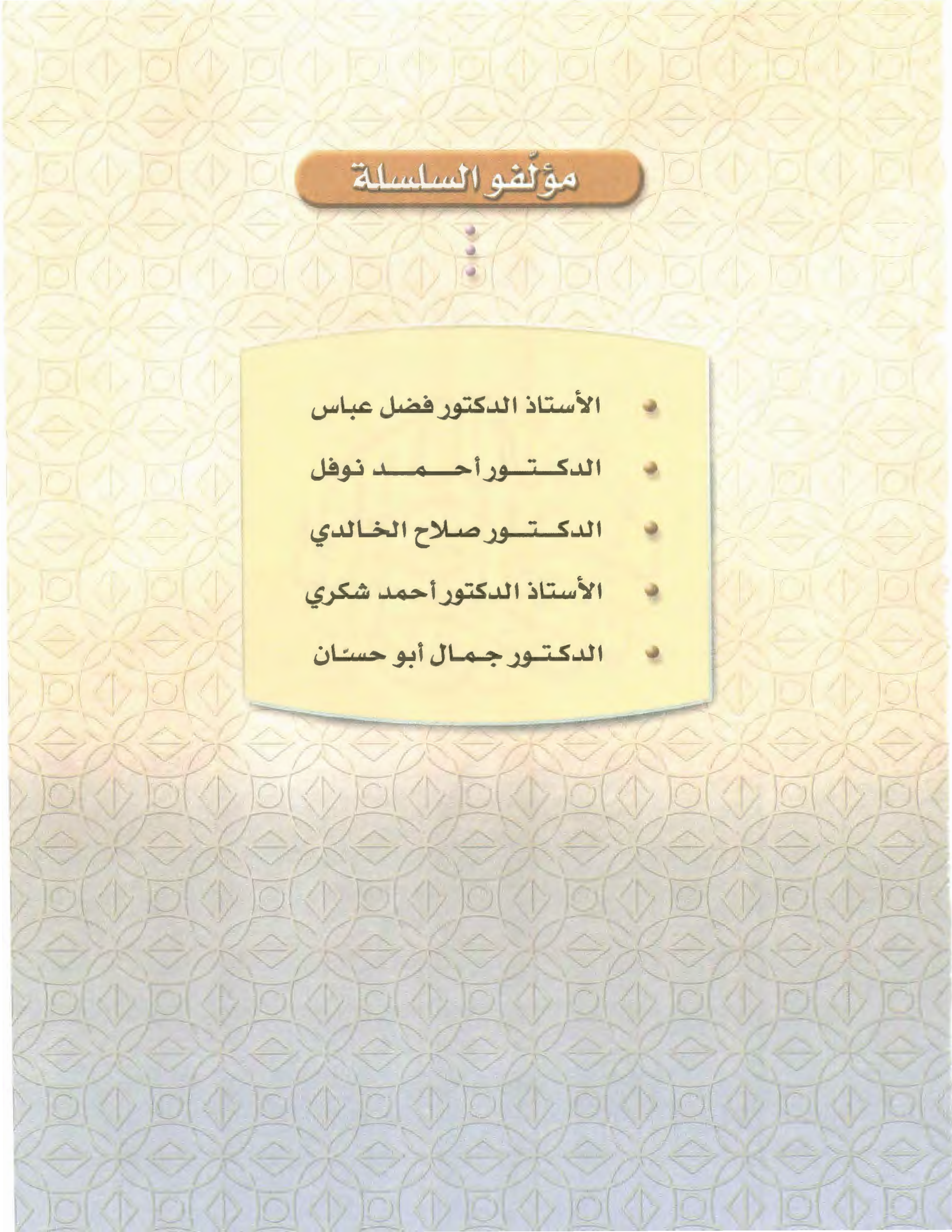
الطبعة الأولى

2005

رقم الإجازة : 2088 / 8 /2004

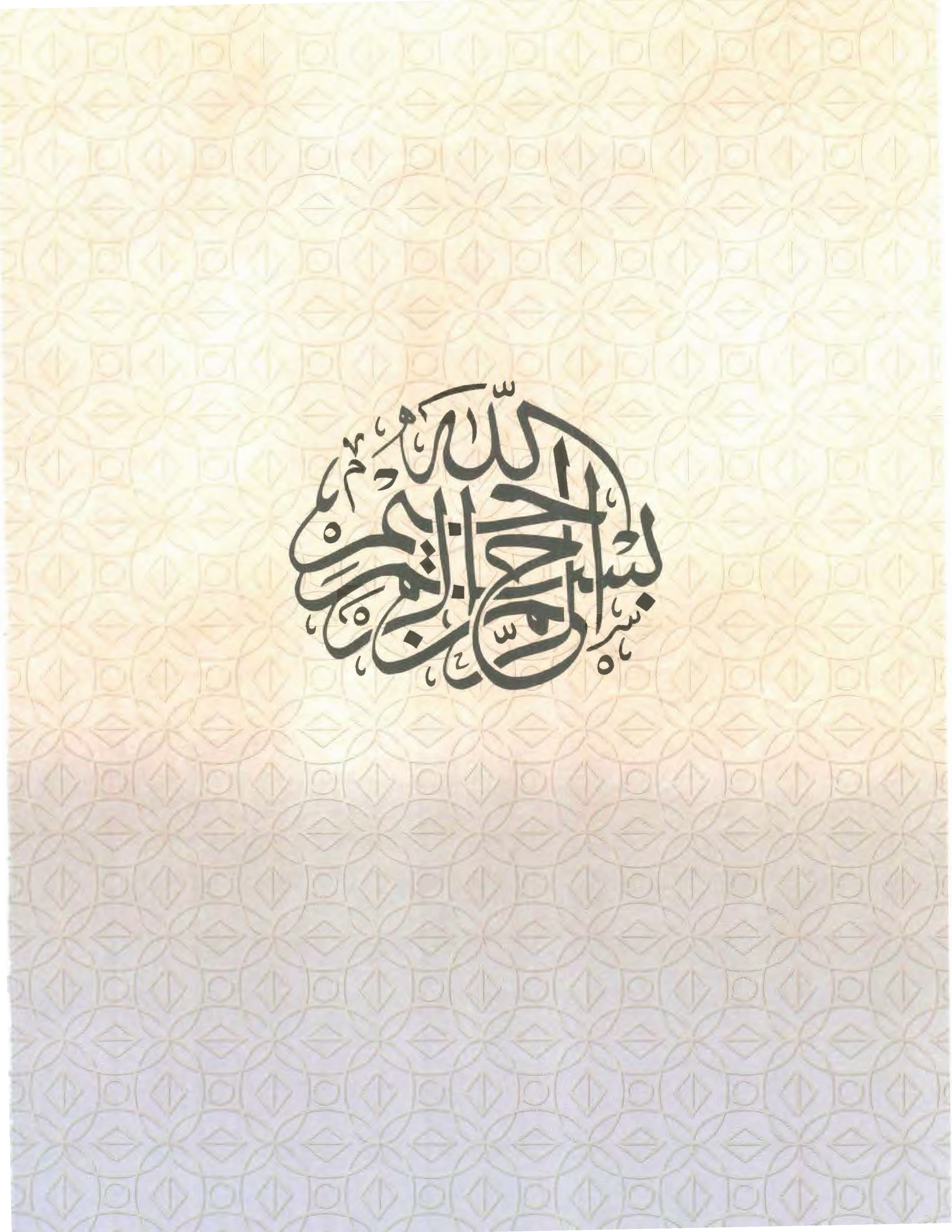
رقم الإيداع : 2195 / 9 /2004

التصنيف الدولي : 9957-08-389-9



مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

* * *



* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىء وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ وروايات أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرسُ الأول

سُورَةُ العَنْكَبُوتِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ العَنكبوتِ كلُّها مَكيَّةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذَا الاسْمِ ، لِذِكْرِ بَيْتِ العَنكبوتِ في قَوْلِهِ تعالَىٰ : ﴿وإنَّ أَوْهنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنكبوتِ﴾ .

وتَعْرِضُ السّورةُ حَقائِقَ العَقيدةِ الإسْلاميَّةِ ، كالوَحْدانيَّةِ والرِّسالَةِ ، والبَعْثِ والجزاءِ ، وتُبْطِلُ دعوىٰ الكُفّارِ وتُقَدِّمُ الأدِلَّةَ علىٰ الحَقِّ ، وتُبَيِّنُ أَهميةَ ابتلاءِ المُؤْمِنينَ واخْتبارِهِمْ ، ونَتيجةَ ذَلِكَ الابْتلاءِ ، وتُكَلِّفُ المُسْلِمينَ بِبَذلِ أَقْصىٰ جُهْدِهِمْ لِنُصْرةِ دينِهِمْ ومُواجَهةِ أعدائِهِمْ .

معاني المُفْرداتِ :

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ : هَلْ ظَنَّ ٱلنَّاسُ وَتَوقَّعوا .

لاَ يُفْتَنونَ : لاَ يُمْتَحَنونَ وَيُخْتَبَرونَ ، وَلاَ يَقعُ عَلَيْهِمُ ٱلابْتِلاءُ .

أَنْ يَسْبِقونا : أَنْ يَفُوتُونا وَيُعْجِزُونا ، فَلاَ نَقْدِرُ عَلَىٰ عِقابِهِم .

ساءَ ما يَحْكُمونَ : قَبُحَ ذَلكَ الظَّنُّ الَّذي ظَنُّوهُ .

يَرْجو لِقاءَ اللهِ : يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ وَيُحاسَبُ وَيُثابُ أَوْ يُعاقَبُ .



﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

افْتتحَ اللهُ هذهِ السورةَ بالحُروفِ المُقطَّعةِ الثَّلاثةِ « ألفْ . لامْ . ميمْ » . الّتي تُشيرُ إلىٰ مَصْدرِ القُرْآن ، وأنَّه كَلامُ اللهِ ، وفيهِ تحدّي الكُفّار ، ودَعْوَتُهُمْ إلىٰ مُعارَضةِ القُرْآنِ ، والإتْيانِ بمثلِهِ ، مَعَ أنَّهُ مُكوَّنٌ مِنْ هذهِ الأَحْرفِ العَربيّةِ ، الّتي تتكوّنُ مِنْها لُغَتُهُمْ .

ثمَّ أخْبرَ المُؤْمنينَ عَنْ فِتْنتهِمْ وامْتحانهمْ وابْتِلائهِمْ ، وقال لهُمْ : هلْ ظنَّ المُؤْمِنون أنْ يَقولوا آمنّا باللهِ ورَسوله ، ثُمَّ يُتْرَكون مِنْ دونِ ابْتلاءٍ وفِتْنة وامْتِحانٍ ؟

وهٰذا الاسْتفهامُ إنكاريٌّ ، يُنْكِرُ اللهُ علىٰ بَعْضِ المُسْلمين هٰذا الظَّنَّ ، ويُقرِّرُ لهُمْ أنَّهُ لا بدَّ مِنَ الابْتلاءِ لِلمُؤْمِنينَ علىٰ مَدار التّاريخ ، فقدِ ابتلَىٰ وامْتحنَ المُؤْمِنينَ السّابقين ، مِنَ الأَنْبياءِ وأتْباعهمْ .

والهَدَفُ مِنْ فِتْنة المُؤْمنين وابْتلائِهِمْ أنْ يكْشِفَ اللهُ عِلْمَهُ في النّاس ، فيَعْرِف المُؤْمنينَ الصّادِقين الثّابتينَ علىٰ الحقّ ، ويَعْرِف الأدْعياءَ الكاذبين ، الّذين لَمْ يثْبُتوا على الحَقّ ، وساروا مَعَ الباطِل . فلَنْ يَعْرِفَ النّاسُ هؤلاء وهؤلاءِ إلاّ بعد الابْتلاء . وعلىٰ هٰذا قولُه تعالىٰ : ﴿أمْ حسِبْتُمْ أنْ تدخلوا الجَنَّةَ ولَمّا يَعْلم اللهُ الّذين جاهدوا منكم ويعْلم الصّابرين﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾

بعدَ إخْبار المُؤْمنينَ عنْ حتْميّة الابتلاءِ ، تَنْتَقِلُ الآيةُ إلىٰ أعْدائهِمْ ، الّذين يُؤْذونهمْ ويفْتِنونَهُمْ ، وتُهدِّدُهُمْ بالعذاب ، فَهُم يظنّونَ أنّهم سيفْلِتون منَ العِقابِ ، وسيُعْجِزون الله فلا يقْدِرُ عليْهِمْ! وهٰذا مِنْ سُوءِ نظَرهِمْ وتفْكيرهم .

إنّهم لَنْ يُعجزوا اللهَ ، ولَنْ يفْلتوا مِنْ عقابه ، لأنَّ الله لا يُعْجِزُهُ شيْءٌ في الأرْضِ ولا في السّماء ، ولا يحْسبنَّ مُفْسدٌ أنَّهُ سابقٌ ناجٍ من العَذاب ، ومنْ ظنَّ هٰذا فقدْ ساء حُكْمُهُ ، وفسَد تقْديرُهُ ، فكما أنَّ ابْتلاء المُؤْمنين سُنّةٌ لا تتخلّفُ ، كذلك أخْذُ المُسيئين وعقابُهمْ سُنّةٌ لا تتبدّلُ . كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ولا يحْسَبَنَّ الّذين كفروا سبقوا . إنّهم لا يُعْجِزون﴾ [الأنفال : ٥٩] .

﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾

ابتلاءُ المُؤْمنين وعقابُ الكافرين سُنّةٌ لا تتبدّلُ ، وعلىٰ المُؤْمنِ أنْ يَتوجّهَ إلىٰ الله ويُوثّقَ صلتَه

به ، ويرجو لقاءَهُ ، فمن كان يرجو لقاءَ اللهِ يوْمَ القيامةِ ، ويطمعُ في الفوْزِ بالجنّةِ والنّعيم ، فعليْه أنْ يُخلصَ لله في الدُّنيا ، ويعمل الأعْمال الصّالحةَ ، وإنّ الله سيُحقّقُ لهُ رجاءَهُ ، ويُعطيهِ ثوابهُ غيْر منقوصٍ .

وأجلُ الله آتٍ لا محالةَ ، ويكونُ يوْمَ القيامةِ ، حيثُ يبْعثُ اللهُ النّاسَ ويُحاسِبُهُمْ ، ويُعاقِبُ العُصاةَ ، ويُثيبُ المُحْسنينَ .

واللهُ سميعٌ لكُلِّ ما يقولُهُ المخْلوقونَ ، وعليمٌ بكلّ ما يَصْدرُ عَنْهُمْ ، فيُجازيهِمْ بعَدْلِهِ ، ويُثيبُ الصّالحين برَحْمته .

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وإذْ كانَ اللهُ قدْ كلّفَ المُؤْمنين بالتّكاليفِ والمُجاهدةِ والجهادِ ، فإنّ ذلكَ لِمَصْلَحتِهِمْ ومنْفعتِهِمْ ، وهوَ لا ينْتفعُ بذلكَ سُبْحانه وتعالىٰ .

وبذلك يُخبرُنا اللهُ بأنّ منْ جاهدَ النّفس والهوىٰ والأعْداء ، فإنّ ثمرَةَ جهادِهِ تعودُ لهُ ، ونفْعَ عمَلِه لِنفسِهِ لا لِغيْره ، واللهُ غنيٌّ عنِ العالمينَ المخْلوقين جميعا ، منَ المَلائكةِ والإنْسِ والجنِّ ، وهُمْ الذين يحتاجونَ إليْه . كما قال تعالىٰ . ﴿يا أيُّها النّاسُ أنْتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ ، واللهُ هُوَ الغنيُّ الحميدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

مع أنّ الله غنيٌّ عن العالمين ، فإنّهُ لا يُضيعُ للمُؤْمنين أعْمالَهُمْ ، وإنّما يُثيبُهمْ عليْها أحْسنَ الثّوابِ ، فقدْ كانُوا في الدُّنيا حريصين على عملِ الصّالحات والإكْثار منْها ، راجينَ بذلكَ الأجْرَ من اللهِ ، وسيُكْرِمُهُمُ اللهُ يوْمَ القيامة بتكْفير سيّئاتِهمْ ، ومغْفرةِ ذُنوبهِمْ ، ومُضاعفة حسَناتِهِمْ ، الواحدة بعَشْرِ أمْثالها إلىٰ سبعمائةِ ضِعْف ، وبذلك يَجزيهِمْ علىٰ إحْسانِهِمْ إحْساناً ، لأنّ الإحْسانَ هُوَ جزاءُ الإحْسان . وعلى هذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿إنّ اللهَ لا يَظْلمُ مثْقالَ ذرّةٍ . وإنْ تكُ حسنة يُضاعِفْها ، ويُؤْتِ منْ لدُنْهُ أجْرا عظيما﴾ [النساء : ٤٠] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعِبر كثيرة منها :

١ـ ابتلاءُ المُؤْمنين وفتْنتُهُمْ وامتحانُهُمْ سُنّةٌ لا تتخلّفُ ، ولا بُدّ منْ أنْ يُواجهوا ذلكَ بالصّبر .

٢ـ منْ حكْمة الابتلاء ونتائجه أنّ اللهَ يُبيّنُ للنّاس الصّادقين الثّابتين ، والكاذبينَ الرّاسبين .

٣ـ لنْ يَفلِتَ الأَعْداءُ مِنْ عِقابِ اللهِ ، ويَنتَظِرُهُمُ العَذابُ الشَّديدُ الرَّهيبُ يَوْمَ القيامةِ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَطْمعَ في جَنَّةِ اللهِ وثَوابِهِ ، وأنْ يُخْلِصَ العَمَلَ لَهُ .

٥ـ نَفْعُ الجِهادِ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يَعودُ علىٰ صاحِبِهِ ، واللهُ غَنِيٌّ عنِ العالَمينَ ، فلا تَنْفَعُهُ طاعةٌ . ولا تَضُرُّهُ مَعْصيَةٌ .

٦ـ يُكافِئُ ويُجازِي اللهُ المُحْسِنينَ ويُجازيهِمْ بإحْسانِهِمْ ، فَيُضاعِفُ لَهُمْ حسناتِهِمْ ، ويُخَلِّدُهُمْ في الجَنَّةِ مُنَعَّمينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا حِكْمَةُ افْتِتاحِ بَعْضِ السُّورِ بالحُروفِ المُقَطَّعة ، مِثْلِ « ألِفْ ، لامْ ، ميمْ » ؟

٢ـ ما المُرادُ بِفِتْنةِ المُؤْمنينَ المَذكورةِ في الآياتِ ؟

٣ـ اسْتَخرِجْ مِنَ الآيةِ الثَّالثةِ حِكْمَتَينِ لِفِتْنةِ المُؤْمنينَ .

٤ـ كَيْفَ يَرجو المُؤْمنُ لِقاءَ اللهِ ؟ ومَا المُرادُ بأجَلِ اللهِ ؟

٥ـ يُكافِئُ اللهُ المُؤمنين بمُكافأتَينِ . اسْتَخرِجْهُما مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ ثلاثةَ نَماذجَ مِنِ ابْتِلاءِ المُسْلِمينَ المُسْتَضعَفينَ في مَكَّةَ قَبلَ الهِجْرَةِ ، وتَعذيبَ المُشْرِكينَ لهُمْ . ونَموذجاً مِنْ إيذاءِ مشركي مكَّةَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الشَّبيهةَ بهذِهِ الآيةِ (٤) مِنْ سورةِ الجنِّ .

٣ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ (٧) مِنْ سورةِ الإسْراءِ ، والآيةَ (٤٦) مِنْ سورةِ فُصِّلَتْ . واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ الآيتيْنِ وبَيْنَ هٰذه الآيةِ رقم (٦) .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

معاني المُفْرداتِ :

وَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِديْه : أَمَرْنا ٱلإنْسَانَ بالإحْسَانِ لِوالِدَيْهِ .

أُوذِيَ فِي ٱللهِ : عَذَّبَهُ الأَعْداءُ بِسَبَبِ إيمانِهِ .

جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كعَذَابِ ٱللهِ : جَعَلَ عَذابَهُمْ كَعَذابِ اللهِ .

التَّفسيرُ :

أَخْبَرَنا اللهُ فِي الآياتِ السَّابقةِ عَنِ ابْتلاءِ المُؤْمنينَ ، وعِقابِ الكافِرينَ ، ومُكَافأةِ المُحْسِنينَ ، وغِناهُ سُبْحانَهُ عَنِ العالَمين ، وانْتِفاعِ المُجاهدينَ بجهادِهِمْ .

وتَعْرِضُ هذهِ الآياتُ مَظاهِرَ وألواناً مِنْ فِتْنةِ المُؤْمنينَ ، كَفِتْنَتِهِمْ في أَهْلِهِمْ وإيذاءِ الكُفّارِ لَهُمْ ، كَمَا تَعْرِضُ سوءَ مَوْقفِ بَعْضِهِمْ مِنَ الفِتَنِ حَيْثُ لا يَثْبُتُونَ ولا يَصْبِرونَ .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّه أَمَرَ كُلَّ إنسانٍ بالبِرِّ بِوالدَيْهِ ، والإحْسانِ إلَيْهِما في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ وسُلوكِهِ ، وعَدَمِ

الإساءة لهُما أوْ إيذائِهما ، حتى لو كانا كافرِين ، ودعواه إلى الكُفْرِ ، وجاهداه على الشِّرْكِ بالله . ودفعاهُ إليه ، فلا يَجوزُ لهُ أنْ يُطيعَهُما في ذلِكَ ، لأنَّه لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في مَعصيةِ الخالقِ ، ومع ذلِكَ يَبْقى بارًّا بهِما ، ومُحسناً إليْهما ، يُصاحِبُهُما في الدُّنْيا معروفاً ، بالرَّغْم من كُفْرِهم .

ومَرْجِعُ الجَميعِ إلى اللهِ يوْمَ القيامَةِ ، مُؤْمنينَ وكافِرين ، بررَةً وعاقّين ، يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بما عَملوهُ في الدُّنْيا ، فيُثيبُ المُؤْمنَ والبارَّ بوالِدَيْهِ ، ويُعاقِبُ الكافر والعاقّ لوالِدَيْه .

سبَبُ نزولِ الآيةِ :

نزَلَتْ هذهِ الآيةُ في موْقِفِ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ مِنْ أُمِّهِ الكافِرة ، عِنْدما طَلَبَتْ منْهُ التَّخلّي عَنِ الإسْلامِ ، ولكنَّهُ أصَرَّ على مَوْقِفِه .

روى التِّرمذيُّ عَنْ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ قالَ : « قالَتْ أُمّ سَعْدٍ : أَلَيْسَ قدْ أمَرَ اللهُ بالبِرِّ ؟ واللهِ لاَ أطْعَمُ طعاماً ولاَ أشْرَبُ شراباً حتَّى أموتَ أوْ تَكْفُرَ! . فنزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ووَصَّينا الإنْسانَ بوالديه حُسْنا﴾[1] » .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

المُؤْمِنُ مَأْمورٌ ببِرِّ والديْهِ الكافرَيْنِ في الدُّنْيا ، لكنَّهُ ينْفصِلُ عنْهُما في الآخرَةِ ، حيْثُ يُدْخِلُهُما اللهُ النّارَ لكُفْرِهما ، أمّا هُوَ فإنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الجنّةَ لإيمانِهِ ، ويكونُ فيها مَعَ إخْوانِه المُؤْمنين العامِلينَ لِلصّالِحاتِ .

وقدْ وعَدَ اللهُ أنْ يَحْشُرَ المُؤْمنينَ لمُتّقين في زُمْرةِ الصّالحين ، من الأنبياءِ والأوْلياءِ ، لأنَّ المُؤْمنينَ أهْلٌ وأُخوةٌ ، ولوْ لَمْ يَجْمعْ بيْنَهُمْ نَسَبٌ ولا صِهْرٌ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

إذَا كانَ المُؤْمنون الصّالِحون يَثْبُتون عِنْدَ الفِتَنِ والابْتِلاءِ فَهُناكَ فريقٌ مِنَ النّاسِ لَيْسوا كذلِكَ ، إنَّهُمْ يُظهِرون الإيمانَ ويَقولونَ آمَنّا باللهِ ، لكنّ الإيمانَ لَمْ يَدْخُلْ قلوبَهُمْ ، ولِذلك لا يَثْبُتونَ عِنْدَ المِحْنَةِ ، فإذا آذاهُمُ المُشْركون وعذَّبوهُمْ ؛ بِسَبَبِ إيمانِهم باللهِ ، لم يَثْبُتوا على الإيمانِ ، ولَمْ يَتحمَّلوا الأذَى ، ويَسْهُلُ عليْهِمْ التّخلي عَنِ الإيمانِ ، ويعتبرون فتنةَ الكفّارِ وأذاهُمْ مُساوِيا لِعَذابِ اللهِ ، ويدّعون أنّهُمْ يَتحَمَّلون عَذابَ اللهِ في الآخرَةِ ، ولا يَتحمّلون أذى النّاسِ في الدُّنْيا .

(١) سنن الترمذي : ٤٨ كتاب تفسير القرآن . ٣٠ باب ومن سورة العنكبوت ، حديث رقم : ٣١٨٩

وهؤلاءِ الّذينَ لا يثبتونَ علىٰ الإيمانِ عِنْدَ الفتْنةِ يتّبِعونَ مصلحتَهمْ ومنفعتَهمْ ، فإذا نصرَ اللهُ المُؤْمنينَ ، وآتاهُمْ خيْراً كثيراً ، يَجيءُ هؤلاءِ النفعيّونَ رَغْبةً في ذلكَ ، ويقولونَ للْمُؤْمنينَ : إنّا إخوانُكُمْ ، ومؤمنونَ مثْلُكُمْ ، وكنّا معَكُمْ ، فَشاركونا في الخيْرِ .

وقدْ توعّدَ اللهُ هؤلاءِ النّفعيّينَ بأنّه يعْلمُ كلَّ شيْءٍ عنْهُمْ ، ولا يَخْفىٰ عليْهِ ما يُخفونَهُ ، لأنّهُ يعْلَمُ ما في صُدورِ العالمينَ جميعاً ، منْ خيْرٍ أوْ شرٍّ .

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

يَبْتلي اللهُ الّذينَ يُظهِرونَ الإيمانَ ، ويُعرِّضُهُمْ للفِتْنةِ والاخْتِبارِ . لأنَّ هذهِ هِيَ سُنّتُهُ الّتي لا تَتبدّلُ ، فهْوَ سُبْحانَهُ يَبْتلي عِبادَهُ المُؤْمنينَ بالسَّرّاءِ والضَّراءِ ، ليَتميّزَ المُؤْمنونَ منَ المُنافقينَ ، لأنَّ نتيجةَ الابْتلاءِ أنْ يُعْرفَ المُؤْمنونَ الصّادقونَ الثّابتونَ علىٰ الإيمانِ ، ويُعْرفَ المُنافِقونَ ، الّذينَ لَمْ يدْخلِ الإيمانُ قُلوبَهُمْ ، ولِذلكَ تخلّوْا عنْهُ عِنْدَ الفِتْنةِ .

وإنَّ اللهَ يَعْلَمُ المُؤْمنينَ ويَعْلمُ المُنافِقينَ قَبْلَ الابْتلاءِ ، لكنّه يُظهِرُ عِلْمه للنّاسِ بتَمْييزِهِمْ وكشْفِهِمْ . وعلىٰ هٰذا قولُه تعالىٰ : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتّى نَعْلمَ المُجاهِدينَ والصّابِرينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ﴾ [محمد : ٣١] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وجوبُ برِّ الوالديْنِ والإحسانِ إليْهِما ، حتّىٰ لو كانا كافريْنِ .

٢ـ لا طاعةَ لِمَخلوقٍ في مَعْصيةِ الخالقِ ، ولاَ يجوزُ تلْبيةُ دَعْوةِ الأبويْنِ للكُفرِ أوِ المَعاصي .

٣ـ تزولُ رَوابطُ الدَّمِ والقَرابةِ يوْمَ القيامةِ ، وتَبْقَىٰ رابطةُ الإيمانِ والعَقيدةِ .

٤ـ المُؤْمنُ الصّادقُ يَثْبُتُ علىٰ الحقِّ عِنْدَما يُؤْذىٰ بسَببِ إيمانهِ .

٥ـ المُنافقونَ نَفْعيّونَ يتودّدونَ للْمُؤْمنينَ عِنْدَ النّصْرِ والخيرِ طمعاً في ما عِنْدَهُمْ .

٦ـ منْ فوائدِ الابتلاءِ تمييزُ المُؤْمنينَ عنِ المُنافقينَ ، وكَشْفُ المُنافقينَ للنّاسِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الأُولَىٰ الآمرةِ بالبرِّ بالوالدَيْنِ .

٢ـ اذكرْ آيتينِ وحَديثاً فِي وجُوبِ البرِّ بالوالدَيْنِ .

٣ـ لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ فِي مَعْصيةِ الخالِقِ ؛ اشْرَحْ هذهِ العبارةَ ، واسْتَدِلَّ عَلَيْها منْ آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ ما مَوْقفُ المُنافِقينَ مِنَ الإِسلامِ إِذَا أُوذوا بِسَبَبِ إيمانِهِمُ الظَّاهِرِيِّ ؟

٥ـ مَا مَوْقِفُ المُنافِقينَ مِنَ المُسْلمينَ عِنْدَما يَنْصُرُهمُ اللهُ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ ابْتلاءَ المُسْلمينَ وامْتِحانَهُمْ .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلِ الآيتيْنِ الآمِرَتَيْنِ بالإحْسانِ إلىٰ الوالِدَيْنِ ، وعَدَمِ قَوْلِ « أُفٍّ » لهُما ، في سورةِ الإِسْراءِ ، ثمَّ سجِّلْ وَجْهَ الشَبَهِ بَيْنهُما وبَيْنَ الآيةِ الثامنةِ .

٢ـ سَجِّلِ الآيةَ الّتِي تَتحدَّثُ عَنْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ علىٰ حَرْفٍ مِنْ سورةِ الحَجِّ ، واسْتَخْرِجْ منها مَوْقِفَ ذلكَ العابدِ مِنَ الخَيْرِ والفِتْنةِ ، وَوَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ العاشرةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

معاني المُفْرَداتِ :

ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا : كونوا عَلَىٰ دِينِنَا .

وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ : وَلنَتَحَمَّلْ تَبِعَةَ ذُنوبِكُمْ .

أَثْقالَهُمْ : ذُنُوبَهُمْ وَمَعاصِيهِمْ .

يَفْتَرُونَ : يَكْذِبونَ .

أَخَذَهُمُ ٱلطُّوفانُ : أَغْرَقَهُمُ اللهُ بالطُّوفانِ .

التَّفْسيرُ :

كانَ الكَلامُ فِي الآياتِ السَّابِقَةِ عَنْ أَلْوانٍ مِنْ فتنةِ المُسْلِمينَ ، فِتْنةِ الواحِدِ مِنْهُم فِي أَبوَيْهِ الكَافِرَيْنِ ، وتخلِّي ضِعافِ الإيمانِ عَنِ الحَقِّ في حالِ فِتْنَتِهِمْ وإيذائِهِمْ .

وتَتَكَلَّمُ هٰذه الآياتُ عَنْ فِتنةٍ جَديدةٍ ، تَتمَثَّلُ في إغراءِ الكُفّارِ لِلمُؤْمنينَ ، بِدعوتِهِمْ لِلتَخلّي عن الإيمانِ ، وعِقابِ اللهِ لِلكُفّارِ . وتَعْرِضُ نَموذَجاً لِذَلكَ مِنَ السَّابقينَ ، وهُوَ ما جَرىٰ لِقومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٢) ﴾ .

عِنْدمَا يدعو المُؤْمنونَ الكُفَّارَ للدُّخولِ في الإسلام يَرْفضونَ ذَلِكَ ، ويُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ ، ولا يَكْتفونَ بذلِكَ ، وإنَّما يُحاولونَ فِتْنَةَ المُسْلِمينَ وردَّتَهُمْ عَنْ دينِهِمْ ، حَيْثُ يَطْلُبونَ منْهُمْ مُتابَعتَهُمْ علىٰ كُفرِهِمْ ، ويُغْرونَهُمْ بذلِكَ قائِلينَ : ارجعوا عَنْ دينِكُم إلىٰ دينِنا ، وَسيرُوا مَعَنا فِي طريقِنا ، وإنِ ارْتكبتُمْ ذُنوباً ومَعاصِيَ وآثاماً فإنَّنا نَتحمَّلُها عَنْكُمْ ، ونَرْضَىٰ أنْ نُعاقَبَ عليْها بَدَلاً مِنْكُمْ!

وهذهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الكُفَّارِ تَدلُّ علَىٰ خطأِ نَظْرَتِهِمْ وفَسادِها لِلْمَسْؤُولِيَّةِ والتَّبَعةِ والجَزاءِ ، مَعَ أنَّهُمْ قالوا ذَلِكَ لِلْمُسْلمين مِنْ بابِ السُّخْرِيةِ والاسْتهزاءِ بهِمْ ، لأنَّهُمْ لا يُؤْمِنونَ بالحِسابِ والعَذابِ .

وردَّ اللهُ عَلَيْهِم رَدًّا حاسِماً ، حَيْثُ بيَّنَ أنَّهُمْ لا يَحْمِلُونَ شَيْئاً مِنْ ذُنوبِ غَيْرِهِمْ ، لأنَّ كُلَّ إنْسانٍ يَتَحَمَّلُ مَسْؤوليةَ عَمَلِهِ ، ولا يَحْمِلُ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، حتّىٰ لوْ كَانَ أقْرَبَ النَّاسِ إِليْهِ .

وعلىٰ هذا قولُه تعالَىٰ : ﴿ولا تَزِرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أُخْرى ، وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيءٌ ولو كانَ ذا قُرْبى﴾ [فاطر : ١٨] .

وبِمَا أنَّ الكافِرينَ لا يَحْمِلُونَ خَطَايا المُسْلِمين فَهُمْ كاذِبونَ فِي ادعائِهِمْ بِحَمْلِ ذُنوبِ المُسلمين إنْ تخلَّوْا عَنْ إسلامِهِمْ .

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾ .

الكفّارُ لا يَحْمِلونَ خَطايا المُسْلِمينَ كمَا زَعَموا ، وإنَّما يَحْمِلونَ ذُنوبَهُمْ ، ويَتحمَّلونَ نَتائِجَ خَطاياهُمْ ، فَيُحاسِبُهُمُ اللهُ عَلَيْها ، ويُعَذِّبُهُمْ فِي النَّارِ ، كَمَا يُحَاسِبُهُمْ ويُعَذِّبُهُم علىٰ افْتراءاتِهِمْ وأكاذِيبِهِم ومَزاعِمِهِمْ .

وبِمَا أنَّ الكُفَّارَ دُعاةُ ضَلالٍ ، يَحْرِصُونَ علىٰ إضْلالِ الآخَرين ، فإنَّهُمْ يَتحمَّلونَ نَتائِجَ الّذين يُضلِّونَهُمْ ، ويُحَمِّلُهُمُ اللهُ أثْقالَ أُولئِكَ الضالّين ، ويُعذِّبُهمْ عَلَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ أنْ يَعْفِيَ الضَّالِّينَ مِنْ نتائِجِ ضَلالِهِمْ واسْتجابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ أئِمَةِ الضَّلالِ .

وهذهِ هيَ سُنَّةُ اللهِ ، المُتَّفِقةُ مَعَ عَدْلِه سُبحانَه ، فَمَنْ دَعا إلىٰ هُدىً ورَشادٍ ، فإنَّ اللهَ يُعطيهِ مِثْلَ أجْرِ مَنْ اهْتدَىٰ علىٰ يَدَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ أنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئاً ، ومَنْ دعا إلىٰ ضَلالٍ ، فإنَّ اللهَ يُحاسِبُه علىٰ آثام كُلِّ مَنْ ضَلَّ علىٰ يَدَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ أنْ يُنقِصَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً .

ويُؤكِّدُ هٰذا المَعنىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ فَقَدْ روَىٰ مُسْلمٌ عَنْ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ عنْ

رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ سَنَّ فِي الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فلهُ أجْرُها وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجورِهم شَيْءٌ ، ومَنْ سَنَّ فِي الإسْلامِ سُنَّةً سيِّئةً كانَ عَلَيْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها بَعْدَهُ ، مِنْ غيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزارِهِمْ شَيْءٌ »[1] .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

رَفَضَ الكُفَّارُ دَعْوَةَ المُؤْمِنينَ للإيمانِ ، وتَوَعَّدَهُمُ اللهُ بالعَذابِ ، ولَيْسوا وَحْدَهم في هٰذا ، فَقَدْ سَبَقَهُمْ كُفَّارٌ كثيرونَ ، رَفضوا الحَقَّ ، وكَذَّبوا بالرُّسُلِ ، فاسْتَحَقُّوا عذابَ اللهِ .

وفِي مُقَدِّمةِ هؤلاءِ قَوْمُ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الذينَ كانوا أَوَّلَ قَوْمٍ يَكْفرونَ في التَّاريخِ ، فَقَدْ كَفروا باللهِ وعَبَدوا الأصْنامَ والأوْثانَ ، فَبَعثَ اللهُ لهُمْ نَبِيَّهمْ نُوحاً ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وأمَرَهُ أنْ يَدْعوَهُمْ إلىٰ الإيمانِ ويَنْهاهُمْ عَنِ الكُفْرِ .

قامَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِدَعْوتِهِمْ ، وسَلَكَ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الأَساليبِ باللَّيلِ والنَّهارِ ، والجَهْرِ والإسْرارِ ، ونَهاهُمْ عَنْ عِبادةِ الأصْنامِ .

وقدْ أقامَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بَيْنَهم تِسعمائةٍ وخَمسينَ عاماً ، يَدعوهُمْ ويَنْصَحُهُمْ ويُجادِلُهُمْ ، ولَمْ يُصَبْ بالمَلَلِ أوِ اليَأْسِ ، ولَكنَّهُمْ أصَرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، ولمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ إلاّ عَدَدٌ قَليلٌ مِنْهُمْ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عِقابَه ، حَيْثُ جاءَ بالطُّوفانِ الكَبيرِ عَلَيهِمْ ، فأَخَذَهُمْ وأَغْرَقَهُمْ ، بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ .

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

لمَّا جاءَ اللهُ بالطُّوفانِ لمْ يُهْلِكْ بهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرونَ ، أمَّا نوحٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وأتْباعُهُ المُؤْمِنونَ القَلائِلُ فَقَدْ أَنْجاهُمُ اللهُ ، حَيْثُ أمَرَ اللهُ نوحاً ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَصْنَعَ السَّفينةَ ، ولمَّا بَدأَ الطُّوفانُ أَمَرَهُ أنْ يَحْمِلَ فيهَا أَتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ، وبَعْدَ انْتهاءِ الطّوفانِ هَبطوا بِسَلامٍ ، واسْتُؤْنِفَتِ الحَياةُ مِنْ جَديدٍ مَعَ الفِئَةِ المُؤْمِنةِ ، بَعْدَ أنْ أراحَ اللهُ الأَرْضَ مِنَ الكافِرينَ .

وجَعَلَ اللهُ السَّفينةَ ونَجاةَ المُؤْمِنينَ فيهَا آيَةً وعِبْرَةً وعِظَةً لِلناسِ . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّا لمَّا طَغى المَاءُ حَمَلناكُمْ في الجاريةِ . لِنَجْعَلَها لَكُمْ تذكرَةً وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١١ـ١٢] .

---

(١) صحيح مسلم (١٢) كتاب الزكاة (٢٠) باب الحث على الصدقة . حديث رقم : ١٠١٧ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَحْرِصُ الكُفَّارُ على فِتْنةِ المُسْلِمينَ عَنْ دينِهِمْ بِمُخْتَلَفِ الأَساليبِ .

٢ـ كلُّ إنْسانٍ يَتحمَّلُ نَتائِجَ عَملِه يَوْمَ القيامةِ ، ولا يَحْمِلُ أَحدٌ ذَنْبَ آخرَ وَوِزْرَهُ .

٣ـ دُعاةُ الكُفْرِ والضَّلالِ يُحاسَبونَ على مَنْ أضلُّوهُمْ ، ويَحْمِلونَ أثْقالَهُمْ ، مِنْ غَيْرِ نُقْصانٍ لأوزارِ الضَّالِّينَ .

٤ـ على الدَّاعِيةِ أنْ لا يَمَلَّ مِنَ المَدْعوِّينَ ولا يَتوقَّفَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ ، ويَقتدِي بنوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي بَقِيَ يَدْعو قَوْمَه ألْفَ سَنةٍ إلاّ خَمْسينَ عاماً .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا دَعا الكُفَّارُ المُؤْمِنينَ لاتِّباعِ سَبيلِهِمْ ؟ ومَا الّذي تَعَهَّدوا بهِ ؟

٢ـ متَىٰ يَحْمِلُ الكافِرُ ذَنْبَ غَيْرِه يَوْمَ القيامةِ ؟ ومَا دَليلُكَ على ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٣ـ حدِّدِ المُدَّةَ الّتي مَكَثَها نوحٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ يَدعو قَوْمَهُ .

٤ـ أـ بِماذا أهْلَكَ اللهُ قَوْمَ نوحٍ الكافِرينَ ؟ ب ـ وبِماذا أنجَىٰ أَتْباعَهُ المُؤْمنينَ ؟ ج ـ وكَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ آيةً ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ النَّحْلِ تُقرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ يَحْمِلُون أَوْزارَ مَنْ يُضلُّونَهُمْ إضافةً إلى أَوْزارِهِمْ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ الثالثةَ عشرةَ .

٢ـ اقْرَأْ سورةَ نوحٍ واسْتَخْرِجْ مِنْهَا أَساليبَهُ فِي الدَّعْوَةِ ، وأَسْماءَ الأَصْنامِ الّتي كانَ يَعْبُدُها قَوْمُهُ واكْتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابعُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

معاني المُفْرَداتِ :

أَوْثاناً : جَمْعُ وَثَنٍ . وَهُوَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ ٱللهِ ، وَكانَ عَلَىٰ شَكْلِ حَجَرٍ .

تَخْلُقونَ إِفْكاً : تَقولونَ كَذِباً فِي تَسْمِيَةِ الأَوْثانِ آلِهَةً .

ٱبْتَغوا عِنْدَ ٱللهِ الرِّزْقَ : ٱطْلُبوا الرِّزْقَ مِنَ ٱللهِ .

يُبْدِءُ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : يَخْلُقُ ٱللهُ النَّاسَ ابْتِداءً ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِلَىٰ الحَياةِ بَعْدَ المَوْتِ .

ٱللهُ يُنشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ : يُعِيدُ ٱللهُ الخَلْقَ لِلحَياةِ مَرَّةً ثانِيَةً يَوْمَ القِيامَةِ .

إِلَيْهِ تُقْلَبونَ : تُرَدُّونَ وَتُرْجَعونَ إِلَىٰ ٱللهِ .

التفسيرُ :

أَشارتِ الآياتُ السَّابقةُ إِلىٰ قِصّةَ نوحٍ - عليْهِ السَّلامُ - معَ قَوْمِهِ .

وَتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ إِبْراهيمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - أَبِي الأَنْبِياءِ ، وتَعْرِضُ الأدِلَّةَ الّتِي قَدّمَها

لِقَوْمِهِ ، والحُجَّةَ الّتي أقامَها عليْهِمْ .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أرْسَلَ اللهُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً إلىٰ قَوْمِهِ ، فدَعاهُمْ إلىٰ اللهِ ، وأقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، وقالَ لهُمْ : اعبُدُوا اللهَ وحْدَه لا شريكَ لَهُ ، وأَخْلِصوا لَهُ ، واتَّقُوه حَقَّ التَّقوىٰ ، بأداءِ ما أوجبَ عَلَيْكُمْ ، وتَرْكِ ما حَرَّمَ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ .

وأخْبَرَهُمْ أنَّ عِبادَةَ اللهِ وَحْدَهُ وتَقْواه خَيْرٌ لَهُمْ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، لأنَّهم يَعيشونَ في الدُّنْيا حَياةً طَيِّبةً ، ويَنْجون فِي الآخِرَةِ مِنَ النّارِ ، ويَدْخُلونَ الجَنَّةَ . ولَوْ كانوا يَعْلَمونَ هٰذا لاسْتَجابُوا لِدَعوتِه .

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يُتابِعُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَعْوَتَه لِقَوْمِهِ ، ويَدعُوهُمْ إلىٰ عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَغَيْرُهُ سُبْحانَهُ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، وإذا عَبدوا غَيْرَهُ يَكونونَ مُخْطئينَ :

ـ قالَ لهم : إنَّ الآلِهَةَ الّتي تَعْبُدُونَها مِنْ دونِ اللهِ ما هِيَ إلاّ أَوْثانٌ ، أَنتُمْ صَنَعْتُموها مِنْ أَحْجارٍ أَوْ غَيْرِها بِأَيْديكُمْ ، وهِيَ جَماداتٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، وأَنتُمْ كَذَبْتُمْ عِنْدَما اختلقتُمْ لها أَسْماءَ ، واعْتَبَرْتُموها آلِهَةً ، وهٰذا باطِلٌ وَزورٌ .

ـ وَقالَ لهُم : هٰذه الآلِهَةُ الّتي تَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ عاجِزَةٌ ، لا تَقْدِرُ أَنْ تَجْلِبَ لَكُمْ رِزْقاً أَوْ مالاً أَوْ خَيْراً ؛ فَكَيْفَ تَعْبُدونَ الآلِهَة العاجِزَةَ وتَتْرُكونَ عِبادَةَ اللهِ القادِرِ على كُلِّ شَيْءٍ ؟ وعَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبوا الرِّزْقَ عِنْدَ اللهِ ، لأنَّه وَحْدَهُ القادِرُ علىٰ مَنْحِكُمْ إيّاهُ . وعَلَيْكُمْ أَنْ تَشْكُروه علىٰ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ ، وعندَما تَشْكرونَهُ يَزيدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ وفَضْلِهِ .

ويَوْمَ القيامةِ تُرْجَعونَ إلىٰ اللهِ ، فَيُحاسِبُكُمْ علىٰ أعمالِكُمْ ، ولا بُدَّ مِنْ أَنْ تَسْتَعِدُّوا لِذَلِكَ بِعِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وشُكْرِهِ علىٰ فَضْلِهِ .

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

انْتَقَلَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِقَوْمِهِ مِنَ الحَديثِ عَنِ الوَحْدانيَّةِ إلىٰ الحَديثِ عنِ الرِّسالَةِ ، لأنَّه هُوَ رَسولُ اللهُ إلَيْهِمْ ، مُكَلَّفٌ بإبْلاغِهِمُ الدَّعْوَةَ ، فقالَ لَهُمْ : إذا كَذَّبْتُموني فِي رِسالَتِي ، وَرَفَضْتُم دَعْوَتِي ، فإنَّكُمْ لَنْ تَضُرُّوني بذَلِكَ ، إنَّما تضرُّونَ أَنْفُسَكُمْ ، لأنَّكُمْ تُعَرِّضُونَ بذلك أَنْفُسَكُمْ لِلْعَذابِ . ولَسْتُم أوَّلَ قَوْمٍ كذَّبوا رَسولَهُمْ ، فَقَدْ كَذَّبَ أَقْوامٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رُسُلَهُمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ .

والواجبُ عَليَّ دَعْوَتُكم إلىٰ اللهِ ، وتَبْليغُكُمُ الحَقَّ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عليْكُمْ ، فإنْ آمنْتُمْ فُزْتُمْ ، وإنْ كَفَرْتُمْ خَسِرْتُمْ ، لأنَّ الرُّسُلَ مأمورونَ فقَطْ بالبَلاغِ المُبينِ الواضِحِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ .

بعدَما أقامَ إبْراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ الأدِلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ وَصِدْقِ الرِّسالَةِ ، أَقامَ الأدِلَّةَ علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّ قَوْمَه كانوا يُنكِرونَ مَجيئَهُ .

هٰذا الدّليلُ هُوَ أنْ يَنْظُروا كَيْفَ يُبدىءُ اللهُ الخَلْقَ ، وهُوَ أَمْرٌ مُشاهَدٌ أمامَهُمْ . فاللهُ خَلَقَهُمْ مِنَ العَدَمِ ، وخَلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَلِماذا لا يُفكِّرونَ فِي هٰذا الدَّليلِ ؟ ولِماذا لا يَتَّخذُونَهُ دَليلاً صادِقاً علىٰ قُدْرةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ علىٰ العَرْضِ ، وإحياءِ النّاسِ بَعْدَ موتِهِمْ .

إنَّ اللهَ هُوَ الّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ أوَّلَ مَرَّةٍ ، وهٰذا دَليلُ قُدْرتِهِ سُبْحانَهُ ، وهٰذا يعنِي قُدْرَتَهُ علىٰ إعادةِ الخَلْقِ ثانِيَةً ، عِنْدَما يَبْعَثُ الناسَ يَوْمَ القيامةِ ، فالبَدْءُ يَدُلُّ علىٰ الإعادَةِ . والأَمْرانِ يَسيرانِ علىٰ اللهِ ، لأنَّهُ لا يُعْجِزُهُ أيُّ شَيْءٍ ، وهُوَ فَعَّالٌ لما يُريدُ .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ دَعا إبْراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَه إلىٰ تَوْظيفِ الخَلْقِ دَليلاً علىٰ الإعادَةِ والبَعْثِ ، طَلَبَ مِنْهُمْ أنْ يَسيروا في الأَرْضِ لِرُؤْيَةِ ذَلِكَ ، فقالَ لهُمْ : أيُّها المُنْكِرونَ لِلبَعْثِ ، سيروا فِي الأرْضِ ، وانْظُروا إلىٰ ما تُشاهِدونَ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، ولاحِظوا كَيْفَ بَدَأَ اللهُ خَلْقَها وإنْشاءَها ، كالسَّماءِ وما فيها مِنْ كَواكِبَ ، والأرْضِ ومَا فيها مِنْ جِبالٍ وأشْجارٍ وأنْهارٍ ، والمَخْلوقاتِ الحَيَّةِ مِنْ حَيواناتٍ وطُيورٍ .

إنَّ اللهَ الّذي خَلَقَ هَذهِ المَخْلوقاتِ قادِرٌ علىٰ أنْ يُنْشِىءَ النَّشأةَ الآخِرَةَ ، وأنْ يُعيدَ المَخْلوقينَ لِلحياةِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وهُوَ سُبْحانَه علَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ .

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يُنشِىءُ اللهُ النّشأةَ الآخِرَةَ ، ويَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ مِنْ قُبورِهِمْ لِلْحِساب ، حَيْثُ يُحاسِبُهُمْ على كُلِّ ما عَمِلوهُ فِي الدّنْيا ، وهوَ الحاكِمُ المُتَصَرِّفُ فيهِمْ ، ويَرْحَمُ عِبادَهُ الصَّالِحينَ بِرَحْمتِهِ ، ويُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ .

فالنَّاسُ جَميعاً يُقْلَبونَ إلىٰ اللهِ ، ويَرْجِعونَ إِلَيْهِ ، مَهْمَا طالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فِي قُبورِهِمْ ، لأَنَّ الدُّنْيا إلىٰ زوالٍ ، والآخِرَةُ آتيةٌ لا رَيْبَ فِيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ دَعْوَةُ الرُّسُلِ واحِدَةٌ ، فكلُّهُمْ يدعو إلى تَوْحيدِ اللهِ ، وعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٢ـ علىٰ الدّاعِيَةِ أنْ يَسْتَمِرَّ في تَذْكيرِ قَوْمِه ، ودَعْوَتِهِمْ إلىٰ عِبادَةِ اللهِ وتَقْواهُ ، ولوْ لمْ يَستجيبوا لَهُ .

٣ـ لا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ الْعِبادةَ إلاّ اللهُ ، لأنَّه هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ القادِرُ ، وعِبادَةُ غَيْرِه باطِلَةٌ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَطْلُبَ الرِّزْقَ مِن اللهِ وَحْدَهُ ، لأنَّ غَيْرَهُ عاجِزٌ عَنْ مَنْحِه لَهُ ، وعَلَيْهِ أنْ يَشْكُرَه علىٰ نِعَمِه .

٥ـ مِنَ الأساليبِ النّاجِحَةِ في الدَّعْوَةِ اسْتِخْدامُ الأدِلَّةِ المُشاهَدَةِ ممّا حَوْلَ النّاسِ مِنْ آياتٍ ، في النّفسِ والآفاقِ .

٦ـ وُجوبُ السَّيْرِ في الأَرْضِ لِلنَّظَرِ والاعْتِبارِ ، وتَوْظيفِ ما يُشاهِدُهُ لِتَقْوِيَةِ إيمانِهِ والتزامِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ السّابعةَ عَشْرَةَ الدَّليلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدَّمَهُما إبراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلْوَحدانيّةِ .

٢ـ مَا الواجِبُ علىٰ الرَّسولِ بالنِّسبةِ لِلْمَدْعُوِّينَ ؟ ومَاذا يَتَرَتَّبُ علىٰ تَكْذيبِ المَدْعُوِّينَ لَهُ ؟

٣ـ مَا معنىٰ قولِه ﴿يُبْدِىءُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ﴾ ؟ وكَيْفَ تَسْتَخْرِجُ مِنْهُ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

٤ـ ماذا عَنِ السَّيْرِ في الأرْضِ ، والنَّظَرِ في الآياتِ المَوْجودةِ فيها ؟

٥ـ اذْكُرْ معنىٰ كلٍّ مِنْ : وَإليْهِ تُقْلَبُونَ . يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرةَ . تَعْبُدونَ أَوْثاناً وتَخْلُقونَ إفْكاً .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَقْوامٍ قبْلَ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي القُرْآنِ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ آيَةً مِنْ سورةِ الرُّومِ تَعْتَبِرُ الإعادَةَ أَهْونَ مِنَ البَدْءِ ، وآيَةً مِنْ سورةِ يس تُقَرِّرُ قُدْرَةَ اللهِ علىٰ إحْياءِ العِظامِ وهِيَ رَميمٌ ، لأَنَّهُ خَلَقَها أوَّلَ مَرَّةٍ ، وبَيِّنِ الدَّلالَةَ مِنْهُما .

الدَّرسُ الخامِسُ

سورةُ العنكبوتِ - القِسمُ الخامِسُ

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** : إنَّكُمْ لا تَجْعَلون ٱللهَ عاجزاً عَنْكُمْ .
- **يَئِسوا مِن رَّحْمَتي** : أَيْقنوا أَنَّهُمْ لا يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَةَ ٱللهِ لِكُفْرِهِمْ .
- **مَوَدَّةَ بَيْنِكُم** : لإيجادِ ٱلمَحَبَّةِ بَيْنَكُمْ .
- **قالَ إِنّي مُهاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي** : أَعْلَنَ إِبْراهِيمُ ٱلهِجْرَةَ مِنْ أَرْضِ ٱلعِراقِ إِلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ دَعْوَةِ إبْراهيمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - لِقومِهِ ، حَيْثُ قَدَّمَ لَهُمُ الأَدِلَّةَ على الوَحْدانيَّةِ والبَعْثِ ، وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ رَفْضِ القَوْمِ لِدَعْوَتِهِ ، وعَزْمِهِمْ على إحْراقِهِ بالنَّارِ ، وإنْجاءِ اللهِ لَهُ مِنْها ، وهِجْرَتِهِ مِنَ العراقِ إلىٰ فِلَسْطينَ مَعَ لوطٍ - عَلَيْهِما السَّلامُ - .

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يُقرِّرُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ حقيقة قاطعة ، وهيَ أنَّه لا يسْتطيعُ مخلوقٌ في السّمواتِ والأَرْضِ أنْ يَجْعلَ الله عاجزا عنْهُ ، ولا يَقْدرُ علىٰ الهرَب منْ قَضائه ، لأنَّ اللهَ القويَّ القادر هُو القاهِرُ فوْقَ عِبادِهِ ، والحاكِمْ فيهِمْ بأمْرِهِ ، وهُمْ خاصعون مُنْقادون مُسْتسْلِمونَ لَهُ .

واللهُ هُوَ الوَليُّ الّذي يَتولّىٰ عِبادَهُ ويَحْفظُهُمْ ويَرْعاهُمْ . لاَ وليَّ لَهُمْ مِنْ دونِهِ ، وهُوَ المُعينُ النَّاصِرُ لهُمْ ، لاَ ناصِرَ ولا مُعينَ لهُمْ غيْرُهُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

الكفَّارُ لا يُعْجِزون اللهَ فِي الأَرْضِ ولا في السّماءِ ، وهُمْ خاسرونَ لأنَّهُمْ كَفروا باللهِ ، وأشْركوا بهِ غَيْرَهُ ، وأنْكَروا البَعْثَ والآخرةَ ، وكذّبُوا بلقاءِ اللهِ وحِسابه ، وبِسَبَبِ تِلْكَ الجَرائِمِ كُلِّهَا حُرِموا مِنْ رحْمَةِ اللهِ ، ويَئِسوا مِنْ دُخولِ جنَّتِه ، وأعدَّ اللهُ لَهُمْ العذاب الأليمَ الشَّديدَ المُوجعَ .

هٰذا ما واجه إبْراهيمُ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ به قوْمَهُ ، كَي يَعبُدوا اللهَ ويَتْرُكوا عِبادَةَ الأَصْنام ، فماذا كانَ مَوْقفُ قوْمه ؟

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

لَقدْ كذّبوهُ وكفروا به ورفضوا دعْوتَهُ وقرّروا قتْلهُ وإهْلاكَهُ ، عنْ طريقِ إحْراقِه بالنّارِ ، ولمّا ألْقوْهُ في النّارِ المُشْتعلَةِ ، أنْجاهُ اللهُ منها ، وجعلَها برْدا وسلاما عَليْه ، وبذلكَ نصرهُ اللهُ علىٰ أعْدائِه ، وجعَلَ نجاتَه ونصْرَهُ آيةً وعِبْرَة ، يتذكَّرُها المؤمنون ويعْتبرون ويتّعِظون .

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

لمّا انْتَصر القَوْمُ لأصْنامِهِمْ المُحطَّمة ، واجْتَمعوا عليْها ، وآذَوْا إبراهيم بسَببِها ، أنْكَرَ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَليْه السَّلامُ ـ ذلك ، وقال لَهُمْ : لقد اتّخذْتُمْ هذه الأَوْثان آلهةَ منْ دونِ اللهِ ، واجْتَمعْتُمْ علىٰ عِبادتها ، وجعلْتُموها سَبَبا لتقْوية مودتِكُمْ وصداقتِكُمْ في الحياةَ الدُّنْيا . ولكنْ ماذا سَيكونُ حالُكُمْ يوْمَ القيامة ؟ ستزولُ الأوْثانُ ، ولنْ تنفعكُمْ ، وتنْتَهي المودّةُ الّتي بيْنَكُمْ ، ويتبرّأُ بعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . قالَ تعالىٰ : ﴿كُلّما دخلتْ أُمّةٌ لعنتْ أُخْتها﴾ [الأعراف ٣٨] .

وبَعْد الحساب سَيكونُ مصيرُكُمْ النَّارَ ، خالِدينَ فيها أبدا ، ولنْ تَجدوا لَكُمْ ناصِراً يَنْصُرُكُمْ ويُنْقذُكُمْ مِنَ النَّارِ .

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

انْتَهتْ مُهِمَّةُ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ في قَوْمِهِ ، فقدْ أمرَهُ اللهُ بالهِجْرةِ مِنَ العِراقِ إلىٰ الأَرْضِ المُباركَةِ . ونفَّذَ إبْراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أمْرَ اللهِ ، وأخذَ مَعَهُ مَنْ آمَنَ بهِ ، ولَمْ يُؤْمِنْ بهِ إلاّ ابنُ أخيه نبيُّ اللهِ لوطٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجتُهُ سارةُ ، وأعْلَنَ إبْراهيمُ هِجْرَتَهُ ، وقال : إنّي مُهاجِرٌ مِنْ هذهِ البَلْدَةِ ، الّتي أصرَّ أهْلُها علىٰ الكُفْرِ ، ومُتوجِّهٌ إلىٰ حَيْثُ أمرَني ربّي ، وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ ، يَحْفَظُني ويَرْعاني ، ويُقدِّرُ لي الخَيْرَ بحِكْمَتِه .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

لمّا هاجَرَ إبْراهيمُ إلىٰ رَبِّهِ ، وتَحمَّلَ المَشاقَّ في سبيلِ اللهِ ، وأقامَ في الأَرْضِ المُباركَةِ ، أنْعَمَ اللهُ عَليْهِ بنِعَمٍ كثيرةٍ ، منْها أنَّهُ وهَبه ابنَهُ إسْحاقَ ـ بعْد ابنِهِ الأوَّلِ إسْماعيلَ ـ وَوَهبه مِنْ إسْحاق حَفيدَهُ يَعْقوبَ أيْضاً ، وَجَعلَهُمْ أنْبياءَ .

ومِنْ نِعمِ اللهِ عليْه أيضا أنَّهُ جعلَ النُّبوَّةَ في ذُرِّيَتِهِ ، فكُلُّ الأنْبياءِ المَذْكورينَ في القُرْآنِ الّذين جاءُوا بَعْدَهُ هُم مِنْ ذُرِّيَتِهِ ، وأنْزَلَ اللهُ عَليْهِمْ كُتُبَهُ ، حيْثُ أنْزَلَ التَّوراةَ علىٰ موسَىٰ ، والزَّبورَ علىٰ داوُدَ ، والإنْجيلَ علىٰ عيسَىٰ ، والقُرْآنَ علىٰ مُحَمَّدٍ ـ عَليْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وكلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَتِه .

وآتَىٰ اللهُ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أجْرَهُ في الدّنْيا ، وكتَبَ لهُ الثَّناءَ الحَسنَ مِنْ بعدِهِ ، وهُوَ في الآخِرَةِ يُحْشَرُ في زُمْرَةِ الصَّالحينَ المُحْسِنينَ . وبذلكَ جمعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ سعادَةِ الدُّنْيا وسَعادةِ الآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ هُوَ القَويُّ القادِرُ ، ولا يَقْدِرُ مَخْلوقٌ علىٰ تعْجيزِه ، وعلىٰ المَخْلوقينَ اتِّخاذُهُ وَحْدَهُ وَليّا ونَصيرا .

٢ـ الكفّارُ يوْمَ القيامَةِ يَيْأسونَ مِنْ رَحْمةِ اللهِ وَجَنَّتِه ونعيمِه ، لأنَّهمْ خالِدونَ في النَّارِ .

٣ـ اللهُ يَتولّىٰ أوْلياءَهُ بِحِفْظِهِ ورعايتِهِ ، ويُنْجِيهِمْ مِنْ أعْدائهِمْ ، كما فعلَ مع إبْراهيم ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ كلُّ مَودَّةٍ وصَداقةٍ في الدُّنيا علىٰ غيرِ طاعةِ اللهِ تَنْقَلِبُ عَداوةً ، وبَغْضاءَ يوْمَ القِيامةِ .

٥ـ المُؤْمِنُ يُوالي المُؤْمِنينَ ويَتخلَّىٰ عَنْ أعْداءِ الدِّينِ ، حتىٰ لَوْ كانوا أقْربَ النَّاسِ إليْهِ ، كما فعلَ إبْراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٦ـ يُكْرِمُ اللهُ كلَّ مَنْ يَتوكَّلُ عَليْهِ ، ويَمْنَحُهُ السَّعادةَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ .

٧ـ إبْراهيمُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ هُوَ أبو الأنبياءِ ، وجَعَلَ اللهُ النُّبوَّةَ والكِتاب في ذُرِّيتِهِ تَكْريماً لَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتىٰ يَيْأسُ الكافِرونَ مِنْ رَحْمةِ اللهِ ؟ ولِماذا يَيْأسونَ ؟

٢ـ اذْكُرِ المُعْجزةَ الّتي جعَلَها اللهُ لإبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ عندما ألْقاهُ قَوْمُهُ في النَّارِ .

٣ـ عَبَدَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ الأَصْنامَ مَوَّدةَ بينِهْم فِي الدُّنيَا ، وضِّحْ ذَلكَ .

٤ـ مَا نَتيجَةُ المَودَّةِ والصَّداقَةِ الّتي تكونُ بَيْنَ الكُفَّارِ في الدُّنْيا ؟ واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلِكَ بآياتِ الدَّرْسِ .

٥ـ أـ بأمرِ مَنْ هاجَرَ إبْراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟ ب ـ وإلىٰ أيْنَ توجَّهَ ؟ ج ـ ومَنِ الرَّجُلُ الذي هاجرَ مَعَهُ ؟

٦ـ اذْكُرْ أَسْماءَ سَبْعةِ أنْبياءَ مِنْ ذُرِّيَةِ إبْراهيمَ ، وأسْماءَ أرْبعَةِ كُتُبٍ أَنْزَلَها اللهُ عَلَيْهِم .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأْ قِصَّةَ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فِي تَحْطيمِه الأَصْنامَ ونَجاتِهِ مِنَ النَّارِ فِي سورةِ الأَنْبياءِ ، واذْكُرْ خُلاصةَ ذلِكَ في دَفْترِك بمَا لا يزيدُ علىٰ خَمْسَةِ أَسْطُرٍ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ آيةً مِنْ سورةِ مَرْيمَ تُصَرِّحُ أنَّ اللهَ لَمْ يَهَبْ لإبْراهيمَ إسْحاقَ ويَعقوبَ إلاّ بَعْدَ اعْتزالِ قَوْمِهِ ، وأنَّ اللهَ جَعَلَهُما نَبيَّيْنِ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْترِك .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

معاني المُفْرَداتِ :

- **ٱلفاحِشَةَ** : ٱلفِعْلَةَ ٱلقَبيحَةَ ، وَهِيَ إِتْيانُ الرِّجالِ (اللُّواطُ) .
- **تَقْطَعونَ ٱلسَّبيلَ** : تَقِفونَ عَلىٰ الطَّريقِ وَتَعْتَدونَ عَلىٰ المارَّةِ .
- **ناديكُم** : مَجْلِسُكُمُ ٱلخاصُّ ٱلَّذي تَجْتَمِعونَ وَتَتَحَدَّثونَ فيهِ .
- **ٱلغابرينَ** : ٱلباقينَ فِي ٱلعَذابِ .
- **سِيءَ بِهِمْ** : أُصيبَ بالسّوءِ وٱلهَمِّ لِخَوْفِهِ عَلىٰ ضُيوفِهِ مِنْ قَوْمِهِ .
- **ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً** : ضاقَتْ قُدْرَتُهُ عَنْ تَدْبيرِ أَمْرِهِمْ .
- **رِجْزاً** : عَذاباً شَديداً مِنَ السَّماءِ .
- **آيَةً بَيِّنَةً** : عِبْرَةً وَاضِحَةً ظَاهِرَةً .



التفسيرُ :

تَحدَّثتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ هِجْرَةِ إبْراهيمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قَوْمِهِ ، وتتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ نبيِّ اللهِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يأْمُرُ اللهُ رَسولَه مُحَمَّداً ﷺ أنْ يَذْكُرَ لِقَومِهِ قِصَّةَ لوطٍ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فَقَدْ بَعَثَه اللهُ لَهُمْ نَبيًّا رسولاً ، وكانوا يُشْرِكونَ باللهِ ، ويَرْتَكِبونَ الفواحِشَ القَبيحَةَ الشَّنيعةَ ، وقَدِ ابتَدَعوا فاحِشَةً شاذَّةً لَمْ يَسْبِقْهُمْ إليْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَأَنْكرَ عَليْهِمْ لوطٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ ذَلِكَ وقالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَرْتَكِبونَ الفِعْلَةَ القَبيحَةَ ، الّتي لَمْ يَرْتَكِبْها أَحَدٌ قَبْلَكُمْ ؟

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

يُتابِعُ لوطٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ إنْكارَهُ علىٰ قَوْمِهِ ، ويُفَسِّرُ لَهُمُ الفاحِشَةَ الّتِي ابْتَدَعوها ، بأنَّها إتيانُهُمُ الرِّجالَ فِي أدْبارِهِمْ ، وهِيَ فاحِشَةٌ شاذَّةٌ قَذِرَةٌ ، تَدُلُّ على فَسادِ فِطْرَتِهِمْ وانْحِرافِها .

كما أَنْكَرَ عَليْهِمْ قَطْعَهُمُ السَّبيلَ ، حَيْثُ كانوا يَقِفونَ في طَريقِ النَّاسِ ، ويَتَعرَّضونَ لَهُمْ بالقَتْلِ أَوْ سَلْبِ الأَمْوالِ أَوْ فِعْلِ الفاحِشَةِ بِهِمْ .

وأَنْكَرَ عَليْهِمْ ثَالِثَةً وهِيَ أَنَّهم كانوا يَجْتَمِعونَ في نَواديهِمْ ومَجالِسِهِمْ ، ويَرْتَكِبونَ فيها المُنْكَراتِ والفَواحِشَ ، ومِنْها إتْيانُهُمُ الرِّجالَ في أَدْبارِهِمْ ، بِصورةٍ جَماعيَّةٍ عَلَنِيَّةٍ .

وقَدْ رَفَضَ القَوْمُ الشَّاذُّونَ نُصْحَ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقالوا لَهُ ساخِرينَ مُسْتَهزِئينَ : إنْ كُنْتَ صادِقاً فيمَا تُهدِّدُنا بِهِ ، فَعَجِّلْ لَنا عَذابَ اللهِ ، وأَسْرِعْ فِي إيقاعِهِ بِنا .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

لم يَعُدْ فِي قَوْمِ لوطٍ خَيْرٌ ، وعَلِمَ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجيبوا لَهُ ، عِنْدَ ذَلِكَ دعا اللهَ عليْهِمْ ، وقالَ : يا رَبِّ إنَّ هؤلاءِ قَوْمٌ مُفْسِدونَ في الأَرْضِ ، مُرْتَكِبونَ لِلْفَو حِشِ ، فانْصُرْنِي عَلَيْهِمْ ، ونَجِّنِي مِنْ مَكْرِهِمْ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾ .

استجابَ اللهُ دُعاءَ لوطٍ ـ عليهِ السّلامُ ـ وبعثَ المَلائكةَ لتدْميرِ القوْمِ المُفْسدينَ ، وأمرَ المَلائكةَ أنْ يَمُرُّوا علىٰ إبْراهيمَ ـ عَليهِ السّلامُ ـ الّذي كانَ قريباً مِنْ قُرىٰ قوْمِ لوط ، فدخلوا عليهِ وَهُمْ في صُورَةِ بَشَرٍ ، ولَمْ يَعْلَمْ أنّهُمْ مَلائكَةٌ ، فجاءَهُمْ بمَا ينْبغي للأضيافِ ، وأَخْبروه أنّهُمْ رُسُلٌ مِنَ اللهِ ، جاءُوا لِتَبْشيرِهِ بالوَلَدِ .

ثُمَّ أخْبروهُ أنَّ اللهَ أرْسلَهُمْ لإهلاكِ قوْمِ لوطٍ ، بسَببِ فِسْقهمْ وكُفْرِهِمْ وظُلْمِهمْ ، وتَماديهِمْ في الفَسادِ والانْحِرافِ والشُّذوذِ .

فأشْفَقَ إبْراهيمُ علىٰ لوطٍ ـ عَليْهِما السّلامُ ـ وخشي أن يُصيبهُ شيْءٌ مِن الأذىٰ ، فَذَكَّرَهُمْ بهِ قائلاً : إنَّ لوطاً في القَرْيةِ ، وهُوَ نَبيٌّ ورسولٌ !

فقالُوا لَهُ : نحْنُ أعْلَمُ بمَنْ فِيها مِن المُؤْمنين والكافِرين ، وإنَّ الهلاكَ سَيَقَعُ على الكافِرينَ ، أمَّا المُؤْمنونَ فَهُمْ ناجونَ ، ولِذَلِكَ سَنُنْجي النَّبيَّ لوطاً ـ عليْهِ السّلامُ ـ وأهْلَ بيْتِهِ المُؤْمنينَ ، أمّا امْرأَتُهُ العَجوزُ فَستكونُ مِنَ الهالِكِينَ ، لأنّها كفَرتْ مَعَ قوْمِها الكافرين .

﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) ﴾ .

قَدِمَ المَلائِكَةُ علىٰ لوطٍ ـ عليْهِ السّلامُ ـ في صورةِ شُبّانٍ حسانٍ ، ولمْ يَعْلَمْ أنّهُمْ مَلائِكَةٌ ، وخَشِيَ عليْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ الشّاذينَ أنْ يَفْجُروا بهم ، ولِذَلِكَ أُصيبَ بالغَمِّ والسُّوءِ ، وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وثَقُلَ عَليهِ أمْرُ تَدبيرِ حِمايَتِهِمْ ، وخافَ أنْ يَعْجزَ عنْ ذلِك .

ولاحَظَ المَلائِكَةُ حالَهُ فطَمْأنوهُ ، وكشَفوا لهُ عنْ حقيقَتِهِمْ ، وقالوا لهُ : لا تَخفْ عَلَيْنَا ، ولاَ تَحزَنْ مِنْ أَجْلِنَا ، إنّا رُسُلُ ربّكَ ، أَرْسلَنَا اللهُ لإهْلاكِ قوْمِكَ الكافِرِينَ ، وسَيكونُ هَلاكُهُمْ في الصَّباحِ ، وأنْتَ ستنجو معَ أهْلِكَ المُؤْمنين ؛ أمَّا امْرأتُك الكافِرةُ فستكونُ معَ القوْمِ الهَالِكينَ الغابرينَ !

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) ﴾

تابَعَ المَلائِكَةُ كلامهُمْ مَعَ لوطٍ ـ عَليْهِ السّلامُ ـ ووَصَفوا لهُ العذابَ الّذي سَيَحِلُّ بقَوْمِهِ ، وقالوا لَهُ « سَنُنْزِلُ عَليْهِمُ العذابَ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ ، يأْتيهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، بِسببِ فِسْقِهِمْ وظُلْمِهِمْ وانْحِرافِهِمْ ، وفي اللّيلِ اقْتَلَعَ جِبْريلُ بُيوتَهُمْ ، وَرفعَها إلىٰ السَّماءِ ، ثُمّ جعَلَ عالِيَها سافِلَها ، وألْقىٰ بها إلىٰ الأَرْضِ » .

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ ﴾

أَنْجَىٰ اللهُ لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعَهُ المُؤْمِنينَ ، وأَهْلَكَ القومَ الفاسِقينَ ، وأَبْقَىٰ بَعْضَ آثارِهِمْ وأَخْبارِهِمْ ، لِتَكونَ عِبْرَةً وَعِظَةً لِقَوْمٍ مُؤْمِنينَ ، يَعْقِلونَ ويَتدبَّرونَ ، وَيَأْخُذونَ منْها الدّلالاتِ والدّروسَ ، فِي نِهايَةِ الكافِرينَ وحُسْنِ عاقِبَةِ المُؤْمِنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَجِبُ علىٰ الدّاعِيَةِ نُصْحُ الآخرينَ ، ونَهْيُهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ، وتَقْبيحُ ارْتِكابِهِمْ لِلفواحِشِ والمُحَرَّماتِ .

٢ـ عِنْدَما تَفْسُدُ فِطْرَةُ النّاسِ يَتبجَّحونَ في ارتْكابِ الفَواحِشِ بلا خَجَلٍ ، ويَفْعلونَ ذَلِكَ عَلَناً وجَماعيًّا .

٣ـ مِنْ جَهْلِ الكفّارِ وسوءِ تَقْديرِهِمْ اسْتِعْجالُهُمُ العَذابَ ، ولاَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عاقِلٌ !

٤ـ جَوازُ الدُّعاءِ علىٰ القَومِ الكافِرينَ ، عِنْدَما يُصِرُّونَ علىٰ كُفْرِهِمْ ورَفْضِهِم الْحَقَّ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يُشْفِقَ علىٰ المُؤْمنينَ ويَهْتَمَّ بهِمْ ويُدافِعَ عَنْهُمْ ، ويُذَكِّرَ الآخرينَ بهِمْ .

٦ـ عِنْدَ وُقوعِ العِقابِ لا نَجاةَ إلاّ لِلْمُؤْمنينَ الصّالِحينَ المُصْلِحينَ ، ولا يَنْفَعُ صِلَةٌ ولا قُرْبَى .

٧ـ إهْلاكُ الكُفّارِ والمُجْرمينَ ونَجاةُ المُؤْمِنينَ المُصْلِحينَ سُنَّةٌ رَبانيَّةٌ لا تَتَخَلَّفُ .

٨ـ المُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ ويتَّعِظُ عِنْدما يَمُرُّ بآثارِ القَوْمِ المُعَذَّبينَ ، فَيَزْدادُ طاعةً للهِ ، وتَرْكاً لِما حَرَّمَ اللهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ ثَلاثَةَ أَشْياءَ أَنْكَرَها لوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ علىٰ قَوْمِهِ .

٢ـ مَا الّذي طَلَبَه القَوْمُ مِنْ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟ وَمَا تَفْسيرُكَ لِذلِكَ الطَّلَبِ ؟

٣ـ مَا الّذي قالَهُ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلمَلائِكَةِ عِنْدَما عَلِمَ بِمُهِمَّتِهِمْ ؟ وبماذا رَدُّوا عَلَيْهِ ؟

٤ـ لِماذا سِيءَ لوطٌ بِضُيوفِهِ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ؟

٥ـ صِفِ العَذابَ الّذي أَوْقَعَهُ اللهُ بقومِ لوطٍ .



١ـ اقرأْ قِصَّةَ لوطٍ في سورةِ الأَعْرافِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا جواباً آخَرَ أَجابُوا بهِ لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَتضمَّنُ حُكْمَهُمْ عليْهِ ، وسَبَبَ ذَلِكَ الحُكْمِ . واكتبْ ذَلِكَ في دفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأْ قِصَّةَ لوطٍ في سورةِ الصَّافَاتِ ، وسَجِّلْ مِنْها الآيتينِ اللّتيْنِ تَتحدَّثانِ عَنْ مُرورِ تُجّارِ قُرَيْش بقُرىٰ قَوْمِ لوطٍ ، ثُمَّ حَدِّدِ المَوْقعَ الجَغرافيَّ لهَا .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرَداتِ :

لاَ تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدينَ : لاَ تَسْعَوْا فِي ٱلأَرْضِ نَاشِرينَ لِلفَسادِ .

ٱلرَّجْفَةُ : ٱلزَّلْزَلَةُ ٱلشَّديدَةُ ٱلَّتي حَرَّكَتِ ٱلأَرْضَ .

جاثِمينَ : مَيِّتِينَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ .

كَانوا مُسْتَبْصِرين : كَانوا قادِرينَ عَلَىٰ النَّظَرِ وَٱلاسْتِبْصارِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلوا .

مَا كَانوا سَابِقينَ : لَمْ يَقْدِروا عَلَىٰ الإِفْلاَتِ مِنْ عَذابِ ٱللهِ .

حاصِباً : ريحاً عاصِفَةً رَمَتْهُمْ بِٱلحَصْباءِ وَهِيَ الحِجارَةُ ٱلصَّغيرَةُ .

التفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ مُجْمَلَ قَصصِ نوحٍ وإبْراهيمَ ولوطٍ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ مَعَ أقوامِهِمْ ، الَّتي

انْتهتْ بإهْلاكِ الكافرين ونجاةِ الرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ المُؤْمنين

وأشارَتْ هٰذه الآياتْ إلىٰ قَصَصِ هودٍ وصالحٍ وشُعَيْبٍ وموسَىٰ ـ عليْهِمْ السَّلامُ ـ معَ أقْوامِهِمْ ، وعجّلتْ بذِكْرِ عاقبةِ أقْوامِهِمْ الكافِرينَ ، تحْقيقاً لسُنَّةِ الله

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أرْسَلَ اللهُ إلىٰ قوْم مدْيَن أخاهُم شعيبا رَسولاً ـ عليه السّلام ـ بعْد تدْمير قوْم لوطِ ، وكانوا يَسْكُنونَ في جَنوبِ الأُرْدنّ قريباً مِنْ قوم لوط .

طَلبَ شُعَيْبٌ ـ عليهِ السَّلامُ ـ منهُمْ أنْ يؤمِنوا باللهِ وحْدَهُ ، وأنْ يَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، ولا يُشْرِكوا بهِ شيئاً ؛ كما أمَرَهُمْ أنْ يُؤْمنوا باليَوْم الآخرِ ، وأنْ يَعْمَلوا الأعْمال الصّالحة الّتي يرْجون بها الثَّوابَ مِنَ اللهِ يَوْمَ القيامَة .

ونهاهُمْ عن الإفْساد في الأرْض ، لأنّهُمْ كانوا يَسْعوْن في نَشْر الفساد ، والاعْتِداءِ علىٰ الآخَرينَ ، وأكْلِ أمْوالِهِمْ ظُلْما ، وتطْفيفِ المِكْيالِ والميزان

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

ردَّ قَوْمُ مَدْيَنَ علىٰ دَعْوَةِ شُعَيْبٍ ـ عليه السَّلامُ ـ بالتّكذيب ، والإصْرار علىٰ الكُفْرِ ، فأَوْقعَ اللهُ علَيْهِمْ عِقابَه ، حيْثُ أهْلكَهُمْ بالرَّجْفَة ، عنْدما زلْزلَ بهِمْ الأرْض ، وجعَلَها ترْتجفُ وتَتَحرَّكُ بهِمْ ، ونَتجَ عَنْ ذلِكَ صَيْحَةٌ شَديدَةٌ قضتْ علَيْهِمْ ، وجعَلَتْهمْ جُثثاً هامدةً لا حراكَ فيها .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أهْلَكَ اللهُ أقواماً قَبْلَ مَدْيَن ، منْهُمْ قوْمُ عادٍ وقومُ ثمود ، فَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ عادٍ نبيَّهُمْ هوداً ـ عليْهِ السّلامُ ـ وكانوا يَسْكُنون في الأحْقافِ ، في الجنوبِ الشَرقيِّ لِلْجَزيرةِ العربيّةِ ، فدمَّرَهُمْ اللهُ ، وجاء بقَوْم ثمودَ بَعْدَهُمْ ، وكانُوا يَسْكُنونَ في الحِجْرِ ، في الشّمالِ الغَرْبيِّ لِلْجَزيرةِ العرَبيّةِ ، ولكنّهُمْ كذّبوا رَسولَهُمْ صالحاً ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فأهلكَهُمْ اللهُ بكُفْرِهِمْ

وخاطَبَ اللهُ كُفّارَ قُرَيْش ومُشْركي العَرَب بأنّهُمْ عرَفوا قصّة عادٍ وثمودَ ، ورأوْا آثارَهُمْ ، وتبيّنَ لَهُمْ هلاكُهُمْ مِنْ مُشاهدتِهِمْ لِمَساكِنِهِمْ ، فعَلَيْهِمْ أنْ يتّعظوا ويعْتَبِروا ممّا حلَّ بهِمْ ، فيتخلّوْا عَنِ الكُفْرِ ، ويُصَدِّقوا النّبيَّ ﷺ .

ولَقدْ دَعاهُمْ الشّيْطانُ إلىٰ الشِّرْكِ باللهِ وعِبادَةِ غَيْرِ الله ، وزيّنَ لَهُمْ أَعْمالَهُمْ السّيئة ، فأُعْجِبوا بها

ورأَوْهَا حَسَنَةً ، وبذَلِكَ صَدَّهُمْ عَنْ سبيلِ الحَقِّ ، وَجَعَلَهُمْ يَسيرونَ في سَبيلِ الباطِلِ ، مَعَ أنَّ اللهَ مَنَحَهُمُ العَقْلَ والحَواسَّ لِلْنظرِ والتَّفكيرِ ، وكانَ بإمْكانِهِمْ أَنْ يَسْتَبْصِروا ويَخْتارُوا الحَقَّ ، ولكنَّهُمْ عَطَّلوا عُقولَهُمْ وأَنْظارَهُمْ ، واتَّبعوا الشَّيْطانَ ، فَحَقَّ علَيْهِمُ العَذابُ .

﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

كمَا أهْلَكَ اللهُ عاداً وثَمودَ الّذين كانوا قَبْلَ مَدْيَنَ ، كَذلِكَ أهْلَكَ كُفّاراً طُغاة كانوا بَعْدَ مَدْيَنَ ، مِنْهُمُ الطُّغاةُ الثَّلاثَةُ : قارونُ وفرعونُ وهامانُ ، وقَدْ أرسَلَ اللهُ لهُمْ موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً ، وجَاءَهُمْ بالبيِّناتِ والمُعْجِزاتِ ، وأقامَ عليْهِمُ الحُجَّةَ .

ولكنَّهُمْ رَفضوا دَعْوَتَهُ ، وكَذَّبوهُ وكَفروا بهِ ، واسْتَكْبروا فِي الأَرْضِ ، وطَغَوْا وبغَوْا ، واسْتَعبَدُوا الآخَرينَ ، وكانَ طُغْيانُ قارونَ بِسَبَبِ أَمْوالِهِ وكُنوزِهِ العَظيمَةِ ، وطُغيانُ فِرْعَوْنَ بِسَبَبِ ما آتاهُ اللهُ مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وهامانُ هُوَ وَزيرُ فِرْعَوْنَ وشَريكُهُ فِي الاسْتِكبارِ والطُّغْيانِ .

وهؤلاءِ الطُّغَاةُ الثَّلاثةُ لَمْ يُعْجِزوا اللهَ ، ولَمْ يَنْجوا مِنْ عِقابِهِ ، فهُمْ كَغيْرِهِمْ مِنَ الطُّغاةِ ، لا يَفْلِتُونَ مِنَ العَذابِ ، ولا يَهْرُبونَ مِنْ قَدَرِ اللهِ ، لأنَّ اللهَ هُوَ القَادِرُ القَاهِرُ العَزيزُ الجَبَّارُ .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

عاقَبَ اللهُ الكُفّارَ الطُّغاةَ الخَمْسَةَ ، المَذْكورينَ في الآياتِ السَّابِقَةِ : قَوْمَ عادٍ ، وقومَ ثَمودَ ، وقارونَ ، وفِرْعَوْنَ ، وهامانَ .

أخَذَ كلاًّ مِنْهُمْ بِذَنْبِهِ ، وأَوْقَعَ بِهِ عاقِبَةَ كُفْرِهِ وطُغْيانِهِ ، وعاقَبَهُ بمَا يُناسِبُهُ مِنَ العِقابِ ، وكانَ عِقابُهُمْ أَرْبَعَةَ أنواعٍ :

ـ قَوْمَ عادٍ : أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ حاصِباً : حَيْثُ أهْلَكَهُمْ بالرّيحِ الصَّرْصَرِ العاتِيَةِ ، شَديدةِ الهُبوبِ ، تَحْمِلُ الحِجارةَ الصَّغيرةَ ، تَحصِبُهُمْ وتَرْميهِمْ بها ، فَصاروا صَرْعَىٰ جُثَثاً هامِدَةً .

ـ قومَ ثمودَ : أَخَذَهُمُ اللهُ بالصَّيْحَةِ ـ كَقَوْمِ مَدْيَنَ ـ حَيْثُ زَلْزَلَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ ، فَرَجَفَتْ بِهِمْ ، وخَرَجَ مِنْهَا صَيْحَةٌ شَديدةٌ قضَتْ عَلَيْهِمْ .

ـ وقارونَ : خَسَفَ اللهُ بِهِ وبدارِهِ وكُنوزِهِ وأَمْوالِهِ الأَرْضَ ، فانْشَقَّتْ وابْتَلَعَتْهُ .

ـ وفِرْعَوْنَ وهامانَ : أَغْرَقَهُما اللهُ ، لَمَّا خَرَجا بِجُنودِهِما ، ولَحِقا موسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وأَتْباعَهُ المُؤْمنين ، فَفَرَقَ اللهُ البَحْرَ ، وأَنجَىٰ موسَىٰ ومَنْ مَعَهُ ، وأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنودَهُما .

وكانَ اللهُ عادِلاً فِي عِقابِهِ لِهؤلاءِ الكُفَّارِ ، ولَمْ يَكُنْ ظالِماً لهُمْ ، ولَكنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ طَلَبَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَوْمِهِ عِبادَةَ اللهِ وَحْدَهُ ، رَجاءَ ثَوابِ الآخرةِ وعَدمَ الإفْسادِ فِي الأَرْضِ .

٢ـ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ مَدْيَنَ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ شُعَيْباً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لأنَّ عاقِبَةَ التَّكْذيبِ العِقابُ .

٣ـ كانَ يُمْكِنُ لِلْكُفَّارِ أَنْ يَسْتَبْصِروا ويَتَّبِعوا الحَقَّ لَكِنَّهُمْ اتَّبَعوا الشَّيْطانَ الّذي صَدَّهُمْ عَنْ سبيلِ الحَقِّ .

٤ـ لا يُمْكِنُ لِلْكُفّارِ أَنْ يَفْلَتوا مِنْ عِقابِ اللهِ ، لأَنَّ عَذابَ اللهِ يُدْرِكُهُمْ أينَما كانوا .

٥ـ اللهُ حَكيمٌ فِي عِقابِ الكُفَّارِ الطُّغاةِ ، ويَخْتارُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ العِقابَ والهَلاكَ الّذي يَتناسَبُ مَعَ طُغْيانِهِ .

٦ـ اللهُ عادِلٌ فِي عِقابِ الكُفَّارِ، لَمْ يَظْلِمْهُمْ شَيْئاً ، وهُمْ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وطُغْيانِهِمْ.

ـ الكُفْرُ غالِبٌ على البَشَرِ ، ومِنْ هُنا كَثُرَ أَهْلُ النَّارِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ بِماذا أَمَرَ شُعَيْبٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ ؟ وعَنْ ماذا نَهاهُمْ ؟

٢ـ مَا نَوْعُ العَذابِ الّذي عَذَّبَ اللهُ بِهِ قَوْمَ مَدْيَنَ ؟

٣ـ حدِّدِ المَوْقِعَ الجَغْرافِيَّ لِعادٍ وثَمودَ ، واسْمَ الرَّسولَيْنِ اللّذَيْنِ أُرْسِلا إليْهِما .

٤ـ مَا سَبَبُ اسْتِكْبارِ وطُغْيانِ كلٍّ مِنْ : قارونَ وفِرْعَوْنَ وهامانَ ؟

٥ـ بِماذا عاقَبَ اللهُ كُلاً مِنْ : عادٍ، وثَمودَ، وَقارونَ، وَفِرْعَوْنَ؟ ومَا دَليلُكَ مِنْ كلماتِ آياتِ الدَّرسِ؟

نَشاطٌ :

اذْكُرْ أَسْماءَ ثَلاثِ سُوَرٍ تَحدَّثَتْ عَنْ قَوْمِ مَدْيَنَ ، واذْكُرْ كَيْفِيةَ هَلاكِهِمْ فِي كُلِّ سُورَةٍ واكْتبِ الإجابَةَ فِي دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرَداتِ :

أَوْهَنَ ٱلبُيُوتِ : أَضْعَفَ ٱلبُيُوتِ .

ٱلأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ : ٱلأَمْثالُ نُقَرِّبُها لِعُقولِ ٱلنَّاسِ لِيَفْهَموها .

يَعْقِلُها : يَفْهَمُها .

ٱلعالِمُونَ : ٱلمُتدبِّرونَ ، ٱلَّذينَ يَفْهَمونَ ٱلقُرْآنَ .

ذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ : ذِكْرُ ٱللهِ فِي الصَّلاةِ وَخارِجِها أَفْضَلُ وَأَكْبَرُ مِمَّا سِواهُ مِنَ ٱلطَّاعاتِ .

التفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ إِهْلاكَ كُفّارٍ سابِقينَ ، ولَمْ تَنْفَعْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتي عَبَدُوها مِنْ دونِ ٱللهِ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ .

وَتَذْكُرُ هٰذِهِ الآياتُ مَثَلاً لِمَنِ اعْتَمَدَ علىٰ غَيْرِ اللهِ ، ودَعَتِ النَّاسَ إِلىٰ الإيمانِ وتِلاوةِ القُرْآنِ وإِقامةِ الصَّلاةِ .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يَصِفُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ الّذين اتَّخذوا أوْلياءَ مِنْ دون الله ، طمعا في رِزْقِهِمْ ونفْعهمْ ونصْرهِمْ كحال العنْكبوتِ حيْثُ اتَّخذَتْ لِنفْسها بَيْتا ، يقيها الأذىٰ والخطر ، فلَمْ يُفِدْها شيْئا ، لأنَّه أوْهَنُ البْيوتِ وأضْعَفُها ، لأنَ أدْنىٰ شيْءٍ يقْضي عَليْه ويذْهَبُ به .

وكما أنَّ بيْت العَنْكبوت لا يَقيها ولا يَنْفَعُها كذلكَ الأَوْلياءُ الّذينَ يتّخذْهمْ الكُفّارُ منْ دونِ الله ، لا يَنْفعْونَ مَنْ تولَوْهُمْ ، ولا يَرْزقونهُمْ ، ولا ينْصُرونهُمْ ، لضعْفِ هؤلاءِ الأَوْلياءِ وعَجْزِهمْ .

والعاقِلون هُمْ الّذينَ يتَّخِذونَ الله وحْده وليّا ، يطْلُبون منهُ الرّزْق والنَّفْعَ والنَّصْر ، لأنَّهُ هُوَ القويُّ القادرُ ، والقُوَّةُ جميعاً لهُ وحْدهُ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

إذا كان الأَوْلياءُ مِنَ دونِ اللهِ ضُعفاءَ عاجزين ؛ فانَّ اللهَ يعْلَمُ أنَّهمْ لَيْسوا بشَيْءٍ ، وأنَّهُمْ لا يَنْفعون مَنْ يُوالونهُمْ ويَعْبدونهُمْ ، لأنَّه سُبْحانَه هُوَ القادرُ علىٰ النَّفْع والضَرّ .

واللهُ هُوَ العَزيزُ الغالبُ ، ينْتَقِمُ ممَّنْ كفَرَ بهِ ، واتَّخذ غيْرهُ وليّا مَعْبوداً ، وهُوَ الحكيمُ في فِعْلِه وقَدَرِه وتَدْبيره .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

ضَربَ اللهُ مَثلَ الأوْلياء في ضَعْفهم بالعنْكبوت تحدت بيْتا ضعيفا ، وقد اتَّخذ بَعْضُ الكُفّار هٰذا المثَلَ ، وغيْرَهُ في القُرْآن ، وسيلة للسُّخْرية والتّهكّم ، فبيّن لهُ حِكْمةَ ذكْرِ الأمْثال فِي القُرْآنِ ، وهي تَقْريبُ المعاني والحَقائِقِ لإفهام النّاس ، ولكنّ الكُفّار مُغلقي القُلوب والعُقولِ لا يَعْقِلونه ، ولا يَتأثّرونَ بها ، لأنّه لا يفْهمُ هذه الأمْثال القُرآنيّة ويُدركها ويعْقلها إلاّ العُلماءُ الأثْباتُ ، الّذين يَتدبّرونها ويتأمّلون فيها .

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

غيْرُ اللهِ ضُعفاءُ عاجزون ، لأنّهم مخلوقون ، فلا يصْلُحون أنْ يكونوا آلِهَةً معْبودين ، واللهُ وحْده هُو القويُّ ؛ لأنّه هُو الخالِقُ ، فقَدْ خلقَ السّمواتِ والأرْض وما فيهما بالحقّ والصّواب ، ولمْ يَخْلُقْهُما عبثاً أوْ لَهْواً . قالَ تعالىٰ : ﴿وما خلقْنا السّماء والأرض وما بيْنهما لاعِبينَ ، لَوْ أردْنا أنْ نتّخذ لَهْوا لاتّخذْناهُ منْ لدُنّا﴾ [الأنبياء : ١٦ ، ١٧] .

وفي خلْق السّمواتِ والأرْض بالحقّ آياتٌ ودلالاتٌ وعبرٌ ، ولكنْ لا يلْتفتُ لها الكافرون ، لأنّ

قلوبَهُمْ وعُقولَهُمْ مَحْجوبةٌ عنْها بِكُفْرِهِمْ ، إنَّما يَنْتَفِعُ بها ويَتَدبَّرُها المُؤْمِنونَ .

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ البَيانِ الإلٰهِيِّ عَنْ قُدْرةِ اللهِ الخالِقِ وضَعْفِ المَخْلوقينَ ، يَأْمُرُ اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ وكُلَّ مُسْلِمٍ مِنْ بعْدِه بتلاوَةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، الّذي أوْحىٰ بهِ إليْهِ ، ومَا يَنْتُجُ عَنْ تِلاوَتِه مِنْ تدبُّرِهِ وفَهْمِهِ وتَطْبيقِ أَحْكامِهِ ودَعْوَةِ النَّاسِ إليْهِ .

كَذلِكَ أَمَرَ اللهُ بإقامَةِ الصَّلاةِ . وإقامَتُها تكونُ بحُسْنِ أَدائِها والالْتِزامِ بِهَدْيِ رَسولِ اللهِ ﷺ في ذلِكَ ، معَ الخُشوعِ والخُضوعِ للهِ فِيها ، وهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ المُؤْمِنِ وسَعادتُهُ ، لأنَّهُ يُناجي فيهَا رَبَّ العالَمينَ .

رَوىٰ النَّسائِيُّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « **حَبَّبَ إليَّ مِنَ الدُّنيا الطِّيبُ والنِّساءُ ، وجَعلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ** »[1] .

وعِنْدَما يُقيمُ المُؤْمِنُ الصَّلاةَ علىٰ هَدْيِ رَسولِ اللهِ ﷺ فإنَّها تَنْهاهُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، وتُقيمُ لهُ حَياتَهُ علىٰ شَرْعِ اللهِ ، فآثارُها التَّرْبَويَّةُ عَلَيْهِ واضِحَةٌ بَعْدَ أدائِها .

والمُؤْمِنُ يَذْكُرُ اللهَ فِي الصَّلاةِ بالتَّسْبيحِ والحَمْدِ والثَّناءِ ، ويَذْكُرُهُ خَارِجَ الصَّلاةِ بتلاوَةِ القُرْآنِ والتَّسبيحِ والاسْتِغْفارِ والدّعاءِ ، وهٰذا الذِّكْرُ للهِ أكْبَرُ وأَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا سِواهُ مِنَ الطَّاعاتِ ، لأنَّهُ بالذِّكْرِ يُثني علىٰ اللهِ ، واللهُ يُحِبُّ الثَّناءَ ، وهُوَ بِذِكْرِهِ للهِ يَجْعَلُ اللهَ يَذْكُرُهُ ، وذِكْرُ اللهِ لَهُ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِهِ هُوَ للهِ . قالَ تعالَىٰ : ﴿فاذْكُروني أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

واللهُ عالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، يَعْلَمُ كلَّ ما يَصْنَعُهُ النَّاسُ ويَفْعلونَهُ ، سَواءٌ أكانَ خَيْراً أم شرّاً ، فَيُثيبُ المُطيعَ الذَّاكِرَ لَهُ مِنْهُمْ ، ويُعاقِبُ العاصِي المُذْنِبَ مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَنِ اعتزَّ بغَيْرِ اللهِ ذَلَّ ، ومَنِ اتَّخذَ غَيْرَ اللهِ وَلِيًّا فَقدْ خسرَ ، ولَمْ يُفِدْهُ ذلكَ شيْئاً .

٢ـ القُوَّةُ كُلُّها للهِ وَحْدَهُ ، وغيْرُ اللهِ ضُعَفاءُ عاجِزونَ ، مَهْما مَلَكُوا مِنَ الدُّنْيا .

٣ـ لا يفهمُ ولا يعقلُ الأمثالَ القرآنيَةَ إلا أُولو البصائرِ والألبابِ .

(١) سنن النسائي (٣٦) كتاب عشرة النساء (١) باب حب النساء . حديث رقم : ٣٩٣٩ .

٤ـ خلق اللهُ السّموات والأرض وما فيهما لحِكْمةٍ ، وجعل لِلنّاسِ وظيفة مُحدّدَة ، وهي الإخلاصُ في عبادته وحْده .

٥ـ على المؤمنِ الإكثارُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ وذكرِ اللهِ . وذِكْرُ اللهِ أفْضَلُ وأكْبَرُ من جميع الطّاعاتِ .

٦ـ إقامةُ الصّلاةِ وحُسن أدائها تُؤثّرُ في سلوك صاحبها ، فتنْهاهُ عَنِ الفحْشاءِ والمُنْكرِ .

التّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ وَجْه الشّبه بينَ الّذينَ يُوالون غيرَ اللهِ وبين بيْتِ العنكبوت

٢ـ اسْتخرِجْ من الآيةِ الثّانية (رقم ٤٢) دلالة عن المدْعوّين مِنْ غيْرِ اللهِ .

٣ـ اذْكُرْ حِكْمة ضرْبِ الأمْثالِ في القرْآنِ بالذّبابِ والعنْكبوتِ وغيْرِهما .

٤ـ ما معنى خلْق السّموات والأرضِ بالحقّ ؟ وما وظيفةُ الإنْسانِ المُحدّدة في الدّنيا ؟

٥ـ ما الفرقُ بيْن أداءِ الصّلاةِ وإقامةِ الصّلاةِ ؟ ومتى تنهى الصّلاةُ عن الفَحشاء والمُنْكرِ ؟

٦ـ سجّلْ معنييْنِ مُتكامليْنِ لقولِه تعالى : ﴿ولذِكْرُ اللهِ أكْبر﴾

نَشاطٌ :

١ـ اقرأ الآياتِ (١٩١ـ١٩٨) مِن سورةِ الأعرافِ ، واستَخْرِجْ مِنها حديثاً عَنْ ضعْفِ كلِّ الأوْلياءِ المَدْعُويين مِنْ دونِ اللهِ وعجْزِهِمْ واكتبْه في دفترِك .

٢ـ ذكر اللهُ أنّهُ لا يَستحيي أنْ يَضْرِبَ مثلاً بالبَعوضةِ فما فوْقها . اذْكُرِ الآياتِ الّتي أخْبرَتْ عَنْ ذلِكَ في سورةِ البَقرةِ ، واستَخْرِجْ منْها أثرَ الأمْثالِ القُرآنيّةِ على المُؤْمنينَ والكافِرينَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٣ـ لِماذا تنْهى الصّلاةُ صاحِبها عَنِ الفحْشاءِ والمُنْكرِ ؟ ولماذا تَجدُ بَعْضَ المُصلّينَ لا يَنْتَهونَ عَنِ الفحْشاءِ والمُنْكرِ ؟ سَجّلِ الإجابة في دفْتَرِكَ

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَـٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لاَ تُجادِلوا : لاَ تُناقِشوا وتُحاجِجوا .

أَهْلَ ٱلكتابِ : ٱليَهودَ وٱلنَّصارىٰ .

بٱلَّتي هِيَ أَحْسَنُ : بالخَصْلَةِ الطَّيِّبَةِ الحَسَنَةِ .

يَجْحَدُ بآياتِنا : يُنْكِرُ آياتِنا .

ٱرْتابَ ٱلمُبْطِلونَ : شَكَّ الكافِرونَ المُتَّبِعونَ لِلباطِلِ .

التَّفْسيرُ :

أَمَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ المُؤْمنينَ بتِلاوَةِ القُرْآنِ وذِكْرِ اللهِ وإقامةِ الصَّلاةِ ، وَوجَّهتْ هٰذهِ الآياتُ المُؤْمنينَ إلىٰ كَيْفيَّةِ جِدالِ أَهْلِ الكِتابِ بالحُسْنىٰ ، وقدَّمتْ أَدِلَّةً مِنْ سيرةِ رَسولِ اللهِ ﷺ تُثْبِتُ أَنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ .

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ لِلْمُسلمينَ : لا تُجادلوا ولا تُناقشوا أَهْلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارىٰ إلاّ بالطَّريقةِ الحسَنةِ ، والأُسْلوبِ الهادِىءِ ، حتَّىٰ تُقْنِعوهُمْ وتُقيموا الحُجّةَ عَليْهِمْ ، لأنَّ الدّاعيةَ لا يَنْجَحُ في دَعْوَتِه إلاّ إذا بلَّغَها بالحِكْمَةِ والمَوْعِظةِ الحسنةِ .

والجِدالُ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ يَنْفَعُ مع المُنْصِفينَ الموْضوعيّينَ مِنْ أَهْلِ الكتابِ ، ولكنَّهُ لا يَنْفَعُ مع الظَّالِمين المُعانِدين المُعْتَدين مِنْهُمْ ، الّذين لا يَسْمعون ولا يَفكِّرونَ ، ويلْجأون لِلْعُدْوانِ ، فهؤلاءِ يُعامَلون بالمِثْلِ ، ويُحاربونَ لِوَقْفِ عُدوانِهِمْ وظُلْمِهِمْ .

وأَمَرَ اللهُ المُؤْمنين بدَعْوةِ أهْلِ الكتابِ إلىٰ الدُّخولِ في الإسْلامِ عنْدَما يُجادلونَهُمْ ، وذٰلِكَ بأَنْ يقولوا لَهُمْ : نحْنُ المُسْلمين آمنَّا بالقرآنِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ علىٰ نبيّنا مُحمّدٍ ﷺ وآمنَّا بالتَّوْراةِ الّتي أَنْزَلَها اللهُ علىٰ موسىٰ ـ عليْه السَّلامُ ـ وبالإنْجيلِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ على عيسىٰ ـ عليْه السَّلامُ ـ وإلٰهُنا وإلٰهُكُم واحدٌ ، وهُو اللهُ ربُّ العالمين لا شريكَ لَهُ ، وقد أَسْلمْنا وخضعْنا لهُ ، واتَّبعْنا رسولَهُ محمّدًا ﷺ وإذا أَرَدْتُمُ النّجاةَ والجنّةَ فادخُلوا في الإسْلامِ معنا .

قال الله ـ تعالىٰ ـ : ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيْننا وبيْنَكُم ، ألاّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ ، ولا نُشْرِكَ بهِ شيْئاً ، ولا يتّخذَ بعْضُنا بعضا أَرْباباً مِن دُونِ اللهِ ، فإنْ تولَّوْا فقولوا اشْهَدوا بأنّا مُسْلمون﴾ [آل عمران : ٦٤] .

ومن المعْلومِ أنَّ اللهَ نَسخَ الكُتُبَ السّابقةَ بالقُرآنِ ، وأَوْجبَ علىٰ اليهودِ والنَّصارىٰ الدُّخولَ في الإسلامِ ، فإنْ لَمْ يفْعلوا ذلكَ كانوا كُفّارًا مُخلَّدين في النّارِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

يُؤْمِنُ المُؤْمنون بالكُتُبِ الّتي أَنْزلَها اللهُ علىٰ الرُّسُلِ السّابقين ، كالتَّوْراةِ والزَّبورِ والإنْجيلِ ، ويؤْمنونَ بالقُرآنِ ، ولِذلكَ يقولُ اللهُ لرسولِه مُحمّدٍ ﷺ : كما أَنْزلْنا الكُتُبَ علىٰ الرُّسُلِ الّذينَ مِنْ قبلِكَ ، كذٰلكَ أَنْزَلْنا إليْكَ هٰذا الكتابَ ـ القرآنَ الكريمَ ـ وجعلناهُ هُدىً لِلنّاسِ ، وأمرْنا النّاسَ جميعاً بالإيمانِ به

وبعْضُ أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنّصارىٰ يُؤْمنونَ بالقرآنِ ، ويشْهدون أنّهُ مِنْ عِندِ اللهِ ، ويدْخلون في الإسلامِ ، مثْلُ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ اليهوديِّ ، وصُهَيْبٍ الرُّوميِّ ، وسَلْمانَ الفارسيِّ والنّجاشيِّ ملكِ الحَبشةِ ـ رضي اللهُ عنهم ـ .

وبَعْضُ هؤلاء العربِ مِنْ أهل مكّة وغيرِهِمْ يُؤْمِنون بالقُرْآنِ ، ويَدْخلون فِي الإسلامِ ، وهُمْ مُعظَمُ الصّحابةِ مِن المُهاجرين والأنْصار الّذين أسْلموا بعْد فَتْحِ مَكَّة .

وكَثيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتاب لَمْ يُؤمنو بالقُرْآنِ وكانُوا كباقي الكافرين مُعانِدينَ مُتّبعينَ لِلباطِلِ ، ولذلك جَحدُوا بآياتِ القُرْآن ، وأنْكروا أنْ تكون مِنْ عنْدِ اللهِ ، وبِذلك اسْتحقّوا عذابَ اللهِ .

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

الكافِرونَ يُنْكرون أنْ يَكون القُرْآنُ كلامَ اللهِ ، ويزْعُمون أنّه مِنْ تأْليفِ مُحمّدٍ ﷺ وهٰذا ضلالٌ مِنْهُمْ ، فَكَيْفَ يَكْتُبُهُ ويُؤَلِّفُهُ رسولُ اللهِ ﷺ وهُوَ لمْ يَقْرأ ولمْ يَكْتُبْ ؟

ولِذلك يقولُ اللهُ لرسولِه ﷺ : ما كُنْت تقْرأُ كُتُباً قبْل إنْزال القُرْآن عليْكَ ، ولمْ يَسْبِقْ لكَ أنْ كَتبْتَ شيْئاً بيمينِك ، وقوْمُك يعْرِفون أنّك أمّيٌّ ، ولمْ تتعلّمْ شَيْئا مِنْ أَهْلِ الكتابِ أوْ غيْرِهِمْ ، ولوْ كُنْت تقْرأُ أوْ تكْتُبُ قبْل إنْزالِ القُرْآن عليك لَشكّ الكافِرونَ بكَ ، وقالوا : هٰذا الكتابُ مِنْ كِتابَتِك وتأْليفِك ! فلماذا يَرْتابونَ ويَشُكّون وأَنْتَ أُمّيٌّ ؟

وقدْ أكَّدَ هٰذا المعنىٰ قولُه تعالىٰ : ﴿قلْ لوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَليْكُمْ ولا أدْراكُمْ بِهِ ، فَقدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ ، أفَلا تَعْقِلونَ﴾ [يونس : ١٦] .

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

لا يجوزُ للمُبْطِلين الكافرينَ أنْ يَرْتابوا ويشُكّوا فِي القُرْآنِ . لأنَّ الأدِلَّةَ البيِّنةَ كَثيرةٌ ، تُثْبِتُ أنَّ هذا القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

وهٰذِهِ الأدِلّةُ آياتٌ بيِّناتٌ ، وبراهينُ واضحاتٌ ، مُسْتَقِرَّةٌ في صُدورِ وقُلوبِ الّذينَ أُوتوا العِلْمَ : مِنْ أهْلِ الكتابِ وغَيْرِهِمْ ، الّذين عَرَفوا الحَقَّ واتّبعوهُ وصاروا مُسْلِمينَ ، وبذلكَ كانوا صادقينَ مَعَ أنْفُسِهِمْ .

أمّا المُبْطِلون الكافِرون فقَدْ جحدو بآيات القُرْآنِ ، وأنْكروا الأدِلّةَ الواضِحةَ الّتي تُثْبِتُ أنّها مِنْ عِنْدِ اللهِ وفَعلُوا ذلِكَ عِناداً واسْتِكباراً ، وبذلكَ كانوا ظالِمينَ مُجْرمينَ . والمُعانِدُونَ لا تَنْفَعُ مَعَهُمْ أيّةُ دَلالةٍ أوْ حُجَّةٍ ، لأنّهُمْ مُتّبِعون للباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وجوبُ الدَّعْوةِ إلىٰ الله بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنة ، وجِدالُ أهْلِ الكتاب وغيْرِهِمْ بالّذِي هو أحْسَنُ .

٢ـ الظّالمونَ المُعْتَدونَ لا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الحُسْنىٰ ، ولا بدَّ مِنْ أنْ يُعامَلوا بالمِثْلِ .

٣ـ المَسْلِمونَ يُؤْمنونَ بجميعِ الكُتُبِ وجَميعِ الرُّسُلِ ، ويَدْعونَ أهْلَ الكتابِ إلىٰ أنْ يكونوا مِثْلَهُمْ فِي هٰذا .

٤ـ المُنصِفونَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمَنوا بالرّسولِ ﷺ وبالقُرْآن ، ودَخَلوا فِي الإسْلامِ ، ومَنْ لمْ يَفْعَلْ مِثلَهُمْ مِنْ أهْلِ الكتابِ لَمْ يَكُنْ مُوحِّداً ولا مُؤْمِناً .

٥ـ أُمّيّةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي كَوْنِهِ لمْ يَقْرأْ ولَمْ يَكْتُبْ ، دَليلٌ علىٰ أنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ .

٦ـ الّذينَ يَجْحدونَ بالقُرْآنِ همُ المُعانِدونَ المُتَكبِّرونَ ، وهُمْ ظالِمونَ كافِرون .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتية :

١ـ حدِّدِ المَطْلوبَ مِنْ أَهْلِ الكتابِ لِيكونوا مُؤْمنينَ مَقْبولينَ عِنْدَ الله .

٢ـ سَجِّلْ آيتَيْنِ مِنَ القرْآنِ في أُسْلوبِ الدَّعوةِ والجِدال ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُما ذَلِكَ الأُسْلوبَ النّاجِحَ .

٣ـ اذْكُرِ اثنيْنِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارىٰ أَسْلموا علىٰ عهدِ الرّسولِ ﷺ .

٤ـ كَيْفَ تَجْعَلُ أُمّيّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ دليلاً علىٰ أنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ثَلاث صِفاتٍ لِلْمُؤْمنينَ مَعَ الإشارةِ إلىٰ كَلِماتِ الآياتِ الدّالّةِ علىٰ ذَلِكَ .

٦ـ مَنِ الّذِينَ يَجْحدُونَ بآياتِ اللهِ ؟ اسْتَخْرِجْ لَهُمْ مِنَ الآياتِ ثَلاثَ صِفاتٍ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ رقم (١٢٥) مِنْ سورةِ النَّحْلِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّادسةِ والأربعينَ ، واسْتَخْرِجْ منْهَا الأُسْلوبَ النّاجِحَ في الدَّعوة .

٢ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ (١٠) مِنْ سورةِ الأَحْقافِ . واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ و لأَربعينَ .

الدَّرْسُ العاشِرُ

سُورَةُ العَنْكَبوتِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

معاني المُفْرَداتِ :

لَوْلا : هَلاَّ .

آياتٌ : مُعْجزاتٌ مادِّيَّةٌ .

أَجَلٌ مُّسَمًّى : مُدَّةٌ مُحَدَّدَةٌ مَعْلومَةٌ .

بَغْتَةً : فَجْأَةً .

يَغْشاهُمْ : يُصِيبُهُمْ وَيُحيطُ بِهِمْ .

التفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ القُرْآنِ ، وعَرَضَتْ أدلةً عِدَّةً علىٰ أنَّهُ كلامُ اللهِ ، ومَدَحَتِ الَّذينَ آمَنوا بِهِ ، وَذَمَّتِ الَّذينَ جَحَدوا بآياتِهِ .

وتَتَحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَنْ بعْضِ شُبُهاتِ المُشْرِكينَ حَوْلَ القُرْآنِ والوحْيِ والنُّبوَةِ ، وتَعْرِضُ بعْضَ مَطالِبِهِمُ التَّعْجيزيَّة ، وتَرُدُّ عليْهِمْ .

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

مِنْ شُبْهاتِ المُشْرِكينَ علىٰ النُّبوَةِ أنّهم نفَوْا أنْ يَكونَ مُحمّدٌ ﷺ رَسولا لأنّه لمْ يُقَدِّمْ لَهُمْ مُعْجزاتٍ مادِّيَّة مَحْسوسةٍ ، وقالُوا : هَلاّ أُنْزِل على مُحمد مُعْجزاتٍ مادّيَّة ، كما فعَلَ أنبياءٌ سابقونَ ، فقدْ أتىٰ صالِحٌ بالنَّاقة ، وأتى موسَىٰ بالعصا وشَق البَحْر ، وأتى عيسىٰ بالمائدَة . فلوْ كانَ مُحمَّدٌ نبيًّا لأتىٰ بِمِثْلِ ما أتَى بهِ أُولٰئكَ الأَنْبياءُ .

وقَدْ أمرَ اللهُ رَسوله ﷺ أنْ يَرُدَ علىٰ المُشْرِكينَ قائلا : الآياتُ والمُعْجزاتُ عنْد الله ، وأمْرُ إنزالِها بيدِ اللهِ وَحْدَه ، وهْو حكيمٌ في ما يُنْزِلُ مِن الآياتِ ، وهُو يَعْلَمُ لوْ أنّهمْ يُؤمِنون عِنْدما يرَوْن المُعْجزاتِ لأنزلها ، ولكنّه يعْلَمُ أنّهم مُعانِدون ولنْ يُؤْمِنوا .

وإنّ مُهِمّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ فيهِمْ مَحْصورةٌ فِي أنّهُ نَذيرٌ مُبينٌ ، يُبلّغُهُمُ الدّعْوةَ ، ويُقيمُ عليْهِمُ الحُجَّةَ ، ويُنْذِرُهُمْ ويُخَوِّفُهُمْ مِن العَذابِ ، ويُحذِّرُهُمْ من الاسْتِمْرارِ علىٰ الكُفْرِ والتَكذيبِ .

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

طلَبَ الكُفّارُ إنْزالَ مُعْجزاتٍ مادِّيَّة علىٰ رسول اللهِ ﷺ فلفتَ اللهُ أنْظارَهُمْ إلىٰ ما هُو أعْظَمُ مِمّا طَلَبوا ، وهُوَ إنْزالُ القُرْآنِ كِتاباً يُتلىٰ عَليْهِم .

يَقولُ اللهُ لِرَسوله ﷺ : أما يَكْفِي المُشْرِكين دَليلاً علىٰ نُبوّتك أنّنا أنْزلنا عليْكَ القُرْآنَ كتابا يُتْلىٰ عَليْهِمْ ، مَعَ أنَّك رَجُلٌ أمّيٌّ لا تَقْرأُ ولا تكْتُبُ ؟

إنّ القُرْآن هُوَ أعْظَمُ آية ، ويُغْنِي عَنْ كُلِّ المُعْجِزاتِ المادّيَة الّتي طلَبها المُشْرِكون ، ودَلالَتُهُ علىٰ النُّبوّةِ مُسْتَمِرَّةٌ حتّىٰ قيامِ السّاعةِ ، وجَعَلَ اللهُ القُرْآن رَحْمة لِلْمُؤْمنين ، وذِكرَىٰ لَهُمْ يَتذكّرون ما أوْجَبَهُ اللهُ عليْهِمْ عِنْدَما يَتلونَهُ .

وقدْ أكَدَّ هذهِ الحقيقةَ رسولُ اللهِ ﷺ . روىٰ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عنْ أبي هريرة ـ رَضيَ اللهُ عنْهُ ـ ؛ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « ما مِنَ الأنبياءِ مِن نَبيّ إلاّ أُعْطِيَ مِن الآياتِ مَا مِثْلُهُ آمن عَليْهِ البَشَرُ ، وإنّما كانَ الّذي أُوتيتُهُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إليَّ ، فأَرْجُو أنْ أكونَ أَكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ القيامةِ »[1] .

(١) صحيح البخاري (٦٦) كتاب فضائل القرآن . (١) باب كيفية نزول الوحي . حديث رقم : ٤٩٨١ .
وصحيح مسلم (١) كتاب الإيمان . (٦٨) باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ . حديث رقم ١٥٢ .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

لماذا يَطْلُبُ المُشْرِكون مُعْجِزة تشهدُ لرسولِ الله ﷺ بالنُّبوّة ؟ إن الله يشهد له ، وكَفَىٰ به شهيداً .

ولِذلكَ أمرَ اللهُ رَسوله ﷺ أنْ يَقولَ لِلْمُشْرِكين : كفىٰ باللهِ شاهِداً وحَكَماً عادلاً ، بيْني وبيْنكُمْ ، فَهُوَ عالِمٌ بكُلِّ شيْءٍ ، وقدْ شَهِدَ لي بالنُّبوَّة ، منْ خِلال ما قدّمَ لي منْ آياتٍ ومُعْجِزات ، وفي مُقدِّمتِها إنْزالُ القُرْآن ، وعليْكُمْ أنْ تكتفُوا بشهادَةِ الله ، وأنْ تؤْمِنوا بي وتتّبِعوني .

فإذا رَفَضْتُمْ ذلك ، وأصْررْتُمْ علىٰ تكذيبِكُمْ كُنْتُمْ أنْتُمُ الخاسِرين ، لأنَّ كلَّ الّذين آمنوا بالباطِلِ ، وكذّبوا بالحقِّ ، وكَفروا باللهِ خاسرون ، خسِروا الدُّنيا والآخرة .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

مِنْ جَهْلِ الكُفّار وحَماقَتِهِمْ رَفضُهُمْ شَهادةَ الله لِرَسوله ﷺ ، ومِنْ جَهْلِهِمْ وحَماقتِهِمْ أيضاً أنّهُمْ كانُوا يَسْتَعْجِلونَ إيقاعَ العَذاب بِهِمْ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : يَتَعجَّلُ كُفّارُ قُرَيْشٍ نُزولَ العَذاب بِهِمْ ، ويَطْلُبونَ منْكَ الإسْراعَ بذلِكَ ، والّذي يَمْنعُ مِنْ ذلك هُوَ كَوْنُ العَذابِ مُحدَّداً بأجَلٍ مُسمىً ، ووَقْتٍ معْلوم ، وسَوْفَ يأْتيهِمُ العَذابُ فَجْأَةً ، وَهُمْ غافِلونَ عَنْهُ ، لا يَحسُّونَ به ، ولا يتوقّعونَ مجيئَهُ .

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

العذابُ سَيأتِي الكُفَّارَ فَجْأةً ، فَكَيْفَ يَسْتَعْجِلونَهُ ؟ وهُمْ فِي الآخِرَةِ ذاهبونَ حَتْماً إليهِ ، فَهُوَ سَيَقَعُ بِهِمْ لا مَحالَةَ ، وسَتُحيطُ بِهِمْ جَهنَّمُ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، وعِنْدَ ذَلكَ سَيغشاهُمُ العَذابُ ويُعُمُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

وبينَما هُمْ يُعذَّبونَ يُقالُ لهُم ـ مِنْ بابِ التَّوبيخِ ـ ذوقوا العَذابَ الّذي اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ فِي الدُّنيا ، وقَدْ أَوْقعَ اللهُ بكُمْ جَزاءَ مَا كُنتُمْ تَعملونَه فِي الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ وعِصيانٍ .

وعلَىٰ هٰذا قولُه تعالَىٰ : ﴿وَيَقولونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صادقِينَ . لَوْ يَعْلَمُ الَّذينَ كَفَروا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ولا عَنْ ظُهورِهِمْ ولا هُمْ يُنْصَرونَ﴾ [الأنبياء : ٣٨-٣٩] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القُرْآنُ أعْظَمُ آيةٍ ومُعْجزةٍ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وأثَرُهُ مُسْتَمرٌّ حتّىٰ قيامِ السَّاعَةِ .

٢ـ شَهِدَ اللهُ لِرَسولِه ﷺ بالنُّبوّةِ والصِّدْقِ ، مِنْ خِلالِ إنْزالِ القُرْآنِ عَليْهِ ونَصْرِه .

٣ـ كَيْفَ يَكونُ الرَّسول ﷺ كاذبا على اللهِ وهُوَ ناصِرُهُ ومُؤَيِّدُهُ ومُعْلٍ شَأْنَهُ ؟

٤ـ الخَسارَةُ الشَّامِلَةُ مُلازِمَةٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بالباطِلِ وكَفَرَ بالحَقِّ .

٥ـ لا يَسْتَعْجِلُ وُقوعَ العَذابِ إلاّ جاهِلٌ أحْمَقُ ، والعاقِلُ يَسْأَلُ اللهَ دَفْعَ العذابِ .

٦ـ العذابُ واقِعٌ بالكُفّارِ حتماً فِي جَهنَّمَ عِنْدَما يَغْشاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا الّذي طَلَبَه المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟ وبِماذا رَدَّتِ الآيَةُ الأُولَىٰ (رقم : ٥٠) عَلَيْهِمْ ؟

٢ـ لماذا كانَ القُرْآنُ أعظمَ آيةٍ لِلنَّبيِّ ﷺ ؟ اسْتَشْهِدْ علىٰ ذَلِكَ بالحديثِ .

٣ـ كَيْفَ كانتْ شَهادةُ اللهِ لِرَسولِه ﷺ ؟

٤ـ لِماذا اسْتَعْجَلَ الكُفّارُ العَذابَ ؟ وبِماذا رَدَّتِ الآيةُ عَلَيْهِم ؟

٥ـ اسْتَعرِضْ كَيْفيَّةَ عَذابِ الكُفّارِ فِي جَهنَّمَ كما ذكَرَتْها الآياتُ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيَةَ (٥٩) مِنْ سورةِ الإِسْراءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا سَبَبَ عَدَمِ إنْزالِ مُعْجزاتٍ مادِّيَّةٍ كَما طَلَبَ المُشْرِكونَ ، والهَدَفُ مِنْ إنْزالِ تِلْكَ الآياتِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الحَديثِ الّذي مرَّ مَعَكَ فِي الدّرسِ أَرْبعَ حَقائقَ حَوْلَ مُعْجزاتِ الأنبياءِ السَّابِقينَ ، والمُعْجِزَةَ الأُولَىٰ لِلرَّسولِ ﷺ .

* * *

الدَّرسُ الحادي عشَرَ

سُورةُ العنكبوتِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾

معاني المُفْرَداتِ :

ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ	سَوْفَ تَمُوتُ لاَ مَحالَةَ .
إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ	تَعودونَ إِلَىٰ ٱللهِ يَوْمَ القِيامَةِ .
لَنُبَوِّئَنَّهُم	لَنُنْزِلَنَّهُم .
نِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ	أَجْرٌ عَظِيمٌ لِلْعامِلينَ .
كَأَيِّن	كَمْ .
أَنَّىٰ يُؤْفَكونَ	كَيْفَ يُصْرَفونَ عَنْ تَوْحيدِ ٱللهِ .
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ	يُوَسِّعُ الرِّزْقَ وَيَزيدُهُ .
يَقْدِرُ لَهُ	يُضيِّقُ الرِّزْقَ وَيُقَلِّلُهُ .

التفسيرُ :

ذَكَرتِ الآياتُ السّابقةُ بَعْضَ طَلباتِ المُشْركين مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ وردت عليها وهددتهم بوقوعِ العذابِ بهِمْ فِي الدُّنيا والآخِرةِ إنْ اسْتَمرُّوا علَىٰ كُفْرِهِمْ .

وتبيِّنُ هذهِ الآياتُ أنّ اللهَ هُوَ الخالِقُ الرّازِقُ المُتكفّلُ بعبادِهِ ، وتدعو المؤمنين الى الهجرة بدينِهِمْ ، وتُقدِّمُ لهُمْ صورةً منَ النَّعيمِ الّذي يَنْتَظِرُهُمْ فِي الجنّةِ .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

يقولُ اللهُ لِعبادِهِ المُؤْمنينَ : يا عبادي المُؤمنين ، إذا آذاكُمْ الكفارُ في أرْضِكُمْ ، ومنعوكم مِنَ الإيمانِ والعِبادةِ وإقامةِ شعائرِ الدّين ، فلا تبقوا عِنْدَهُمْ ، وعليْكُمْ بالهجرةِ إلى أرضٍ أخرى ، تقْدِرونَ فيها علىٰ العبادةِ وإقامةِ الدِّينِ .

واعْلَمُوا أنّ أرضي واسعةٌ ، والبِلادُ كثيرةٌ ، وأنا معَكُمْ بالحِفْظِ والرّعايةِ في أيّ مكانٍ تهاجرون إليْهِ .

وقدْ نَفَّذَ الصّحابةُ هٰذا التّوْجيهَ الرّبانيَّ ، لمّا اشْتَدّ أذىٰ قُرَيْش بهم في مكّة ، حَيْثُ هاجروا إلىٰ الحبَشةِ ، ثمّ إلىٰ المَدينةِ ، وانْتَصرَ الإسْلامُ بعْدَ الهِجْرَةِ .

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ أمرَ اللهُ المُؤْمنينَ بالإخلاصِ في العبادةِ ، حتى لو أدّى ذلك إلى الهجرة ، ذَكَرَ لَهُمْ أنّ الدُّنْيا لَيْستْ دارَ بقاءٍ ، فهِيَ إلىٰ زَوالٍ وفناء .

قالَ لهُمْ : كلُّ نَفْسٍ ستموتُ ، سَواءٌ أكانتْ مُؤْمنةً أمْ كافرةً ، لأنَّ المَوْتَ حَقٌّ ، كَتَبَهُ اللهُ علىٰ كُلِّ مَخلوقٍ ، وأينَما تكونوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ ، فكونوا مُطيعينَ للهِ ، لِتَموتوا علىٰ الطّاعةِ ، وإلىٰ اللهِ المَرْجِعُ والمآبُ ، حَيْثُ سَيُحاسَبُ كُلُّ إنْسانٍ علىٰ ما عَمِلَ ، منْ خيْرٍ وشَرٍّ .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

بما أنَّ النّاسَ جَميعاً سيموتونَ ويُحاسَبون يوْمَ القيامَةِ ، فمِنَ المُناسب أنْ يذْكُرَ ثوابَ المُؤمنين الصّالِحينَ ، ونعيمَهُمْ في الجنّةِ ، ترْغيباً لهُم فِي الطّاعةِ .

هٰؤلاءِ المُؤمِنونَ المُطيعونَ المُكْثرونَ مِنْ عَمَلِ الصّالحاتِ فائزونَ مُفْلحونَ يوْمَ القيامةِ ، حيْثُ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنّةَ ، ويُنْزِلُهُمْ المنازِلَ العالِيةَ الشّريفةَ فِيها ، الّتي تجري الأنهارُ من تحتها ، وهم

مُخَلَّدُونَ في ذَلِكَ النَّعيم . وهَذا جَزاءٌ لَهُمْ علىٰ اسْتِقامَتِهِمْ فِي الدُّنْيا . ونِعْمَتْ تِلْكَ الغُرَفُ أجْرا وجَزاءً لَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمُ الصَّالِحَة .

ومِنْ صِفاتِ هؤلاءِ المُؤْمِنينَ العامِلينَ الصَّبْرُ والتَوكُّلُ علىٰ اللهِ ، فَقَدْ صَبروا علىٰ القيامِ بِكلِ ما أمَرَهُمْ بهِ ، وفوَّضوا أمورَهُمْ إليْهِ ، وتَوكّلوا عَلَيْهِ ، ورَضوا بِقَضائِهِ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

المُؤْمنون يَتوكَّلون علىٰ اللهِ ، وهْوَ نِعْمَ الوَكيلُ ، وهْوَ الرَّزَّاقُ لَهُمْ ولِغَيْرِهِمْ ، رِزْقُهُ يَشْمَلُ جميعَ خَلْقِهِ أيْنَما كانوا سَواءٌ أكانوا إنْساً أمْ جِنّاً أمْ حَيوانات . وكَمْ مِنْ دابَّةٍ لا تُطيقُ حَمْلَ رِزْقِها لِضَعْفِها ، أوْ لا تَسْتَطيعُ جَمْعَهُ وادِّخارَهُ ، يَرْزُقُها اللهُ ويُيَسِّرُهُ لَهَ ، إنَّه سُبْحانَهُ حَكيمٌ في مَا يُقدِّمْ لِعبادِهِ مِنَ الرِّزْقِ ، ويُقَدِّمْ لِكُلِّ مَخْلوقٍ مَا يُصْلِحُهُ مِن الرِّزْقِ ، وهُوَ سَميعٌ لأقْوالِ عِبادِهِ ، وعَليمٌ بما في ضَمائِرِهِمْ وقُلوبِهِمْ .

وهٰذا كقولِه تعالَىٰ : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ عَلى اللهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعها ، كُلٌّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾ [هود : ٦] .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

اللهُ الرّازِقُ لِكُلِّ المَخْلوقين ، وهْو الخالِقُ لِمَا فِي السَّمواتِ والأَرْضِ وما بيْنَهما ، حتّىٰ المُشْرِكين باللهِ يَعْتَرِفون بِهذِهِ الحَقيقَةِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : لَئِنْ سَأَلْتَ هؤلاءِ المُشْرِكينَ باللهِ ، وقُلْتَ لَهُمْ : مَنِ الَّذي أَوْجَدَ السَّمواتِ ومَا فِيها ، والأرْضَ وما عَليْها ، وذَلَّلَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، يَجْرِيانِ لِمَصالِحِ النَّاسِ علىٰ الأَرْضِ ؟ فَسَيقولونَ : اللهُ وَحْدَه هُوَ الخالِقُ ، خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقمَرَ .

ومَعَ إقْرارِهِمْ بأنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الخالِقُ ، فإنَّهُم يُشرِكونَ بهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ، ويَعْبُدونَها مِنْ دونِهِ ، معَ أنَّها لا تَخْلُقُ ولا تَرْزُقُ ، فَكَيْفَ يَفْعلونَ ذَلِكَ ، وكَيْفَ يُصْرَفونَ عَنْ تَوْحيدِ اللهِ ويُشْرِكونَ به غَيْرَهُ .

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

اللهُ هُوَ الخالِقُ لِما فِي السَّمواتِ والأرْضِ ، وهُوَ الرّازِقُ لِلْمَخلوقاتِ كُلِّها . وهُوَ حَكيمٌ في ما يَمْنَحُ عِبادَهُ مِنَ الرِّزقِ ، فَيُوسِّعُ الرِّزقَ على مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ويُكثِّرُهُ لَهُ وَيزيدُهُ مِنْهُ . ابتلاءً وامْتِحاناً لَهُ ، ويُضيِّقُ الرِّزقَ علىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِه ويُقَلِّلُهُ لَهُ ، ابْتِلاءً وامْتِحاناً أيْضاً .

واللهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ، فهُوَ يَعْلَمُ ما يَصْلُحُ لِعبادِهِ مِنَ الأَرْزاقِ والأَمْوالِ ، ولِذَلِكَ مَيَّزَ بيْنَهمْ في الأَرْزاقِ ، فَجَعَلَ مِنْهُمُ الغَنِيَّ والفَقيرَ ، لِيَشْكُرَ الغَنيُّ ، ويَصْبِرَ الفَقيرُ .

ولا يجوزُ أنْ يعْتبرَ الإنْسانُ كَثْرةَ رِزْقِهِ علامةَ مَحبّةِ اللهِ لهُ ، وقلّةَ رِزْقِه علامةَ بُغْضِ اللهِ لهُ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) ﴾ .

يقولُ اللهُ لنبيِّه ﷺ : لَئِنْ سألْتَ المُشْرِكينَ وقلْتَ لهُم : مَنْ نزّلَ الغَيْثَ مِنَ السَّحابِ إلىٰ الأرْضِ ، فأحيا بِهِ الأرْضَ ، بما أنْبتَ فيهَا مِنَ النَّباتِ الأخْضرِ ، بعْدَ أنْ كانَتْ ميْتةً جَدباءَ لا حَرَكةَ ولا نَباتَ فيهَا ؟ سيَقولونَ : اللهُ وحْدَهُ هُوَ الّذي يَفْعَلُ ذلِكَ! ومعَ ذلِكَ يُشْرِكون بهِ غيْرَهُ!

وعندَما تسْمَعُ يا مُحمّدُ ذَلِكَ الجَوابَ منْهُمْ فَقُلْ : الحمْدُ للهِ ، فهُوَ وحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والثّناءِ والعِبادةِ ، لأنّهُ هُوَ الخالِقُ الرّازِقُ المُتكفِّلُ وحْدهُ ، فلا شريكَ لَهُ .

وعندَما تَنْظُرُ إلىٰ المُشْرِكينَ تجِدُهُمْ لا يعْقِلون ، وإنّما يقعونَ في تناقُضٍ عَجيبٍ ، فَهُمْ يعْترِفونَ بأنَّ اللهَ وحْدَه هُوَ الخالِقُ الرّازِقُ ، المُحْيي المُميتُ ، ومعَ ذلكَ يَعْبُدونَ معَهُ غيْرَهُ مِنَ الآلِهةِ الباطِلَةِ ، الّتي يعْترِفونَ بأنّها لا تَخْلُقُ ولا تَرْزُقُ!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إذَا مُنِعَ المُؤمِنُ مِنْ إقامةِ شَعائرِ الدّينِ في بلدٍ مُعيَّنٍ فَعليهِ الهِجْرةُ إلىٰ بلَدٍ آخَرَ .

٢ـ المُؤمِنُ البَصيرُ يَعْمَلُ لِما بَعْدَ الموْتِ ، ويَسْتَعِدُّ للرُّجوعِ إلىٰ اللهِ ، لأنّهُ يُوقِنُ بالمَوْتِ والبَعْثِ .

٣ـ يُكافِىءُ اللهُ المُؤمِنينَ العامِلينَ المُطيعينَ بالجَنّاتِ وما فيها مِنْ نَعيم ، وهٰذا الأَجْرُ نِعْمَ أَجْرُ العامِلينَ .

٤ـ يَجِبُ أنْ يوقِنَ المُؤمِنُ بأنَّ اللهَ هوَ الرّازِقُ ، ولا يَقْلَقُ علىٰ رِزْقِهِ .

٥ـ مُشْرِكو العرَبِ كانوا مُقِرّينَ بتَوْحيدِ الرُّبوبيةِ ، فلَمْ ينْفَعْهُمْ ذلِك ، لِشِرْكِهِمْ بتَوْحيدِ الأُلوهيةِ ، وكُفْرِهِمْ باليَوْمِ الآخِرِ .

٦ـ اللهُ حَكيمٌ في ما يُوزِّعُ علىٰ عِبادِه مِنَ الرِّزْقِ ، فيُوسِّعُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ ، ويُضيِّقُ علىٰ مَنْ يشاءُ ، ولَيْسَ الرِّزقُ مُصادَفَةً ولا حظّاً ، بَلْ بتقديرِ اللهِ .

٧ـ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ ، لأنَّهُ هُوَ المُدبِّرُ لأَمْرِ السّمواتِ والأَرْضِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتىٰ تَجِبُ عَلىٰ المُؤْمِنينَ الهِجْرَةُ ؟

٢ـ اذْكُرْ ثَلاثَةَ آثارٍ إيجابيَّةٍ علىٰ سُلوكِ المُؤْمِنِ . عِنْدَ يقينِهِ بِالْمَوْتِ والرُّجوعِ إلىٰ اللهِ .

٣ـ اذْكُرْ صِفتيْنِ للمؤْمنينَ الّذينَ يُسْكِنُهمُ اللهُ غُرَفَ الجَنَّةِ ، وَرَدَتا في آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ عندَما يَتوكَّلُ المُؤْمِنُ في رِزْقِهِ علىٰ اللهِ ؛ ماذَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ آثارٍ علىٰ حَياتِهِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ سُؤالَيْنِ مُوَجَّهيْنِ لِلْمُشرِكينَ ، وإجابتَهُمْ عَليْهِما .

٦ـ هلْ كَثْرةُ الرِّزقِ هيَ أَساسُ التَّكريمِ عِنْدَ اللهِ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ يَقعُ الكُفَّارُ فِي تَناقُضٍ عَقْليٍّ ، بَيْنَ إيمانِهِمْ باللهِ وشِرْكِهِمْ بِهِ ، وضّحْ ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيَةَ (١٨٥) مِنْ سورةِ آلِ عِمْرانَ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهَا وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ والخمسينَ ، واسْتَخرجْ مِنهَا ثلاثَ حَقائقَ حَوْلَ الدُّنيا والآخِرَةِ .

٢ـ سجِّلِ الآيَةَ (٢٧) مِنْ سورةِ الشُّورىٰ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا حِكْمَةَ عَدَمِ تَكْثيرِ الرِّزقِ لِلنَّاسِ جَميعاً ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الثانيةِ والسِّتّينَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني عشَرَ

سُورَةُ العَنكَبوتِ ـ القِسْمُ الثَّاني عشَر

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

معاني المُفْرَداتِ :

لَهِيَ ٱلْحَيَوانُ	هِيَ دَارُ الحَياةِ الحَقيقيَّةِ الَّتي لاَ فَناءَ فيها .
ٱلْفُلْك	ٱلسُّفُنِ ٱلجارِيَةِ فِي ٱلبَحْرِ .
مُخْلِصينَ لَهُ ٱلدِّين	تَدْعونَ ٱللهَ وَحْدَهُ عِنْدَ ٱلشِّدَّةِ .
لِيَتَمَتَّعوا	لِيَتَلَذَّذُوا وَيَسْتَمْتِعوا بالمُتَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ .
حَرَماً آمناً	مَكاناً يَأمَنُ ٱلنَّاسُ فِيهِ وَهُوَ المَسْجِدُ الحَرامُ .
يُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ	يُخْطَفُ النَّاسُ خارِجَ مَكَّةَ لأنَّهُ لاَ أَمانَ لَهُم .
مَثْوًى	مَأْوىً ومُسْتَقَرٌّ .
سُبُلَنا	طُرُقَ الخَيْرِ الَّتي تُوصِلُ إِلَيْنا .

التفسيرُ :

ذَكَرتِ الآياتُ السَّابِقةُ تَناقُضَ الكُفَّارِ ، فَبَيْنَما هُمْ يَعْتَرِفون بأنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ ، يُشْرِكونَ مَعَه آلِهَةً أخْرَىٰ .

وتَذْكُرُ هذهِ الآياتُ اضْطرابَ أحْوالِ الكُفَّارِ ، فهُمْ عِنْدَ الشِّدَةِ والمِحْنَةِ لا يَدْعونَ إلاّ اللهَ ، وعِنْدَ الرَّخاءِ يُشْرِكونَ بهِ غَيْرَهُ ، بالرَّغْمِ مِنْ أنَّهُمْ يُقيمونَ حَوْلَ بَيْتِهِ المُحَرَّمِ . فَهُمْ مُخلَّدونَ فِي النَّارِ ، فِي مُقابلِ خُلودِ المُؤْمِنينَ المُجاهِدينَ فِي الجَنَّةِ .

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ .

يَضَعُ اللهُ أمامَ المؤمنِ الميزانَ الدَّقيقَ ، لِيَعْرِفَ حَقيقةَ الدُّنْيا بالنِّسْبَةِ لِلآخِرَةِ ، فَيَطْلُبُ الدَّارَ الباقِيَةَ ، ولِذلِكَ يُخْبِرُه اللهُ بأنَّ هذهِ الحَياةَ الدُّنْيا زَائِلَةٌ ، وَقائِمَةٌ علىٰ اللَّهْوِ واللَّعِبِ ، يَلْهو النَّاسُ ويَلْعبون ويَسْتَمْتِعونَ فيها ، ويَنْسَوْنَ في أثْناءِ لَهْوِهِمْ ولَعِبِهِمُ الآخِرَةَ والاسْتِعْدادَ لها .

أمَّا المُؤْمِنُ فإنَّه يَعْلَمُ أنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ هِيَ الَّتي تَسْتَحِقُّ الطَّلَبَ ، وأنَّ حَياتَها هِيَ الحَياةُ الباقِيَةُ الدَّائِمَةُ الّتي لاَ تَزولُ ولاَ تَنْتَهي .

واعْتَبرتِ الآيةُ الدَّارَ الآخِرَةَ « الحيوانَ » والكَلِمَةُ مَصْدَرٌ بمعنَىٰ الحياةِ ، لكنْ فيها مِنْ تَوكيدِ الحَياةِ والمُبالَغَةِ في وصْفِها ، لأنّ الألِفَ والنُّونَ فيهَا تَدُلُّ علىٰ المُبالَغَةِ .

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ .

الكُفَّارُ فِي الدُّنْيا يَلْهونَ ويَلْعَبونَ ويُشْرِكونَ باللهِ عِنْدَ الرَّخاءِ ، لكنَّهُمْ عِنْدَ الشِّدَّةِ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَهُ بإخلاصٍ وجِدِّيَّةٍ .

فَعِنْدَما يَرْكَبونَ السَّفينةَ ، وتَجْري بِهِمْ وَسَطَ البَحْرِ ، وتَأْتيهِمُ الرِّيحُ العاصِفُ والمَوْجُ ، ويُوشِكونَ علىٰ الغَرَقِ ، عِنْدَ ذلكَ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَه ، ويُخْلِصونَ لَهُ في الدُّعاءِ ، ويُعاهِدونَهُ أنْ يكونوا مِنَ المُؤْمنينَ الشّاكرينَ إذا أنقذَهُمْ مِنْ هذهِ الشدّةِ .

وعِنْدَما يُنَجِّيهِمُ اللهُ ، ويُوصِلُهُمْ إلىٰ البَرِّ سالِمينَ ، ويَعودونَ لِلرَّخاءِ واللَّهْوِ واللَّعِبِ ، يَنْسَوْنَ عَهْدَهُمْ مَعَ اللهِ ، ويُشْرِكُونَ مَعَه آلِهَةً أُخْرَىٰ .

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ .

عِنْدما يَخْرُجُ الكُفَّارُ إلىٰ البَرِّ يُشْرِكونَ باللهِ ، وعاقِبَةُ شِرْكِهِمْ هِيَ الكُفْرُ باللهِ ، وجُحودُ ما آتاهُمْ مِنَ

النِّعَم ، والتَّمتُّع بِمُتَع الحياةِ الدُّنْيا ، ولكِن هٰذا كُلُّهُ سيزولُ وينتهي ، حَيْثُ تَنْتهي حَياتُهُمْ بالموْتِ ، ويَوْمَ القيامَةِ يُحاسِبُهُمُ اللهُ علىٰ كُلِّ ما عَملوهُ في الدُّنْيا ، ويعاقِبُهُم علىٰ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ ، وعِنْدَ ذٰلِكَ سَيَعْلمون كَمْ كانوا في الدُّنْيا مُخْطِئين وخاسرين ، لكنْ بعْد فَواتِ الأوانِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ الكُفّارُ يكْفرونَ بِنعَمِ اللهِ ويَجْحَدونها عِنْدَما يُشْركون بِهِ ، ومِنْ أهمِّ النِّعَمِ التي أنْعمَ بِها علىٰ كُفّارِ قُرَيْشٍ أنَّهُ جَعَلَهُمْ يَسْكُنونَ في مَكَّةَ ، حوْلَ الكَعْبةِ المُشَرَّفَةِ والمَسْجِدِ الحرامِ ، وجَعَلَهُمْ في أمانٍ بِسَببِ الحرَمِ الآمِنِ ، بيْنَما القبائِلُ العَرَبيَّةُ مِنْ حَوْلِهِمْ خائِفةٌ ، يَتخطَّفُ بعْضُهُم بعْضاً ، ويَقْتُلُ بعضُها بَعْضاً .

والأمْنُ الّذي فيهِ أَهْلُ مكَّةَ يُوجبُ علَيْهِمْ أنْ يَعْبدوا اللهَ وحْدَهُ ، وأنْ يَشْكُرُوهُ علىٰ نِعَمِهِ .

ولكنَّهُمْ أشْرَكوا باللهِ ، وكَفروا نعْمَتَه ، وآمَنوا بِالباطِلِ ، وتركوا الحقَّ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا عِقابَ اللهِ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

آمَنَ الكُفّارُ بالباطلِ ، وجَحدوا نِعْمَةَ اللهِ وأشْركوا بهِ غَيْرَهُ ، وبذلكَ كانوا ظالِمينَ ، مُرْتَكِبينَ لأعْظَمِ أنْواعِ الظُّلْمِ وأَقْبَحِها ، وهُوَ الشِّرْكُ باللهِ .

ولَيْسَ مِنْ ظُلْمٍ أشَدُّ مِنْ ظُلْمِ مَنِ افترىٰ علىٰ اللهِ كَذِباً ، بأنْ زَعَمَ أنَّ لَهُ شَريكاً ، أوْ كَذَّبَ بالحقِّ المُتَمَثِّلِ بالقُرآنِ ، الّذي جاءَهُ مِنَ اللهِ ، أوْ أنْكَرَ نُبوَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ .

ونِهايةُ الظّالِمينَ الكافِرينَ البَوارُ والخُسْرانُ ، حَيْثُ يُدْخِلُهُمُ اللهُ جَهَنَّمَ ، ويُخَلِّدُهُمْ فيها ، ويَجْعَلُها مَثوىً لهُمْ ، يُقيمونَ فيها أَبَداً .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

بعدَ بيانِ نهايةِ الكافِرينَ الظّالِمينَ جاءَ بَيانُ حُسْنِ عاقِبَةِ المُؤْمِنينَ المُجاهِدينَ المُحْسِنينَ .

كلُّ المُؤْمِنينَ المُجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ ، يَهدِيهِمُ اللهُ سُبُلَ الخَيْرِ وطُرَقَ الفلاحِ ، ويُوفقُهمْ إلىٰ طريقِ السَّعادةِ في الدّنْيا والجَنَّةِ في الآخِرَةِ ، وبذلكَ يَكونونَ مُحْسنينَ ، واللهُ مَع عِبادِهِ المُحْسِنينَ ، بالتَّأْييدِ والتَّوفيقِ ، والحِفْظِ والرِّعايةِ ، والنَّصْرِ والإعانةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة منها :

١ـ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ للكفَّار واللاّعبين ، لكنَّها ابْتلاءٌ وعَمَلٌ وجِدٌّ عِنْدَ المُؤْمنينَ .

٢ـ الحَياةُ الحَقيقيةُ الدائِمَةُ هيَ في الآخرَة ، لأنّها لا انْتهاءَ لها ، بِعَكْسِ الحَياةِ الدُّنْيا الفانِيَةِ .

٣ـ فِطْرةُ الإنْسانِ تتَّجهُ إلىٰ اللهِ عنْدَ الشِّدة والضّيق ، حتَّى لوْ كانَ كافِراً .

٤ـ الشُّعورُ بالأَمْنِ نِعْمةٌ عَظيمةٌ مِنَ الله ، لا بُدّ وأنْ يُقابِلَها المُؤْمِنُ بِحَمْدِ اللهِ وشُكْرِه .

٥ـ أشَدُّ أنْواعِ الظُّلْم قُبْحاً الافْتِراءُ علىٰ اللهِ ، أو التَّكذيبُ بالحَقِّ ، أوْ تَكْذيبُ الرَّسولِ .

٦ـ المُجاهِدُونَ صادِقونَ مُحْسِنُون ، يُكْرِمُهُمُ اللهُ بالتَّوْفيقِ لِسُبُلِ الخَيْرِ وطُرُقِ الفَلاحِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ سجّلِ الفَرْقَ بَيْنَ نَظْرة الكافِرِ ونَظْرة لِمُؤْمنٍ لِلحياة الدُّنْيا .

٢ـ لماذا اعْتبرت الآيةُ « الدَّار الآخرة لهي الحيوانُ » وما معنىٰ كونها حيواناً ؟

٣ـ ماذا يفْعلُ الكُفَّارُ وقْتَ الشِّدَّة ؟ وماذا يفْعلون وقْت الرَّخاء ؟

٤ـ اذْكرْ أهمّ نِعم اللهِ علىٰ قُرَيْشٍ ، وماذا يجبُ عَلَيْهِمْ تُجاهَها ؟

٥ـ منْ أظْلَمُ النَّاس ؟ وما مَصيرُهُم ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِن الآيةِ الأخيرة (رقم ٦٩) جَزاءَ اللهِ لِلْمُجاهدينَ ، وَوضِّحْ ذَلكَ الجزاءَ .

نَشاطٌ :

١ـ سجّلْ في دفْترِك الآيتيْنِ (٢٢ـ٢٣) مِنْ سورة يونُس ، واذْكُرْ وَجْه الشَّبَهِ بيْنَهما وبَيْنَ الآيَةِ الخامسةِ والسِّتينَ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْترِك سورة قُرَيْش ، واسْتخْرِجْ مِنْهَا أهَمّ نعم اللهِ علىٰ قُرَيْشٍ والوَاجب عليْهِمْ مُقابلها .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّالثَ عشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ الرُّومِ مَكيَّةٌ ، وسُمِّيتْ بذلكَ لِلحَديثِ عَنِ الرُّومِ في بِدايتِهَا ، مَوْضوعُها هُوَ تَثْبيتُ أُصولِ الإيمانِ وحَقائقِ العَقيدةِ في النُّفوسِ ، ونِقاشُ الكُفَّارِ وإبطالُ شُبُهاتِهِمْ ودَعواهُمْ .

وهِيَ مُتَناسِبَةٌ مَعَ سورةِ العَنْكبوتِ قَبْلَها ، فَكِلاهُما مُفْتَتَحَةٌ بالحُروفِ المُقَطَّعةِ « ألم » ، وكِلاهُما تَتحدَّثُ عَنِ العَقيدةِ وإبطالِ الشِّرْكِ . وقدْ خُتِمَتْ سورةُ العَنْكبوتِ بِوَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ المُجاهِدينَ ، وافْتُتِحَتْ سورةُ الرُّومِ بالحَديثِ عَنِ انْتِصارِ الكِتابيِّينَ والمُؤْمِنينَ .

معاني المُفْرَداتِ :

- **ٱلرُّومُ** : اسْمُ أَقْوَى دَوْلَةٍ فِي عَصْرِ نُزُولِ ٱلقُرْآنِ .
- **أَدْنَى ٱلأَرْضِ** : أَقْرَبِ أَرْضِ ٱلرُّومِ إِلَىٰ ٱلفُرْسِ .
- **غَلَبِهِمْ** : بَعْدَ هَزِيمَتِهِم أَمامَ الفُرْسِ .
- **بِضْعِ سِنِينَ** : ٱلسَّنَوَاتِ مَا بَيْنَ ٱلثَّلاثِ إِلَىٰ ٱلتِّسْعِ .
- **لاَ يُخْلِفُ** : لاَ يُلْغِي وَيُبْطِلُ .



التفسيرُ :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾﴾

« ألفْ . لامْ . ميمْ » : ثلاثةُ حُروفٍ مُقطَّعةٍ ، افتُتِحتْ بِها هذهِ السورةُ ، للإشارةِ إلىٰ تَحدِّي الكُفَّارِ وعَجْزِهِمْ وإثْباتِ أنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ .

وقدْ أخبرتِ الآياتُ عَنْ هزيمةِ الرُّومِ أَمامَ خُصومِهِمُ الفرْسِ ، وكانتْ الهَزيمةُ فِي أقْربِ البِقاعِ إلىٰ العَرَبِ ، وهِيَ الواقعةُ بينَ الفُرْسِ والرُّومِ ، فِي بلادِ الشَّامِ .

ثم بَيَّنَتِ الآياتُ أنَّ الرُّومَ سيَغْلِبونَ الفُرْسَ بعدَ هزيمتِهِمْ ، وسَيَنْتَصِرونَ عَليْهِمْ فِي مَعْرَكةٍ قادمةٍ . وسَتَقعُ هذهِ المَعْرَكةُ في بِضْعِ سنينَ مِنَ المَعْرَكةِ الّتي انْهَزَموا فيها ، أيْ : أنَّها سَتكونُ في مُدَّةٍ لا تتجاوزُ تِسْعَ سنينَ ، وهٰذا مَا أخْبَرَ عَنْهُ رسولُ اللهِ ﷺ .

وهٰذا الوَعْدُ بانْتِصارِ الرُّومِ خلالَ بِضْعِ سِنينَ إخبارٌ عنْ أمْرٍ سَيكونُ فِي المُسْتَقْبَلِ ، وجَزْمٌ بِوُقوعِهِ . وقدْ تَحققَ هٰذا الخَبَرُ ، حَيْثُ وقَعَتِ المَعْرَكةُ الفاصِلةُ الّتي انْتَصَرَ فِيها الرُّومُ ، وصَدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ .

وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ، لأنَّ اللهَ هوَ الّذي يَعْلَمُ كلَّ شَيْءٍ ، ولَوْ كانَ مِنْ كلامِ النَّبيِّ ﷺ لما جَزَمَ بِذلكَ .

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ .

شاءَ اللهُ أنْ تَغْلِبَ الرّومُ الفُرْسَ ، وقدْ تَحقّقَ ذٰلكَ ، لأنَّ اللهَ فعَّالٌ لِما يُريدُ ، والأَمْرُ كلُّه لَه سُبْحانَه دائِماً ، مِنْ قَبْلِ غَلَبَةِ الرّومِ لِلفُرْسِ ومِنْ بَعْدِها ، فهوَ الّذي يَمْنَحُ دَوْلَةً القُوَّةَ ، فَتَغْلِبَ دَوْلةً أُخرى بأَمْرِ اللهِ وقَدَرِهِ ، وهُوَ الّذي يَسْلِبُها القُوَّةَ فَتَنْهَزِمَ بِأَمْرِ اللهِ وقَدَرِهِ .

ويَوْمُ انْتِصارِ الرّومِ علىٰ الفُرْسِ يُفْرِحُ المُؤْمِنينَ ، لأنَّ ذٰلِكَ اليَومَ انْتَصرَ فيهِ المُسْلمون على المشركين في غَزْوَةِ بَدْرٍ كما صَحَّ في السِّيرَةِ .

ويَنْصُرُ اللهُ مَنْ يَشاءُ ، وهُوَ مَعَ أَوْليائِهِ دائِماً ، يَنْصُرُهُمْ علىٰ أَعْدائِهِمْ ، وهُوَ العَزيزُ القَويُّ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وهُوَ الرَّحيمُ بِعبادِهِ المُؤْمِنينَ ، فَيَنْصُرُهُمْ على أَعْدائِهِمُ الكافِرينَ .

﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ ﴾

الإخْبارُ عنَ انْتصارِ الرُّومِ على الفُرْسِ وَعْدٌ مِن اللهِ ، ووعْدُ اللهِ حَقٌّ لا بدَّ وأنْ يَقعَ ويَتحقَّقَ كما أَخبرَ اللهُ ، لأنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ ، ولا يَعْجِزُ عَنْ تنفيذِ ما وَعَدَ به .

ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ هذهِ الحَقيقةَ ، وهُمْ الكافِرُونَ الّذينَ يَسْتَغْرِبونَ ، ويَسْتبْعِدونَ تَحقُّقَ ما وَعَدَ اللهُ بهِ ، وذلكَ لِجَهْلِهِمْ بصفاتِ اللهِ ، وقُدْرَتهِ على فِعْلِ ما يُريدُ .

أمَّا المُؤْمِنونَ بأنَّهمْ يَعْلمونَ أنَّ اللهَ فَعَّالٌ لِما يُريدُ ، فَهُمْ يُوقِنونَ بتحَقُّقِ كُلِّ ما وَعَدَ اللهُ بهِ ، وَيَثِقونَ بنَصْرِ اللهِ .

﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾

أكثرُ النّاسِ لا يَعْلمُونَ ، وَهُمْ الكفّارُ الجاهِلون بِصفاتِ اللهِ ، وسُنَنِهِ الّتي لا تَتبدَّلُ ، إنَّ هؤلاءِ الكفَّارَ يَعْلمونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا ، فَعِلْمُهُمْ مُوَجَّهٌ للحياةِ الدنْيا ، ومَعْرفةِ عُلومِها الماديَّةِ ، وإتْقانِ اخْتراعاتِها ، والخِبْرةِ بتنظيمِها وامْتِلاكِ مَتاعِها وأَمْوالِها ، والارْتِقاءِ بأساليبِ الصِّناعةِ والتِّجارةِ والزِّراعةِ والمَدَنيَّةِ ، والوصولِ في هذهِ العُلومِ إلىٰ مُسْتوياتٍ عاليةٍ .

لكنَّ هؤلاءِ الكفّارَ غافِلون عَنِ الآخِرَةِ ، لا يُفَكِّرونَ فيها ، ولا يَسْتَعِدُّونَ لأَحْداثِها ، ولا يَهْتَمّونَ بإنقاذِ أنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ ، والفَوْزِ بنَعيمِ الجَّنةِ ، كَما أنَّهُمْ جاهِلونَ بحقائِقِ الدِّينِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ دَلائِلِ صِدْقِ القُرْآنِ إخْبارُهُ عَنْ أَنْباءِ الغَيْبِ الَّتي تَتحدَّثُ عَنِ الأَنْباءِ الآتيةِ .

٢ـ وُجوبُ ثِقَةِ المُسْلمينَ بتحقيقِ وَعْدِ اللهِ ، وجَزْمُهُمْ بذلكَ ، كما حَصَلَ مِنَ الصِّديقِ في تَحدِّيهِ لِلْمُشْرِكينَ .

٣ـ يَقينُ المُسْلِمِ بأنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ، يُدَبِّرُ الكَوْنَ كما يَشاءُ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ العَزيزُ الرَّحيمُ .

٤ـ يَفْرَحُ المُسْلمونَ بنَصْرِ اللهِ لأَوْليائِهِ ، ويُشْفونَ صُدورَهُمْ مِنْ هَزيمةِ أعدائِهِ .

٥ـ الكُفّارُ يَهْتَمّونَ بِتَحْصيلِ العِلْمِ الدُّنيويِّ الماديِّ ، ويَغْفَلونَ عَنِ العِلْمِ الدِّينيِّ النَّافعِ .

٦ـ المُسْلِمونَ مُطالَبونَ بإعدادِ القُوَّةِ الحَربيّةِ وتَحصيلِ العُلومِ الّتي يَسْتعمرونَ بها الأَرْضَ ، فالعِلْمُ الدُّنيويُّ لَيْسَ قَصْراً على الكُفَّارِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ عنْ أيِّ شيْءٍ أخْبَرتِ الآياتُ الأُولىٰ مِنْ سورةِ الرُّومِ ؟

٢ـ لِمَاذا أحبَّ الصّحابةُ انْتصارَ الرّومِ ؟ وما دَلالةُ ذلِكَ عِنْدَكَ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بأدنىٰ الأرْضِ ؟ ومَا تحديدُ مُدَّةِ : بضْعِ سِنينَ ؟

٤ـ كيفَ تَنْظرُ إلىٰ الوعودِ الّتي وَعَدَ اللهُ بها ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا العِلْمُ الّذي أثبتهُ اللهُ لِلكفّارِ ؟ وما العلْمُ الّذي نفاهُ عنهُم ؟

٦ـ ما الفَرْقُ بيْنَ العِلْمِ بظاهرِ الحياةِ الدُّنْيا وحَقيقةِ الحَياةِ الدُّنْيا ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذكرْ ثَلاثةَ أحْداثٍ جَزَمَ القُرْآنُ بوقوعِها . وَوقَعَتْ كمَا جزمَ القُرْآنُ ، واكْتُبْها فِي دَفْتَرِك .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آيةِ قِصّةِ هاروتَ وماروتَ فِي سورةِ البَقَرةِ ذَمَّ الّذينَ لا يَعْلَمُونَ ، ولاحِظْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ ، واكتبْه في دفْترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابعَ عَشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الثَّاني

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَجَلٍ مُسَمّىً	: وَقْتٍ مُحَدَّدٍ .
عاقِبَةُ	: نِهايَةُ .
أَثارُوا الأَرْضَ	: حَرَثوهَا واسْتَصْلَحوهَا لِلزِّراعَةِ .
ٱلسُّوٓأَىٰ	: مُؤَنَّثُ الأَسْوأ ، بِمَعْنَىٰ الأَقْبَحِ .
يَبْدَأُ ٱلخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ	: يَخْلُقُ ٱلنَّاسَ ثُمَّ يُعِيدُهُم أَحْياءً يَوْمَ القِيامَةِ .
يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمونَ	: يَسْكُتُ الكافِرونَ مُتَحَيّرينَ آيِسينَ لِانْقِطاعِ عُذْرِهِم وَحُجَّتِهِم .

التفسيرُ :

ذمَّتِ الآياتُ السَّابقةُ الكافرينَ لِغَفْلَتِهِمْ عَنِ الآخِرَةِ ، وتَرْكيزِ اهْتِمامِهِم وعِلْمِهِم علىٰ تَحصيلِ متاعِ الدُّنيا ، وهَدَّدَتْهُم بالعَذابِ يَوْمَ القيامَةِ .

وتدعُو هذهِ الآياتُ إلىٰ التفكّرِ فِي المخلوقاتِ الّتي خلقَها اللهُ ، والسَّيْرِ فِي الأرْضِ للاعتبارِ بما يُشاهِدونه مِنْ آثارِ المُعذَّبينَ السَّابقينَ لِيُؤْمنوا ويَنْجوا مِن العذابِ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

تُنْكِرُ الآيةُ علىٰ الكُفّارِ عدمَ تفكُّرِهِم فِي أَنْفُسِهِمْ ، وفِي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، وتَدْعوهُمْ إلىٰ التَّفكيرِ والنَّظَرِ فِي أنْفُسِهِمْ ، وفِي مَشاهِدِ الكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، لِيَهْتَدوا بذلكَ إلىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وحِكْمَتِهِ في أفْعالِهِ ، والاسْتِدْلالِ به علىٰ انتهاءِ الدُّنْيا ومَجيءِ الآخِرَةِ .

اللهُ هوَ الّذي خَلَقَهُمْ لِحِكْمَةٍ ، وبالحَقِّ والصَّوابِ ، وجَعَلَ لِحَياتِهِمْ أجلاً مُحَدَّداً ، تنتَهي بالمَوْتِ ، واللهُ هوَ الّذي خلقَ المَخْلوقاتِ الكَثيرةِ في السّمواتِ والأرْضَ ومَا بينَهُما لِحِكْمَةٍ ، وجعَلَ لها آجالاً مُحَدَّدةً ، وجَعَلَ اللهُ لِلسَّمواتِ والأرْضِ مُدَّةً مُحَدَّدةً ، تنتهي عِنْدَ قيامِ السَّاعةِ ، ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ جَميعاً لِلْحِسابِ يَوْمَ القيامةِ .

والكافِرُون يُشْرِكُونَ باللهِ ، ويُنْكِرون الحَياةَ بَعْدَ المَوْتِ ، ولاَ يُؤْمنونَ بالآخِرَةِ ، ولاَ يَرْجون لِقاءَ اللهِ ، ولوْ تفكَّرُوا في أنْفُسِهِمْ وفي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ لَما أشْرَكُوا باللهِ ، ولما كفرُوا بالآخِرةِ!

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ دَعْوَةِ الكُفَّارِ إلىٰ التَّفكيرِ في أنْفسِهِمْ وفي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، تَدعوهُمْ هذهِ الآيةُ إلىٰ الالْتِفاتِ لِمَنْ كانوا قَبْلَهُمْ ، وتحثُّهُمْ علىٰ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والتَّحَرُّكِ فِيها ، والوُقوفِ علىٰ آثارِ السَّابقينَ ، لِلنَّظرِ والاتِّعاظِ والاعْتبارِ ، كآثارِ قَوْمِ عادٍ وسَبأٍ فِي الجَنوبِ ، وقَوْمِ ثَمود في الشَّمالِ ، وقَوْمِ لوطٍ ومَدْينَ في بلادِ الشَّامِ .

علىٰ هَؤلاءِ الكفّارِ الاعتبارُ مِنْ عاقبةِ والْكفّارِ الّذينَ كانوا مِنْ قَبْلَهِمْ ونهايَتِهِمْ ، وقَدْ كانوا أشَدَّ قُوَّةٍ وأكْثَرَ تَمْكيناً مِنْ كفّارِ قُرَيْشٍ ، حَيْثُ مَكَّنَ اللهُ لهُم فِي الأرْضِ ، وحَرَثوا الأرْضَ وزَرعوها ، وعَمَروها وسَكَنوا فِيها ، أكْثَرَ مِمّا أثارَها وعمرَها كُفّارُ قريشٍ .

بَعثَ اللهُ لِلْكُفّارِ السَّابقينَ رُسُلاً ، وأَجْرَىٰ علىٰ أيْديهِمْ البيِّناتِ والمُعْجزاتِ ، لَكنَّهُمْ كذَّبوا رُسُلَهُمْ وكفروا باللهِ ، وعَصَوْا وطغَوْا ، فَأَهْلكَهُمُ اللهُ بِذُنوبِهِم ، ولَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ظالِماً لَهُمْ ، وإنَّما هُمُ الّذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بالكُفْرِ والتّكذيبِ ، ولَمْ تَنْفَعْهُمْ قُوَّتُهُمْ ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ عذابَ اللهِ .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾ .

مِنْ نَتائجِ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والنَّظَرِ في آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقينَ ، الوقوفُ علىٰ عاقِبَةِ ونهايةِ الكفَّارِ الّذينَ أَساءوا بكفرِهِمْ وعِصْيانِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، فَقَدْ كانتْ « السُّوأَىٰ » هِي عاقِبَتُهُمْ .

و« السُّوأَىٰ » مؤنَّثُ « السُّوءِ » وهيَ تَعنِي النِّهايةَ السَيِّئَةَ القَبيحَةَ السَّوْداءَ الأَليمَةَ ، وكانتْ السُّوأَىٰ عَاقِبَةً لهُمْ لأنَّ الجَزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، فماذا يُتَوقَّعُ أنْ تكونَ عاقِبَةُ المُسيئينَ غَيْرَ السُّوأَىٰ ؟

لقدْ أَساءوا بالتَّكذيبِ بآياتِ اللهِ ، والاسْتهْزاءِ بهَا ، وعَدمِ اتِّباعِ الرُّسُلِ ، والكُفْرِ باللهِ ، وبذلكَ اسْتَحقُّوا العِقابَ ، والهَلاكَ ، جَزاءً وِفاقاً .

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١ ﴾ .

الكُفَّارُ يُنْكِرونَ الحَياةَ والبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، ويَكْفُرونَ بالآخِرَةِ وما فِيها ، وهٰذا مِنْ جَهْلِهِمْ وَسوءِ تَفْكيرِهِمْ ، ففِي حَياتِهِمْ وحَياةِ مَا حَوْلَهُمْ أدِلَّةٌ يَقينيَّةٌ علىٰ البَعْثِ ، فاللهُ قَدْ خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرتِهِ ، وهُوَ الّذي يُعيدُهُ مَرَّةً ثانيةً يَوْمَ القِيامةِ ، ومَنْ بدأَ الخَلْقَ وأَنْشأَهُ أوّلَ مَرَّةٍ قادرٌ علىٰ إعادَتِهِ مَرَّةً ثانيةً وعِنْدَما يُعيدُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيامةِ يُرْجَعونَ إليهِ ويُوقَفونَ بيْنَ يَديْهِ ، لِيُحاسِبَهمْ علىٰ ما عَمِلوا فِي دُنْياهُمْ .

﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣ ﴾ .

يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القيامةِ ، فماذا يكونُ حالُ المُجْرِمين الكافِرينَ ؟

إنَّهم يُبْلِسونَ ويَيْأَسونَ ويَحْتارونَ ، وتَنْقَطِعُ عَنْهُمُ الحُجَّةُ ، لِما يُشاهدونَ مِنْ أهوالِ يَوْمِ القِيامةِ ، ولَنْ يَجدوا شُفَعاءَ يَشْفعونَ لهُمْ أَوْ يُنْقِذونَهُمْ ، ولَنْ يَنْفَعَهُمُ الشُّركاءُ الّذينَ جعلوهُمْ آلِهَةً فِي الدُّنْيا ، وسَيَكْفُرونَ بهؤلاءِ الشُّرَكاءِ يَوْمَ القِيامةِ ، لأنَّهُمْ يَتخلَّوْنَ عَنْهُمْ وهُمْ أحْوَجُ ما كانُوا إليهِمْ . كمَا قالَ ـ تعالَىٰ ـ : ﴿إذْ تَبَرَّأَ الّذينَ اتُّبِعوا مِنَ الّذينَ اتَّبعُوا ورأَوْا العَذابَ وتَقَطَّعتْ بِهِمُ الأَسْبابُ . وقالَ الّذينَ اتَّبعوا لَوْ أَنَّ لنَا كَرَّةً فَنتبرَّأَ مِنْهُم كَمَا تَبَرَّءوا مِنا﴾ [البقرة : ١٦٦-١٦٧] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَفَكُّرُ الإنسانِ فِي آياتِ اللهِ ، في نَفْسِهِ وفي المَخْلوقاتِ مِنْ حَوْلِه يَزيدُ إيمانَهُ باللهِ .

٢ـ خَلَقَ اللهُ السّمواتِ والأرْضَ بالحق ، والحَقُّ أَنْ تَكونَ مُعَبَّدَةً للهِ الواحِدِ الأَحَدِ .

٣ـ وُجوبُ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ ، والوُقوفُ علَىٰ آثارِ السَّابِقينَ ، والاعْتِبارُ مِمَّا جرَىٰ لهُم .

٤ـ الكفَّارُ غافلونَ مَطْبوعٌ على قُلوبِهِمْ ، فلاَ يَتفكَّرونَ فِي الآياتِ الكَوْنيةِ ، ولاَ يَعْتبرونَ مِمَّا جرَىٰ لِلسَّابِقينَ .

٥ـ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العمَلِ ، ولاَ يظْلِمُ اللهُ أحداً ، فالسُّوأىٰ عاقِبَةُ المُسيئِينَ ، والحُسْنىٰ عاقبةُ المُحْسِنينَ .

٦ـ أدلةُ البَعْثِ مَوْجودةٌ حَوْلَنا ، ومِنْها خَلْقُ اللهِ النّاسَ أوّلَ مَرَّةٍ . فَمَنْ بَدَأَ الخَلْقَ يُعيدُهُ .

٧ـ الكافِرونَ المُجْرِمونَ يائِسونَ يَوْمَ القيامةِ ، لِمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عَذابِ جهنَّمَ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ ثَمرتيْنِ مِنْ ثِمارِ التَفكُّرِ في آياتِ اللهِ فِي السَّمواتِ والأرْضِ .

٢ـ اذكرْ عِبرتيْنِ تَخْرُجُ بِهما مِنْ نَظَرِك في آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقِينَ .

٣ـ اذْكُرْ خَمْسَةً مِنْ آثارِ الأَقْوامِ السَّابِقينَ مَا زالَتْ قائِمةً فِي بلادِ الشَّامِ .

٤ـ مَا عاقبةُ المُسيئِينَ ، وعاقِبةُ المُحْسنينَ ؟ ومَا أثرُ ذلكَ عَليْكَ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ، ووَضِّحْهُ .

٦ـ كَيْفَ تكونُ حَالةُ المُجْرِمينَ يَوْمَ القيامةِ ؟ ولِماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْتَرِك الآيَةَ (٦) مِنْ سورةِ الأنْعامِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبَيْنَ هذهِ الآيَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا ثَلاثَ حَقائقَ تَتعلَّقُ بموضوعِ الآيَةِ التّاسعةِ .

٢ـ عاقبةُ الّذينَ أَحْسنُوا الحُسْنىٰ . سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ يونسَ وآيةً مِنْ سورةِ الرّحمنِ ، تقرِّرانِ ذَلِكَ ، وبَيِّنِ الشَّاهِدَ فيهما .

* * *

الدَّرسُ الخَامِسَ عَشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

معاني المُفْرَداتِ :

- **رَوْضَةٍ** : بُسْتانٍ .
- **يُحْبَرونَ** : يفْرَحونَ وَيُسَرُّونَ سُروراً تَظْهَرُ آثارُهُ عَلَىٰ وُجوهِهِم .
- **مُحْضَرونَ** : يُؤْتَىٰ بِهِمْ وَيُدْخَلونَ فِي العَذَابِ .
- **سُبْحانَ ٱللهِ** : تَنْزيهَ اللهِ عَمَّا لاَ يَليقُ بِهِ .
- **تُمْسونَ** : تَدْخُلونَ فِي ٱلصَّبَاحِ عِنْدَ طُلوعِ النَّهارِ .
- **تُصْبِحونَ** : تَدْخُلونَ فِي ٱلصَّبَاحِ عِنْدَ طُلوعِ النَّهارِ .
- **عَشِيًّا** : وَقْتَ العَشِيِّ قُبَيْلَ غُروبِ ٱلشَّمْسِ .
- **تُظْهِرونَ** : تَدْخُلونَ فِي وَقْتِ ٱلظَّهيرَةِ فِي مُنْتَصَفِ ٱلنَّهارِ .

التَّفسيرُ :

دَعَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ إِلىٰ التَّفْكيرِ في آياتِ اللهِ وفي الأَنْفُسِ والآفاقِ ، والنَّظَرِ فِي آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابِقينَ للاعْتِبارِ ، وعَرَضَتْ صورَةً لِحَيْرَةِ المُجْرِمينَ الرافِضينَ لتلكَ الدَّعوةِ ويأْسِهِمْ وخَسارَتِهِمْ .

وتتحدَّثُ هٰذهِ الآياتُ عَن افتْراقِ النَاسِ فِي الآخِرَةِ ، فالكفَّارُ فِي جهنَّمَ مُعذَّبونَ ، والمُؤْمنُون فِي الجَنَّةِ مُنعَّمونَ .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

كانَ المُؤْمِنونَ فِي الدُّنيا مُخْتَلِطينَ مَعَ الكُفّارِ ، وكانَ هٰذا يُؤْذيهِمْ ، ولكنَّهُمْ يَوْمَ تَقومُ السّاعةُ يَتفرَّقُونَ ، ويَكونُ هٰذا بَعْدَ الحِسابِ ، حَيْثُ يُوقِفُ اللهُ الجَميعَ فِي ساحَةِ العَرْضِ ، ويُحاسِبُهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ ، فالمُؤْمِنونَ تَثْقُلُ مَوازينُهُمْ ويُفْلِحونَ ، والكافِرونَ تَخِفُّ مَوازينُهُمْ ويَخسَرونَ ، وبَعْدَ ذٰلِكَ يَفْصِلُ اللهُ بينَهُمْ ، فَيتفرَّقونَ ، أَهْلُ السَّعادةِ الفائِزونَ الّذينَ يأْخُذونَ كُتبَهُمْ بأيمانِهِمْ ، يَتفرَّقونَ عَنْ أَهْلِ الشَّقاءِ الّذينَ يأْخُذونَ كُتُبَهُمْ بشمائِلِهِمْ . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وامْتازوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمونَ﴾ [يس : ٥٩] .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

يَفْتَرِقُ المُؤْمِنونَ عَنِ الكافِرينَ يَوْمَ الحِسابِ ، فَيُكْرِمُ اللهُ المُؤْمِنينَ المُتّقينَ ، الّذينَ كانُوا يَعْملونَ الصَّالحاتِ في الدُّنْيا ، ويُدْخِلُهمْ جَناتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ ، يَتنعَّمونَ في رَوْضاتِها وبَساتينِها وأشْجارِها وأزْهارِها وثِمارِها ، ويُسَرُّونَ فيها سُروراً عَظيماً ، يَمْلأُ قُلوبَهُمْ ويَنْعَكِسُ علىٰ وجُوهِهِمْ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

أمَّا الفريقُ الثَّاني وهُمُ الكفَّارُ المُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ ، فَسَوْفَ يُدْخِلُهُمْ اللهُ النَّارَ ، لأنَّهُمْ أشْرَكوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ، وكذَّبُوا بآياتِ اللهِ الّتي أنْزَلَها علىٰ رسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأنكَرُوا البَعْثَ والآخِرَةَ ، وعاقَبَهم علىٰ تِلْكَ الجرائِمِ بأنْ أَمَرَ بإدْخالِهِمْ فِي جَهَنَّمَ ، وتَعْذيبِهم فيهَا ، مُخَلَّدينَ أبَداً ، لا يَخْرجونَ منْها ، ولاَ يَتوقَّفُ عَذابُهُمْ فيها . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّ المُجْرِمينَ في عَذابِ جَهنَّمَ خالِدونَ . لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسونَ﴾ [الزخرف : ٧٤-٧٥] .

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ الحَديثِ عَنِ افْتراقِ المُؤْمنينَ والكافِرينَ فِي الآخِرَةِ ، يَدعُو اللهُ المُؤْمِنينَ إلىٰ تسبيحِهِ وحَمْدِهِ ، وتَنْزيهِهِ والثَّناءِ عليْهِ ، فِي الدُّنيا ، لِيَكونوا مُنعَّمينَ في الجَّنةِ فِي الآخِرَةِ .

وتَسبيحُ اللهِ هُوَ تَمْجيدُهُ والثَّناءُ عَليْهِ ، ووَصْفُهُ بصفاتِ الكَمالِ ، وتَنْزيهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

يَدعُو اللهُ إلىٰ تسبيحِهِ وحَمْدِهِ وذِكْرِهِ والصَّلاةِ لَه فِي جميعِ أَوْقاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ ، مِنْ حينِ ابْتداءِ

المَساءِ إلىٰ نِهايةِ اللَّيلِ ، وحِينَ طُلوعِ الصَّباحِ إلىٰ وقْتِ الظَّهيرةِ ، وحين وَقْتِ الظَّهيرةِ إلىٰ وَقْتِ العَشيِّ قُبَيْلِ غُروبِ الشَّمْسِ .

ويُخْبِرُ اللهُ المُؤْمِنينَ أنَّه هوَ ـ وَحْدَه ـ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمدِ ، فَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمواتِ والأرْضِ ، يَحْمَدُهُ المَلائِكَةُ الّذينَ في السَّمواتِ ، ويَحْمَدُهُ مَنْ علَىٰ الأرْضِ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ والدَّوابِّ وباقِي المَخْلوقاتِ الحَيَّةِ .

ويُريدُ اللهُ مِنَ المُؤْمِنينَ الاسْتِمْرارَ بذكرِه وتَسْبيحِه ، وأنْ يَشْمَلَ ذلكَ كُلَّ ساعاتِ يَوْمِهِمْ : مِنَ الصُّبْحِ إلىٰ الظُّهْرِ ، ومِنَ الظُّهْرِ إلىٰ العَصْرِ ، ومِنَ العَصْرِ إلىٰ المَغْرِبِ ، ومِنَ المَغْرِبِ إلىٰ العِشاءِ ، ثُمَّ مُناجاتِه في اللَّيْلِ حَيْثُ يَعُمُّ الظَّلامُ .

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

هٰذا الإلٰهُ الّذي يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ والثَّناءَ ، المَوْصوفُ بِصِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ والعَظَمَةِ ، هُوَ ـ وَحْدَه ـ رَبُّ العالَمينَ ، وهُوَ الّذي يُدَبِّرُ السَّمواتِ والأرْضَ وما فيهِما .

وهُوَ القادِرُ علىٰ كلِّ شيءٍ ، يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ ، كما أخْرَجَ الإنْسانَ مِنَ التُّرابِ ، والدَّجاجةَ مِنَ البيضةِ ، والنَّبْتَةَ مِنَ الحبَّةِ ، ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ ، كما أماتَ الإنْسانَ الحَيَّ وأعاده تُراباً ، وأخْرَجَ البَيْضةَ مِنَ الدَّجاجةِ ، والحَبَّ اليابسَ مِنَ النَّباتِ الأخْضَرِ .

وهوُ الّذي يُحيي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، حَيْثُ تَكونُ الأرْضُ جافةً ، فيُنزِلُ علَيْها المَطَرُ ويُحْييها بِه ، وتَنْبُتُ فيها الزُّروعُ والنَّباتاتُ ، وتُصْبِحُ حَيَّةً مُخْضَرَّةً .

وجعَلَ اللهُ هذا دَليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القِيامةِ ، فكمَا أخْرَجَ الحَيَّ مِنَ الميِّتِ ، وكما أحيَا الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، يُحيي الأمْواتَ في قُبورِهِمْ ، ويُخْرِجُهُمْ مِنها أحْياءً لِيُحاسَبوا علىٰ أعْمالِهِمْ ، ثُمَّ يُعاقِبُ اللهُ المُسيءَ مِنْهُمْ ، ويُثيبُ المُحْسِنَ بالجَنَّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤْمِنونَ مُنعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، في غايةِ الفَرَحِ والسُّرورِ الّذي يَنْعَكِسُ علىٰ وُجوهِهِمْ .

٢ـ الكُفَّارُ يَدْخلونَ في العَذابِ ، ويَخْلُدونَ فيهِ أبَداً ، وبِئْسَتْ حياتُهُمْ في الدُّنْيا الّتي تَنْتَهي بِهِمْ إلىٰ الخُلودِ فِي النَّارِ .

٣ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هوَ المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ ، لِما يَتَّصِفُ بهِ مِنْ صِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ ، ولِما يَمْنَحُ عِبادَهُ مِنَ النِّعَمِ .

٤ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ فَرْضُ الصَّلواتِ الخَمْسِ ، وجَعْلُها مُقَسَّمةً علىٰ مُخْتَلَفِ ساعاتِ اليَوْمِ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وحَمْدِه وتَسبيحِهِ ، وأنْ يَشْمَلَ ذلكَ ساعاتِ يَوْمِهِ ، مُقْتَدياً فِي ذَلِكَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ الّذي كانَ يَذْكُرُ اللهَ علىٰ كُلِّ أحْوالِهِ .

٦ـ اللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، فعَّالٌ لِما يُريدُ ، فَيُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ ، ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَتَىٰ يَخْتَلِطُ المُؤْمِنونَ بالكافِرين يَوْمَ القيامَةِ ؟ ومتَىٰ يَفْتَرِقونَ ؟

٢ـ كَيْفَ يكونُ حُبورُ المُؤْمِنينَ فِي الجَنَّةِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَوْقاتَ الصَّلواتِ الخَمْسِ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ الكَلِماتِ الدالَّةِ عَليْهَا .

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثةً مِنْ أذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ ، الّتي أَرْشَدنا إلَيْها رَسولُ اللهِ ﷺ .

٥ـ اسْتَخْلِصْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ (رقم : ١٩) دَليلاً علىٰ بَعْثِ النّاسِ يَوْمَ القيامةِ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآياتِ مِنْ سورةِ المُطفِّفينَ الّتي تَتحدَّثُ عنِ الأبْرارِ ، وهُمْ تَظْهَرُ علىٰ وُجوهِهِمْ نَظْرَةُ النَّعيمِ ، واذكرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الخامسةَ عشرةَ .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٧٨) مِنْ سورةِ الإسْراءِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ومن الآيةِ الثّامنةَ عشرةَ مِنْ سورةِ الرّومِ أَوْقاتَ الصّلاةِ الخَمْسَ ، مَعَ الإشارةِ إلىٰ وَجْهِ الاسْتِدْلالِ مِنَ الآيَتَيْنِ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرَداتِ :

مِنْ آياتِه	: مِنَ ٱلأَدِلَةِ ٱلدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدانِيَّةِ ٱللهِ وَقُدْرَتِهِ .
لِتَسْكُنُوا إِلَيْها	: لِتَميلوا إِلَيْها وَتَأْلَفوها .
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً	: مَحَبَّةً وَشَفَقَةً .
ٱخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ	: ٱخْتِلافُ لُغاتِكُمْ ، مِنْ عَرَبِيَّةٍ وَغَيْرِ عَرَبِيَّةٍ .
ٱبْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ	: طَلَبُكُمُ ٱلرِّزْقَ بِالسَّعْيِ وَالعَمَلِ وَالتِّجارَةِ .
خَوْفاً وَطَمَعاً	: تَخافونَ مِنْ مَا فِي البَرْقِ مِنْ صَواعِقَ ، وَتَطْمَعونَ فِي مَا يَتْبَعُهُ مِنْ مَطَرٍ .
أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ بِأَمْرِهِ	: انْتِظامُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ بِقَدَرِ ٱللهِ وَتَدْبيرِهِ .

التفسيرُ :

أخبَرتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ افْتراقِ المُؤْمِنينَ عنِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ، ودَعَتْ إلىٰ الإكثارِ مِنْ تَسْبيحِ اللهِ وذِكْرِه وعِبادَتِه والصَّلاةِ لَهُ في مُخْتَلَفِ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ .

وُتَقدِّمُ هذهِ الآياتُ بَعْضَ الأدِلَّةِ الدَّالةِ علىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِه وعَظَمَتِه ، وهٰذهِ الأدِلَّةُ مأخوذةٌ مِنَ الأنْفُسِ والآفاقِ .

الدَّليلُ الأوّلُ في قَوْلِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

مِنَ الآياتِ والأدِلَّةِ الّتِي تَدُلُّ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِه وعَظَمَتِه خَلْقُهُ لِلنَّاسِ ، فَقَدْ خَلَقَ أَباهُمْ آدمَ مِنْ تُرابٍ ، ثُمَّ خَلَقَ لَهُ زَوْجَهُ حَوَّاءَ ، ثُمَّ خَلَقَ مِنهُما الرِّجالَ والنِّساءَ ، وتَكاثَرَ النَّاسُ ، وعَمَروا الأَرْضَ ، وانْتَشروا عَلَيْهَا وتوزَّعوا فيها ، وكَسِبوا المَعايشَ ، وكَسِبُوا الأَرْزاقَ ، وآتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وكَرَمِهِ ونِعَمِهِ .

والدَّليلُ الثَّانِي في قولِه ـ تَعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

خَلْقُ النَّاسِ وانْتِشارُهُمْ مِنْ آياتِ اللهِ ، والالْتِقاءُ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ مَحبةٌ ومَوَدةٌ ، ورَحْمَةٌ وشَفَقَةٌ ، وذلكَ لِيبقَىٰ النَّوْعُ الإنْسانِيُّ ، ويَتَحقَّقَ التَّناسُلُ والتَّكاثرُ ، وتَسْتَمِرَّ الحَياةُ الإنسانيَّةُ علىٰ وجْهِ الأَرْضِ .

وفِي سُكونِ الرِّجالِ لِلنِّساءِ ، وتَحقّقُ المُودَّةِ والرَّحْمَةِ بَيْنَهما آياتٌ لِقَوْمٍ يتفكّرونَ فِي الأُسسِ الّتي جَعَلَها اللهُ لِتنظيمِ الحَياةِ ، فيُؤْمِنونَ بِهِ ويُخْلِصونَ لهُ ويَحْمَدونَه ويَشْكُرونَهُ علىٰ هذهِ الآياتِ .

والدَّليلُ الثَّالثُ في قولِه ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ الدّالةِ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِه وعَظَمتِهِ ، خَلْقُهُ السَّمواتِ سَبْعاً طِباقاً مِنْ دونِ عَمَدٍ ، وخَلْقُهُ الأَرْضَ وتَهْيِئَتُها لِلحَياةِ .

وبَعدَما خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ وهيَّأَها لِلْحَياةِ خَلَقَ النَّاسَ ، وجَعَلَهُمْ خُلَفاءَ فِي الأرْضِ ، وبالرَّغْمِ مِنْ

أنَّ النَّاسَ مِنْ أَصْلٍ واحِدٍ ، إلاّ أنَّهُمْ مُخْتَلِفْونَ فِي أَلْسِنَتِهِمْ ولُغاتِهِمْ ، فَلِكُلِّ قَوْمٍ لُغَتُهُمُ الّتي يتفاهمون فيما بَيْنَهم بها ، وهُمْ أيْضاً مُخْتَلِفونَ في أَلْوانِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الأبْيَضُ والأحْمَرُ والأَسْوَدُ .

روىٰ أبُو داودَ عَنْ أبي موسَىٰ الأَشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِنْ قبضةٍ ، قَبَضَها مِنْ جَميعِ الأَرْضِ ، فَجاءَ بَنُو آدمَ علىٰ قَدَرِ الأَرْضِ ، جاءَ مِنْهُمْ : الأحْمَرُ والأبْيَضُ ، والأَسْوَدُ ، وبَيْنَ ذَلكَ ، والسَّهْلُ ، والحزَنُ ، والخَبيثُ ، والطَّيِّبُ ، وبَيْنَ ذلكَ »[1] .

ولا يَلْتَفِتُ لِهذِهِ الآياتِ الّتي في السَّمواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ الأَلْسِنَةِ والأَلْوانِ إلاّ الناسُ العالِمونَ ، أصْحابُ العِلْمِ النَّافِعِ ، الّذين يَهْديهِمْ إلىٰ تَعْميقِ الإيمانِ باللهِ ، والإكْثارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

والدّليلُ الرَّابعُ في قولِهِ ـ تعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ أيضاً تَيْسيرُ حَياةِ النَّاسِ ورحْمَتُهُ بهِمْ ، فَهُوَ الّذي جَعَلَهُمْ يَنامونَ باللّيْلِ ، لِيَسْتريحوا مِنَ التَّعبِ ، ويُحقِّقوا الهُدوءَ والاسْتقرارَ فيهِ ، وهُوَ الّذي جعَلَهُمْ يَتحرَّكونَ في النَّهارِ ، ويَسْعَوْنَ بجِدٍّ ونَشاطٍ ، طَلَباً لِفَضْلِ اللهِ ورِزْقِهِ .

وفِي تَيْسيرِ الحَياةِ في اللَّيلِ والنَّهارِ آياتٌ هادِيَةٌ ، لَكِنْ لا يَلْتَفِتُ لَها إلاّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ الّذين يَسْمَعُونَ سَماعَ تَدَبُّرٍ واتِّعاظٍ واعْتِبارٍ .

والدّليلُ الخامِسُ فِي قولِهِ ـ تَعالَىٰ ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

ومِنْ آياتِ اللهِ أيضاً تَيْسيرُ الحَياةِ الزِّراعيَّةِ علىٰ الأرْضِ ، فَعِندَما يَسوقُ اللهُ السَّحابَ ، يَجْعَلُ فيهِ البَرْقَ والرَّعْدَ ، ويُشاهِدُ النَّاسُ البَرْقَ ، فَيخافونَ خَشْيَةَ أنْ يُصيبَهُمْ بصاعِقَةٍ حارِقةٍ ، ولكنَّهُمْ يَطْمَعُونَ في ما يَتْبَعُهُ مِنْ مَطَرٍ نافِعٍ لهُمْ ، يُحقِّقُ اللهُ لهُمْ رَجاءَهُمْ ، فَيُنْزِلُ الماءَ مِنَ السَّحابِ ، وتَشْرَبُهُ الأَرْضُ المَيتَةُ الجافَّةُ ، فَيُحْييهَا اللهُ بهِ ، ويُنْبِتُ فيها الزَّرْعَ والنَّباتَ ، وتُثْمِرُ بهِ الأشْجارُ ويَسْتَفيدُ مِنْ ذلكَ الناسُ .

ولا يَلْتَفِتُ لِهذِهِ الآياتِ إلاّ القَوْمُ المُؤْمِنونَ ، الّذين يَعْقِلونَ ويُفكّرونَ ويَتدبّرونَ ، فَيَشْكرونَ اللهَ علىٰ هذهِ النِّعَمِ ، ويَجْعلونَها دَليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامةِ .

(١) سنن أبي داود : (٣٤) كتاب السنة . (١٧) باب في القدر . حديث رقم : ٤٦٩٣ .

والدَّليلُ السَّادسُ في قولِه ـ تعالَىٰ ـ :

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

ومنْ آياتِ اللهِ أيْضاً حِفْظُهُ لِلْسَّماءِ والأرْضِ ، فَهُوَ الّذي أَقامَ السَّماءَ مِنْ دُونِ أَعْمِدَةٍ نَراها ، وهَيَّأَ الأرْضَ لِلْحَياةِ ، فهُما قائمتان بأمْرِهِ وقُدْرتِهِ ، لَيْسَ فيهما اضْطرابٌ أَوْ خَطأٌ . ولكنَّ اللهَ جَعَلَ لهُما أجَلا ، يَنْتهيانِ بهِ عِنْدَ قيامِ السَّاعَةِ ، وفي ذلِكَ اليَوْمِ يُحيي اللهُ النَّاسَ جَميعاً ، ويُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ ، ويَدعُوهُمْ لِلْحِسابِ ، فَيُلَبُّونَ الدَّعْوَةَ مُسْرِعينَ .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ .

النَّتيجةُ الّتي يَخْرُجُ بها المُؤْمنون من الأدلَّةِ والبَراهينِ الّتي قدَّمتْها آياتُ الدَّرْسِ أنَّ اللهَ يَمْلكُ جَميعَ المَخْلوقاتِ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، لا شريكَ لهُ في ذلِكَ ، وكُلُّ المَخْلوقينَ خاضِعونَ للهِ ، طَوْعاً أوْ كَرْهاً ، يَقَعُ بهمْ قدرُهُ ، ويُعْطِيهمْ منْ إنعامِهِ وفضْلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ آياتُ اللهِ الدّالّةُ على وَحْدانيتِهِ مبثُوثةٌ في الكوْنِ ، فكلُّ ما في الكَوْنِ آياتٌ تَدلُّ على وحْدانِيةِ مُبْدعِها .

٢ـ مِنْ آياتِ اللهِ خَلْقُنا مِنْ تُرابٍ بخَلْقِ أبينا آدمَ ، ثُمَّ خَلْقُنا مِنْ ذَكرٍ وأُنْثى بعْدَ ذلِكَ .

٣ـ مِنْ آياتِ اللهِ اخْتِلافُ النَّاسِ في لُغاتِهِمْ وأَلْوانِهِمْ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ أنَّهُ جعَلَ اللَّيْلَ لِلنَّومِ والرَّاحةِ ، والنَّهارَ للْعَملِ والسَّعْيِ ، ولاَ بدَّ لِلْمُسْلمِ مِنْ أنْ يُنظِّمَ حَياتَه وِفْقَها .

٥ـ اللهُ المالِكُ ـ وحْدَهُ ـ لِكُلِّ ما في السَّمواتِ والأرْضِ ، والنَّاسُ خاضِعونَ لَهُ طوعاً أوْ كَرْهاً .

٦ـ لا يَلْتَفِتُ لآياتِ اللهِ في الأنْفُسِ والآفاقِ إلاَّ المُؤْمنونَ الّذينَ يَتفكَّرونَ ويَعْلمونَ ويَسْمَعونَ ويَعْقِلونَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الأَدِلَّةَ الدَّالةَ على قُدْرةِ اللهِ ، ورتِّبْها حَسَبَ وُرودِها .

٢ـ اذكرِ الأُسسَ الثَّلاثةَ لِلْحَياةِ الزَّوجيَّةِ السَّعيدةِ ، كمَا ذَكَرَتْها الآيةُ الحاديةُ والعِشرونَ .

٣ـ كَيْفَ تَعْتَبِرُ اخْتِلافَ الألْسِنَةِ والألْوانِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ آياتِ اللهِ ؟

٤ـ اذْكُرِ السُّنَّةَ في عَمَلِ المُسْلِمِ في اللَّيْلِ والنَّهارِ .

٥ـ لِماذا يخافُ النَّاسُ ويَطْمَعونَ عِنْدَما يرَوْنَ البَرْقَ ؟

٦ـ مَا معنَى قيامِ السَّماءِ والأرْضِ بأَمْرِ اللهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلِ الآيةَ الأُولَى منْ سورةِ النِّساءِ ، واسْتَخْرِجْ منها السُّنَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ فِي تَنْظيمِ الصِّلةِ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، واذْكُرْ وجْهَ الشَّبهِ بينَها وبَيْنَ الآيةِ الحاديةِ والعِشْرينَ .

٢ـ سجِّلْ في دَفْترِكَ آدابَ النَّوْمِ ، والأَذْكارَ الَّتي يَقولُها المُسْلِمُ عِنْدَ النَّومِ وعِنْدَ الاسْتيقاظِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعَ عشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِى مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

معاني المُفْرَداتِ :

- **لَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ** : للهِ الصِّفاتُ ٱلعُلْيا ، ٱلقائِمَةُ عَلَىٰ الكَمالَ وَالجَلالِ وَالعَظَمَةِ .
- **مَلَكَتْ أَيْمانُكُم** : مَمالِيكُكُم وَعَبِيدُكُم .
- **أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ** : اتَّبِعِ ٱلدِّينَ الحَقَّ .
- **حَنيفاً** : مائِلاً عَنِ الباطِلِ إِلَىٰ الحَقِّ .
- **فِطْرَةَ ٱللهِ** : ٱلطَّبيعَةَ المُؤْمِنَةَ المُوَحِّدَةَ للهِ الَّتِي خَلَقَ ٱللهُ النَّاسَ عَلَيْها .
- **لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ** : لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ ٱلفِطْرَةَ المُؤْمِنَةَ المُوَحِّدَةَ .
- **ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ** : ٱلدِّينُ المُسْتَقِيمُ الصَّحِيحُ القائِمُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ ٱللهِ .
- **مُنيبينَ إِلَيْهِ** : رَاجِعينَ إِلَىٰ ٱللهِ .
- **شِيَعاً** : فِرَقاً وَجَماعَاتٍ مُتَقاتِلَةً .



التفسيرُ :

أشارَتِ الآياتُ السَّابقةُ إلىٰ آياتِ وحدانيَّةِ اللهِ ودلائلِ قُدْرتِهِ وعَظَمتِهِ ، التي دَلَّ علَيْها الخَلْقُ ، ونِظامُ الكَوْنِ .

وتَتحدَّثُ هذه الآياتُ عَنْ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ وتَسْتَدِلُّ علىٰ ذلكَ بضَرْبِ المَثَلِ مِنْ واقعِ النَّاسِ ، لِتَقريرِ هذهِ الحَقيقةِ ، المُتَوافِقةِ معَ الفِطْرةِ الإنسانيَّةِ ، الّتي فطَرَ اللهُ النَّاسَ عليها .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

اللهُ هُوَ الّذي بَدأَ الخَلْقَ ، وخلَقَ المَخْلوقاتِ كُلَّها مِنَ العدَمِ ، وهُوَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في السَّمواتِ والأرْضِ ، وقَدْ خَلَقَ الإنْسانَ علىٰ غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ وحَفِظَهُ في حَياتِه ، وهُوَ الّذي يُميتُهُ ، ويَوْمَ القيامةِ يُعيدُهُ لِلحَياةِ مِنْ جَديدٍ ، لِيُحاسِبَهُ علىٰ عَمَلِهِ ، وهُوَ سُبْحانَه قادِرٌ علىٰ ذٰلِكَ ، لأنَّ مَنْ بَدَأَ الخَلْقَ قادِرٌ علىٰ إعادَتِه مَرَّةً ثانيةً .

ومَعْلومٌ أنَّ الإعادَةَ عِنْدَ البَشَرِ أهْوَنُ مِنَ البَدْءِ ، أمَّا بالنِّسبةِ إلىٰ اللهِ ، فإنَّ الإعادَةَ والبَدْءَ سَواءٌ عِنْدَهُ سُبْحانَهُ ؛ لأنَّه لَيْسَ عِنْدَه سَهْلٌ وصَعْبٌ ، فمَا شاءَ فعَلَ ، وإذَا أرادَ خَلْقَ شيءٍ يقولُ لهُ : كُنْ فَيكونُ ، ويُوجَدُ كمَا أرادَ اللهُ .

وبمَا أنَّ الأمُورَ كُلَّها بيَدِ اللهِ وهِيَ مُنقادَةٌ لهُ ، فلَهُ سُبحانَه المَثَلُ الأعْلَىٰ ، والصِّفةُ العُليا الكامِلَةُ في السَّمواتِ والأرْضِ ، لأنَّهُ هُوَ المُتَفرِدُ بالألُوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ ، ويَجبُ علىٰ المُؤْمنينَ أنْ يُثْبِتوا لهُ الأسْماءَ الحُسْنىٰ والصِّفاتِ العُلْيا التي أثْبَتَها لِنَفسِهِ ، وأخْبَرَ النَّاسَ عنْها ، ومنْها أنَّه عزيزٌ لا يُغْلَبُ ، وحكيمٌ لا يُخْطِىءُ .

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

اللهُ لهُ المَثَلُ الأعلىٰ ، وقدْ ضَرَبَ لِلنَّاسِ مَثَلاً لِلدّلالةِ علىٰ أنّه واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ ، وهٰذا المَثَلُ مأْخوذٌ مِنْ حَياةِ النَّاسِ وَواقِعِهِمْ لِيَفهموهُ .

يقولُ اللهُ لَهُم : أنتُمْ تُشْركونَ باللهِ آلِهَةً أخْرَىٰ ، فَهَلْ تَرْضَوْنَ أنْ يكونَ عَبيدُكُمُ الّذينَ تَمْلِكُونَهُمْ ، شُرَكَاءَ لَكُم في أمْوالِكُمْ ؟ وهلْ تَقْبَلونَ أنْ يُساوِيكُمْ عَبيدُكُمْ في التَّصرُفِ في أَمْوالِكُمْ ؟ وهلْ تَخافونَ أنْ يُقاسِموكُمْ أمْوالَكُمْ ؟

فإذا كنتُم لا ترْضَوْنَ ذلكَ لأنْفسكُمْ فكيْفَ ترْضَوْنه للهِ ، وتجْعلون مِنْ عبيدِهِ شُركاءَ لهُ ؟

أقامَ اللهُ بهذا المثَلِ الحُجَّةَ علىٰ المُشْرِكين ، لأنَّه يُفصِّلُ ويُوضِّحُ الآياتِ والأَدِلَّةَ ، ولكنْ لا يلْتفتُ لهَا إلاّ الّذينَ يسْتعمِلون عُقولَهُمْ ، ويُفكِّرون فيما يُقالُ لهُمْ .

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بالرَّغمِ مِنْ أنَّ الأدِلَّةَ علىٰ نَفْيِ الشِّرْكِ واضِحَةٌ ، إلاّ أنَّ المُشْرِكين لَمْ يأخُذوا بها ، لأنَّهُمْ اتَّبعوا أهْواءَهُمْ بغيرِ عِلْمٍ ، ولمْ يُحَكِّموا عُقولَهُمْ ، وساروا علىٰ غَيْرِ هُدًى ، وبذلك كانوا مُجْرِمينَ ظالِمينَ ، وقَدِ اخْتاروا الضَّلالَ والكُفْرَ ، وبذلكَ أضَلَّهُمْ اللهُ ، لأنَّ اللهَ يُوقِعُ بهِمْ نتيجةَ مَا اخْتارُوا ، ومَنْ أضلَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ ، ولاَ ناصرَ لهُ يَدْفَعُ عنهُ عَذابَ اللهِ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

إذَا كانَ الكافِرونَ يرْفضُونَ توْحيدَ اللهِ عِناداً واتّباعاً لِلْهوىٰ ، فإنَّ المُؤْمِنَ يتَّبعُ الحَقَّ المُتَوافِقَ مَعَ الفِطْرةِ ، اللهُ فطَرَ النَّاسَ علىٰ الإيمانِ بهِ وتَوْحيدِهِ وعِبادَتِهِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ـ ولِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ بَعْدِهِ ـ : أقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ الصَّحيحِ ، القائِمِ علىٰ العُبوديّةِ للهِ ، وكنْ حَنيفاً مُسْتَقيماً عَلَيْهِ ، وهْوَ دينُ الفِطْرةِ الّتي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ وخَلَقَهمْ عَليْها ، فاللهُ فَطرَهُمْ علىٰ مَعْرِفَتِهِ وتَوْحيدِهِ والخُضوعِ لَهُ .

ولاَ يَنْبَغي لأَحَدٍ أنْ يُبدِّلَ هذهِ الفِطْرَةَ السَّليمةَ أوْ يُغَيِّرَها ، ويُحرِّفَها إلىٰ الباطِلِ ، فَهيَ الدِّينُ القيِّمُ الصَّحيحُ ، الّذي لا عِوَجَ فيهِ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ يُخالِفونَ تِلْكَ الفِطْرةَ ، فلاَ يُوحِّدونَ اللهَ ، وإنَّما يُشْركونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وبذلكَ يَكونونَ جاهِلينَ غَيْرَ عالِمينَ .

﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

أمَرَ اللهُ النَّاسَ أنْ يُخْلِصوا للهِ حُنفاءَ مُتوافِقينَ مَعَ فِطْرَتِهِمْ ، وأنْ يكونوا عابِدِين لَهُ ، مُقْبِلين عَليْهِ ، راجِعينَ إليهِ ، وأنْ يُكثِروا مِنْ إقامةِ الصَّلاةِ ، المَفْروضةِ والنَّافِلَةِ .

ونَهاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، فَعليْهِمْ أنْ لا يكونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ ، لأنَّه لا يَجْتمِعُ الإيمانُ والشِّرْكُ . وذَكَرَ لهُم أنَّ حَياةَ المُشْرِكين تَقومُ علىٰ الفُرْقَةِ والخِلافِ والنِّزاعِ ، فهُمْ مُتَّبِعونَ لِلْهَوى والباطِلِ ، وقدْ فرَّقوا دِينَهُمْ ، فَصاروا فِرَقاً مُخْتَلِفَةً مُتقاتلةً مُتَنازِعَةً تَفْرَحُ كُلُّ فِرْقةٍ بمَا عِنْدَها ، وَتَزْعُمُ أنَّها وَحْدَها علَىٰ الحَقِّ ، وأنَّ غَيْرَها علىٰ الباطِلِ ، مع أنّ تلْكَ الفِرقَ كُلَّها علىٰ الباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ضَرَبَ اللهُ الأَمْثالَ فِي القُرآنِ لِتَوْضيحِ الحَقائقِ والمَعاني .

٢ـ إذَا كانَ الإنْسانُ لا يَرْضىٰ شَريكاً لهُ فِي مالِه ، فكيْفَ يَجْعَلُ شَريكاً لله .

٣ـ الكفَّارُ متَّبعونَ لِلْهوىٰ مُخْتارونَ لِلضَّلالِ ، ولِذَلكَ خَتمَ اللهُ علىٰ قُلوبِهِمْ .

٤ـ فَطَرَ اللهُ النَّاسَ جَميعاً علىٰ تَوْحيدِهِ ومَعْرِفتِهِ وعِبادتِه والْخُضوعِ إليهِ .

٥ـ الإسْلامُ ـ وَحْدَهُ ـ دِينُ الفِطْرةِ ، والأَدْيانُ الأخرىٰ مُنْحرفةٌ عنها ، كاليهوديَّةِ والنصرانيَّةِ .

٦ـ الكُفّارُ مُخْتَلِفونَ مُتفرِّقونَ ، وكُلُّ فِرْقةٍ تدَّعي أنَّهاعلىٰ الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لِماذا قَالَ اللهُ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ في حديثِهِ عَنِ الخلْقِ والإعادَةِ ؟

٢ـ وضِّحِ المثلَ المَضْروبَ فِي الآيةِ الثَّانيةِ (الرقم: ٢٨)، وكَيْفَ تَسْتَدِلُّ مِنْ خلالِه علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ ؟

٣ـ لِماذا أَضَلَّ اللهُ الكافِرينَ ؟

٤ـ عَلىٰ ماذا فَطَرُ اللهُ النَّاسَ ؟ سجِّلِ الحديثَ الدَّالَ علىٰ ذلكَ .

٥ـ مَا معنىٰ قولِه عَنِ المُشْرِكينَ ﴿كلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ؟

٦ـ بيِّنْ معنىٰ كلِّ مِنْ : مَلَكتْ أيمانُكُمْ . حنيفا . الدِّينُ القَيِّمُ . شِيَعا .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ آيةً مِنْ سورةِ يسٓ تُقرِّرُ أنَّ اللهَ يَخْلُقُ الشَّيءَ بِقَوْلِهِ : كُنْ .

٢ـ سجِّلِ الحديثَ ، الّذي رواهُ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ ، الّذي جاء فيه أنَّ كلَّ مُوْلودٍ يُوَلَدُ علىٰ الفِطْرةِ ، ثُمَّ يَنْحرِفُ النَّاسُ عَنِ الفطْرةِ بَعْدَ أنْ يَكْبَروا . واُذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَه وبَيْنَ الآيةِ الثلاثينَ .

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مَسَّ ٱلنَّاسَ** : أَصابَهُمْ .
- **ضُرٌّ** : شِدَّةٌ وَبَلاءٌ .
- **مُنيبينَ إِلَيْهِ** : رَاجعينَ إِلَيْهِ مُتَضَرِّعينَ لَهُ .
- **أَذاقَهُم** : آتاهُم وَمَنَحَهُمْ .
- **سُلْطاناً** : حُجَةً وَكِتاباً .
- **يَقْنَطونَ** : يَيْأَسونَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ .
- **يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ** : يُوَسِّعُهُ وَيُكَثِّرُهُ .
- **يَقْدِرُ** : يُضَيِّقُ الرِّزْقَ وَيُقَلِّلُهُ .

التَّفْسيرُ :

أَمَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ بإقامةِ الدِّينِ للهِ ، واسْتمرارِ العِبادةِ والإنابةِ لَهُ ، وبَيَّنَتْ أَنَّ المُشْرِكينَ يَرْفُضُون ذلكَ ، ويَزْعُمونَ أَنَّهم علىٰ حقٍّ بالرَّغْمِ مِنْ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ .

وبيّنتْ هذهِ الآياتُ سُوءَ مَوْقفِ مُعْظَمِ النَّاسِ مِنَ الابتلاءِ بالسَّرَّاءِ والضَّرَاءِ ، فهُمْ يَلْجأُونَ إلىٰ اللهِ ـ وَحْدَهُ ـ عِنْدَ الشدَّةِ ، ويُشْرِكونَ بهِ عِنْدَ الرَّخاءِ ، إلاَّ مَنْ آمنَ وعَمِلَ صالحاً .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ حالَ الإنْسانِ الكافِرِ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ ، فَهُمْ يَلْجأونَ إلىٰ اللهِ في حالِ نُزولِ الضَّراءِ بهِمْ ، ويَدْعونَه بتَضَرُّعٍ وإلْحاحٍ ، ويُنيبونَ إليْهِ ويُقْبِلونَ عَليْهِ ، ويُعاهِدونَهُ علىٰ اسْتِمْرارِ تَوْحِيدِهِ والإخْلاصِ لهُ وعِبادتِهِ ، إنْ كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ .

أَمَّا في حالِ الرَّخاءِ والنَّعْماءِ ، فإنَّهُمْ يُشْرِكونَ بهِ آلِهَةً أُخْرىٰ ، لا تَدْفَعُ ضُرًّا ولا تَجْلُبُ مَنْفَعَةً .

أمَّا المؤْمِنونَ الصَّالِحونَ فإنَّهم يَدْعونَ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، ويَعْبدونَهُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ .

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

المُشْرِكونَ يَنْسَوْنَ اللهَ عِنْدَ الرَّخاءِ ، ويُشْرِكونَ بهِ بعدَ النَّجاةِ ، ويؤولُ أمْرُهُمْ بَعْدَ ذلكَ إلىٰ الكُفْرِ باللهِ ، وجُحودِ نِعْمَتِهِ ، وإنْكارِ فَضْلِهِ ، مَعَ أنَّهُ هُوَ الّذي رَحِمَهُمْ وأنْجاهُمْ وكَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ .

ويُهدِّدُ اللهُ هؤلاءِ الكافِرينَ ، فَيقولُ لَهُمْ : اسْتَمتِعوا فِي حَياتِكُمُ القَصيرةِ ، وتمَتَّعُوا بمْتَعِ الدُّنْيا الزَّائِلةِ ، وسَوْفَ تنتهِي أعْمارُكُمْ ، وتَرْتَحِلُون عنِ الدُّنيا ، ويَوْمَ القِيامَةِ تُبْعَثونَ لِلْحِسابِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ تُعذَّبونَ في نارِ جَهنَّمَ ، وعِنْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ خَسارتَكُمْ بكُفْرِكُمْ .

فالأَمْرُ في قَوْلِهِ : « فَتَمَتَّعُوا » لِلتَّهدِيدِ والوعيدِ ، كالأمْرِ في قولِه : ﴿اعْمَلوا ما شِئْتُمْ إنّهُ بما تَعْمَلونَ بَصيرٌ﴾ [فصلت : ٤٠] .

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يُنْكِرُ اللهُ علىٰ المُشْرِكينَ شِرْكَهُمْ بهِ وعِبادتَهُمْ لِغَيْرِهِ ، مَعَ أنَّهُ هُوَ الّذي كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ ، وأنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالفَرَجِ والخَيْرِ ، ويُخْبِرُ أنَّه لَمْ يُنزِلْ عليْهِمْ كِتاباً يَأْذَنُ فيهِ بالشِّرْكِ ، لِيكونَ ذلكَ الكِتابُ حُجَّةً لهُمْ ، ولَمْ يَبْعثْ رَسولاً يُجيزُ لهُمُ الشِّرْكَ ، ويَتَكلَّمُ بمَا كانوا بهِ يُشْرِكونَ . فَشِرْكُهُمْ باللهِ قائِمٌ علىٰ غَيْرِ دَليلٍ .

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

تَعْرِضُ الآيةُ صَفْحةً أُخْرَىٰ لِنَظْرَةِ مُعْظَمِ النَّاسِ لِلرَّحْمَةِ والشِّدَّةِ ، فهُمْ عِنْدَ الرَّحْمةِ فَرِحونَ بَطِرونَ ، وهُمْ عِنْدَ الشِّدَّةِ يائِسونَ قانِطونَ ، وهذه طَبيعةُ عُمومِ النّاسِ إلاّ المُؤْمنونَ مِنْهُمْ .

يقولُ اللهُ ـ تعالَىٰ ـ : إذَا أنْعَمْنَا علىٰ النَّاسِ نِعْمَةً ، وآتيناهُمْ منَّا رَحْمةً ، فإنَّهم يَفْرَحونَ بِها ، فَرَحَ البَطَرِ والغُرورِ ، ويَنْسَوْنَ اللهَ المُنْعِمَ بها عَلَيْهِمْ ، ويَسْتَخْدِمونَهَا في مَعْصيةِ اللهِ والإفْسادِ في الأرْضِ ، ولا يَشْكرُونَ المُنْعِمَ .

وإذَا أَوْقَعَ اللهُ بهِمْ عُقوبةً ، جَزاءً لَهُمْ علىٰ ما عَمِلوا مِنْ كُفْرٍ وفُسوقٍ وعِصْيانٍ ، لَمْ يَحْتَمِلوا ذَلِكَ ، وأُصيبُوا باليَأْسِ والقُنوطِ مِنْ رَحْمةِ اللهِ ، وتَحطَّمتْ مَعْنوياتُهُمْ ، وضَعُفَتْ إرادتُهُمْ .

وعلىٰ هذا قولُه ـ تعالَىٰ ـ : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمةً ثُمَّ نَزَعناها مِنْهُ إنَّه لَيؤوسٌ كَفورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ لَيقولَنَّ ذَهَبَ السَّيئاتُ عَنِّي . إنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود : ١٠-١١] .

أمَّا المُؤْمِنونَ فإنَّهم يَشْكُرونَ اللهَ عِنْدَ السَّرَّاءِ ، ويَسْتَخدِمونَ النِّعْمَةَ في طاعةِ اللهِ ، ويَصْبِرونَ علىٰ الضَّرَّاءِ ؛ لأنَّها سَتزولُ ، ويَرْضَوْنَ بِقَدَرِ اللهِ فيها ، فهُمْ مَأْجورونَ في الحالَتَيْنِ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يدْعو اللهُ إلىٰ عَدَمِ البَطَرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، وعَدَمِ القُنوطِ عِنْدَ المُصيبةِ ، ويُذَكِّرُهُمْ بِحكمتِهِ في تَوْزيعِ الأرْزاقِ ، ويُنْكِرُ عَليْهِمْ عَدَمَ مُلاحَظةِ ذَلِكَ في حَياةِ النَّاسِ .

يقولُ اللهُ عَنْهُمْ : أَلَمْ يُشاهِدوا أَوْضاعَ النَّاسِ ، ويرَوْا تَفاوتَهُمْ في الأَمْوالِ والمُمْتَلَكاتِ ، إنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزقَ ويُوسِّعه لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ ، فَيُكَثِّرُ الأَمْوالَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ويَقْدِرُ الرِّزقَ ويُضَيِّقُهُ علىٰ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِه ، فَيُقَلِّلُ الأَمْوالَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقدْ يَكونُ مَنْ بَسَطَ اللهُ رِزْقَهُ كافِراً ، وقدْ يكونُ مَنْ ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِ الرِّزقَ مُؤْمِناً ، فقارونُ أغنَىٰ رَجُلٍ فِي العالَمِ كافِرٌ ، ومُحَمَّدٌ ﷺ أفْضَلُ المَخْلوقِينَ ، ولمْ يَمْلِكْ مِنَ الدُّنْيا إلاَّ قليلاً .

والكُفَّارُ لا يَعْرِفونَ حِكْمَةَ اللهِ مِنَ التَفاوُتِ فِي تَوْزيعِ الأَرْزاقِ ، أمَّا المُؤْمِنونَ فإنَّهمْ يتَّعِظونَ مِنْ ذلكَ ، ويَعْتبرونَهُ آيةً ودَلالةً علىٰ حِكْمَةِ اللهِ ، فَيزدادُوا إيماناً بِهِ ، ورِضاءً بِقَضائِهِ ، وزُهْداً فِي الدُّنيا ، وقَناعةً بمَا آتاهُمُ اللهُ منها ، ويُؤْثِرونَ الدَّارَ الآخِرَةَ عليْها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ- الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ مُتناقِضونَ فِي مَواقِفِهِمْ ، فهُمْ فِي الضَّرَّاءِ يَتضرَّعونَ إلىٰ اللهِ ، وفِي السَّراءِ مُشْركونَ بِهِ غَيْرَهُ .

٢ـ المُؤْمنُ مَعَ اللهِ دائماً ، يَعْبُدُه في السَّرَّاءِ ، ويُخْلِصُ لهُ فِي الضَّرَّاءِ ، يَعْرِفُهُ في الرَّخاءِ لِيَعْرِفَهُ اللهُ فِي الشِّدةِ .

٣ـ الكفّارُ خاسرون ، لأنَّ استِمْتاعهُمْ بِنعمِ اللهِ عليهم قصيرٌ ، لأنّهم في الآخرةِ ذاهبون إلى النّارِ .

٤ـ لا يَمْلِكُ الكُفّارُ حُجّةً أَوْ بُرهاناً علىٰ الكُفْرِ والشِّرْكِ باللهِ ، وهُم يتّبعون الهوى في ذلك

٥ـ مُعْظَمُ النّاسِ يفْرَحُونَ فَرحَ بَطَرٍ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، ويقنطون عِند المْصيبة ، وهم ساخطون علىٰ اللهِ .

٦ـ اللهُ حَكيمٌ في قَدَرِهِ وعَطائِهِ ، وفي تَوْزيعِ الأَرْزاقِ علىٰ النّاسِ ، ويُعطيهِمْ مِنْ ذلك بمقْدار .

٧ـ المُؤْمِنُ راضٍ بِقَدَرِ اللهِ ، فَيَشْكُرُهُ عِنْدَ السَّرّاءِ وبَسْطِ الرّزق ، ويَصْبِرُ ويَحمدُ اللهَ عند الضَّرّاءِ وتَضييقِ الرِّزقِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ مَوْقِفَ الكُفّارِ مِنَ اللهِ عِنْدَ الضُّرِّ وعِنْدَ الرَّحْمةِ والخيْرِ ، ووضِّحْ تناقُضَهُمْ فيه .

٢ـ ما عاقِبةُ اسْتِمتاعِ الكُفّارِ بالحَرامِ في الدُّنْيا وفي الآخرةِ ؟

٣ـ هلْ يَمْلِكُ الكُفّارُ دَليلاً علىٰ الشِّرْكِ ؟ وبماذا تُفَسِّرُ شِرْكَهُمْ باللهِ ؟

٤ـ لِماذا الكافِرُ يَبْطُرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ ويَقْنَطُ عِنْدَ المُصيبةِ ؟

٥ـ مَا مَوقفُ المُسْلِمِ منْ بَسْطِ الرِّزقِ لَهُ ، ومِنْ تَضْييقه عليه ؟

٦ـ اذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ نَظْرَةِ المُسْلِمِ والكافِرِ لِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ (١٢) مِنْ سورةِ يونُس ، واذْكُرْ وجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبيْنَ الآيةِ الثّالثةِ والثّلاثينَ .

٢ـ اذكرْ حَديثَ رسولِ اللهِ ﷺ الّذي يُطالِبُ المُؤْمِنَ بالشُّكرِ عِنْدَ السَّرّاءِ والصَّبْرِ عِنْدَ الضَّرّاءِ ، فلهُ الخَيْرُ والأَجْرُ في الحالَتَيْنِ ، واكْتُبْهُ فِي دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ السَّابِعُ

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ	: أَعْطِ ٱلقريبَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ ٱلبِرِّ وَٱلْمُساعَدَةِ .
ٱلْمِسْكينَ	: ٱلْمُحْتاجَ ٱلَّذي لاَ يَمْلِكُ مالاً .
ٱبْنَ ٱلسَّبيلِ	: ٱلْمُسافِرَ ٱلْمُحْتاجَ .
يُريدونَ وَجْهَ ٱللهِ	: يقصِدونَ بِعَمَلِهِمْ للهِ مُخْلِصينَ لَهُ .
يَرْبُوَ	: يَزيدُ .
ٱلْمُضْعِفُونَ	: ٱلَّذينَ يُضاعِفُ ٱللهُ لَهُم ٱلثَّوابَ .
لِيُذِيقَهُم	: لِيُعاقِبَهُم .



ذكرتِ الآياتُ السَّابقةُ سوءَ مَوْقفِ النَّاسِ مِنَ السَّرّاءِ والضَّرّاءِ ، وبَطَرَهُمْ بالنِّعْمَةِ ، وقُنوطَهم مِنَ الشِّدَّةِ ، وقَرَّرتْ أنَّ اللهَ حَكيمٌ فِي بَسْطِهِ الرِّزْقَ لِبَعْضِ عِبادِهِ ، وتَضْييقِهِ علىٰ آخَرينَ ، ولاَ يُدْرِكُ حِكْمَةَ ذَلِكَ إلاَّ المُؤْمِنونَ .

وتَدْعو هذه الآياتُ الرّسولَ ﷺ والمُؤْمنينَ إلىٰ الإنْفاقِ فِي سَبيلِ اللهِ ، وتُذَكِّرُهُمْ بأَنَّ المالَ الّذي عِنْدَهُمْ رِزْقٌ مِنَ اللهِ ، وتُحذِّرُهُمْ مِنْ مُخالَفَةِ أَمْرِ اللهِ .

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

الرِّزْقُ بيَدِ اللهِ ، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ، وعلَىٰ المُؤْمِنِ أنْ لا يَتوقَّفَ عَنِ الإحْسانِ لِلْمُحتاجينَ ، والإنْفاقِ فِي سَبيلِ اللهِ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِه ، أَعْطِ أَقارِبَكَ حَقَّهُمْ مِنْ مالِكَ ، ، الّذي رَزَقَكَ اللهُ إيّاهُ ، وذلكَ بأنْ تَبَرَّهُمْ بِهِ وتُحْسِنَ إليْهِمْ وتَصِلَهُمْ ، وهُم أَحَقُّ النَّاسِ بالتَّواصُلِ والتَّزاوُرِ والإحْسانِ والشَّفَقةِ ، لِما بيْنَك وبَيْنَهم مِنْ رَحِمٍ وقُربَىٰ .

كذلكَ أَعْطِ المِسْكينَ حَقَّهُ ، لأنَّ ما عِنْدَهُ لا يَكْفيهِ ، وأَعْطِ المُسافِرَ حَقَّهُ ، لأنَّهُ انقطَعَ عَنْ أهْلِهِ ومالِه ، وابْتَغِ بإعطاءِ هؤلاءِ وَجْهَ اللهِ ، وكُنْ مُخْلِصاً للهِ ، وافْعَلْ ذلكَ مِنْ دونِ رياءٍ أو طَلَبٍ لِلسُّمْعَةِ والشُّهْرَةِ والثَّناءِ مِنَ النَّاسِ .

وإعْطاءُ هؤلاءِ المُحْتاجينَ خَيْرٌ لِلْمُعْطينَ المُتَصَدِّقينَ ، بِشَرْطِ أنْ يَقْصِدوا بذلكَ وَجْهَ اللهِ ، وهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ لِما يَترتَّبُ عَلَيْهِ مَن جَزيلِ الأَجْرِ والثَّوابِ ، وبذلكَ يَكونونَ مُفْلِحينَ فائِزينَ فِي الآخِرَةِ .

وهٰذا الإعطاءُ خَيْرٌ لِلْمُسلِمينَ ، لِمَا يَنْتُجُ عنْه مِنْ تكافُلٍ وتَعاوُنٍ ، ومَودَّةٍ ومَحَبَّةٍ ، وتَقْويةِ الرَّوابطِ بَيْنَهُمْ ، ومُحاربةِ الحِقْدِ والحَسَدِ والفَقْرِ .

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

إعطاءُ الصَّدَقةِ لِلْمُحتاجينَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ ، وإعْطاءُ المُرابينَ الرِّبَا شَرٌّ قَبيحٌ عِنْدَ اللهِ ، ولِذلكَ يَدعُو اللهُ النَّاسَ إلىٰ إعْطاءِ الزَّكاةِ وعَدمِ إعْطاءِ الرِّبَا ، ويَقولُ لهُم : بَعْضُكُمْ يَتعامَلُ مَعَ الآخَرينَ بالرِّبَا ، فَيُعطيهِمْ مِنْ مالِه بالرِّبا ، لِيَربوَ مالُهُ ويَنمو ويَزيدَ ، بمَا يأْخُذُهُ منهُم مِنْ مالٍ زِيادةً علىٰ المَبْلَغِ

الّذي آتاهُمْ إيّاهُ ، ولكنْ هٰذا الرِّبَا لا يَربُو عِنْدَ اللهِ ولا يَنْمو ، لأنَّ اللهَ يَبْغُضُ الرِّبَا ، ويُحارِبُ المُرابِينَ ، ويَمْحَقُ المالَ ويَقْضِي عَلَيْهِ ، فَصاحِبُه خاسِرٌ فِي النِّهايَةِ ، وإنَّ أَخذَ الزِّيادةِ الماليَّةِ مِنَ المُقْتَرِضِ المُحْتاجِ ، فَهِيَ ورَأسُ المالِ إلىٰ هَلاكٍ .

والعَطاءُ الّذي يُثابُ عَلَيْهِ صاحِبُه هو الزَّكاةُ ، يُعْطِيها المُؤْمِنُ لِلْمُحتاجِينَ ، يَبْتَغِي بذلكَ وَجْهَ اللهِ ، فاللهُ يُعطيهِ الثَّوابَ المُضاعَفَ والجَزاءَ الأفْضَلَ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يُضاعِفُ اللهُ الأجْرَ لِلْمُتصدِّقينَ المُخْلصِينَ لأنَّ الرِّزْقَ بيدِه وَحْدَهُ ، وهُو المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والرِّزْقِ والإماتةِ والإحْياءِ ، لا يُشارِكُهُ فِي ذلكَ شَريكٌ .

ولِذَلكَ يَقولُ اللهُ لِلنَّاسِ : اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ ، خَلَقَكُم مِنَ العَدَمِ ، ورزَقَكُمْ وتَكفَّلَ بِحياتِكم ، وَهُو ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يُميتُكُمْ ، وَهُو الّذي يُحيِيكُمْ عِنْدَما يَبْعثُكُمْ لِلْحِسابِ والجَزاءِ في الآخِرَةِ . ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الشُّرَكاءِ الّذينَ جَعَلَهمُ المُشْرِكُون آلِهَةً فِعْلَ شَيْءٍ مِنْ ذلكَ ، واللهُ لَيْسَ لَهُ شَريكٌ ، فَهُوَ المُنزَّهُ عمَّا يَنْسُبُه لهُ المُشْرِكونَ ، وهُوَ المُتعالِي عَنْ خَلْقِهِ ، فَهُوَ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ ، لا نِدَّ لهُ ولا صاحِبةَ ولا ولداً .

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

مَعَ أنَّ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ هوَ المُتَفرِّدُ بالخَلْقِ والرّزقِ والإحْياءِ والإماتَةِ ، فإنَّ المُشْرِكينَ جَعلوا لهُ الشُّرَكاءَ ، وأدَّىٰ إشراكُهُمْ باللهِ إلىٰ انْتِشارِ الفَسادِ في الأرْضِ ، فاللهُ عاقَبَ المُشْرِكينَ بأنْ مَحَقَ مَظاهِرَ الخَيْرِ والنَّماءِ في حياتِهم ، وبذلكَ ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبَحْرِ ، وعَمَّ الخَلَلُ العالَمَ ، وكَثُرَتْ المَضارُّ ، وقَلَّتْ المَنافِعُ ، ونَقَصَتِ الزُّروعُ والثِّمارُ ، وقلَّتِ الأمْطارُ ، وانْتَشرَ الجَدْبُ والمَحْلُ والقَحْطُ ، وصارَتْ حياةُ النَّاسِ ضَنكاً ، وكانَ هٰذا عِقاباً مِنَ اللهِ لهُم ، بِسَبَبِ ما عَمِلَتْهُ أيْديهِمْ مِنْ ذنوبٍ ومَعاصٍ ، ومَا نَسَبُوهُ للهِ مِنَ الشُّرَكاءِ . وفَعَلَ اللهُ ذلكَ بهِمْ لَعلَّهُمْ يَرْجِعونَ إلَيْهِ ويُوحِّدونَهُ ، ويَتَخَلَّوْنَ عنْ شِرْكِهِم وكُفرِهِم . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وبَلَوْناهُمْ بِالحَسَناتِ والسَّيئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعونَ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

ويَدْخُل في الإفْساد البَشَرِيِّ لِلبَرِّ والبَحْرِ ما يَقومُ بِهِ النَّاسُ مِنْ إفْسادِ البِيئَةِ ، ومِنْ ذلكَ ما تُحْدِثُهُ مُخَلَّفاتُ المَصانِعِ الصِّناعيةِ والحَرْبِيةِ مِنْ تَدميرٍ لِلغاباتِ وقَتْلٍ للأحْياءِ البَرِّيَّةِ والمَائيَّةِ ، وتَلْويثٍ لِلْبيئَةِ ، وإفْسادٍ لِلْهواءِ ، وتَأْثيرٍ على المُجْتَمعاتِ الإنْسانيّةِ .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

عاقَبَ اللهُ المُشْرِكينَ السَّابقينَ بإفْسادِ حَياتِهِمْ ، ويَدعُو الكُفّارَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِمُشاهَدَةِ آثارِهِمْ لِلاعْتبارِ ، ولِذلكَ أمَرَ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لِلْمُشركينَ : سيروا فِي الأَرْضِ ، وتَحرَّكوا في البلادِ ، ولاحِظوا آثارَ القَوْمِ المُعَذَّبينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وانْظُروا كَيْفَ كانَتْ عاقِبَتُهُمْ ، حَيْثُ عاقَبَهَمُ اللهُ بِسَببِ شِرْكِهِمْ وذُنوبِهِمْ ، وأَبْقىٰ آثارَهُمْ لِتكونَ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المُتَصَدِّقِ أنْ يَتَصدَّقَ علىٰ أقاربِهِ وأَرْحامِهِ المُحْتاجِينَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ ، لِيَكونَ لهُ بذلكَ أَجْرُ الصَّدقةِ وصِلَةِ الرَّحِمِ .

٢ـ إنفاقُ المَالِ في سَبيلِ اللهِ يُؤَدِّي إلىٰ تَنْميةِ المالِ وزيادتِهِ إضافَةً إلىٰ مُضاعَفَةِ الأجْرِ عِنْدَ اللهِ .

٣ـ لا تُقْبَلُ النَّفَقةُ مِنْ صاحِبِها إلاّ إذا ابتَغَى بِها وَجْهَ اللهِ ، وأَخْرَجَها خالِصَةً للهِ .

٤ـ اللهُ هُوَ المُتَفرِّدُ بِخَلْقِ النَّاسِ وإحْيائِهِمْ وإماتَتِهِمْ ، وهُوَ ـ وَحْدَهُ ـ المُتَكفِّلُ بِرِزْقِهِمْ .

٥ـ يُعاقِبُ اللهُ الكُفّارَ والعُصاةَ بإفسادِ حَياتِهِمْ واخْتلالِ مَظاهِرِ عَيْشِهِمْ ، بِسَبَبِ ذُنوبِهِمْ .

٦ـ وُجوبُ السَّيْرِ فِي الأرْضِ ، والاعْتبارِ مِمَّا جَرىٰ لِلْمُعذَّبينَ السَّابِقينَ .

٧ـ تَلْويثُ البيئةِ وإفْسادُها يَدْخُلُ فيما حَرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ عرِّفْ : ذَا القُربىٰ ، والمَساكِينَ ، وابنَ السَّبيلِ ، ومَا المُرادُ بإيتاءِ هؤلاءِ حَقَّهُم .

٢ـ بيِّنْ عاقِبَةَ التعامُلِ بالرِّبا علىٰ المالِ نَفْسِهِ ، واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلكَ بآيَتَيْنِ مِنَ القُرْآنِ .

٣ـ مَنِ المُضْعِفونَ عِنْدَ اللهِ ؟ وكَيْفَ يكونونَ ذلكَ ؟ اسْتَشْهِدْ علىٰ ذلكَ بآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ .

٤ـ اذْكُرْ صورتَيْنِ مِنْ صُوَرِ ظُهورِ الفَسادِ فِي الأرْضِ ، ومَا سَبَبُ ذلكَ ؟

٥ـ مَا الهَدفُ مِنْ دَعْوَةِ القُرْآنِ إلىٰ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ ؟

٦ـ سَجّلْ أَرْبعَ دَلالاتٍ وعِظاتٍ تَخْرُجُ بهَا مِنْ وُقوفِك علىٰ آثارِ القَوْمِ المُعَذَّبينَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْترِك حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ فَضْلَ الصَّدَقةِ علىٰ القريبِ .

٢ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ البَقَرةِ تُقرِّرُ مَحْقَ اللهِ لِلرِّبا ، وآيةَ أخرىٰ يُعْلِنُ اللهُ فِيها الحَرْبَ علىٰ المُرابينَ ، واذْكُرِ الشَّبهَ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ التّاسعةِ والثلاثينَ .

٣ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك آيةً مِنْ سورةِ البقرةِ تُقَرِّرُ مُضَاعفَةَ القَرْضِ الحَسَنِ أضْعافاً كَثيرةً ، وآيةً أخْرىٰ مِنَ السُّورةِ نَفْسِها تشبِّهُ ذلك بالحَبَّةِ الّتي تُنْبِتُ سَبْعَ سنابلَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العِشْرُونَ

سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسمُ الثَّامِنُ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينَ ٱلقيِّم	: وَجِّهْ نَفْسَكَ لِلْعَمَلِ بالدِّينِ ٱلْمُسْتَقيمِ ، وَهُوَ ٱلإِسْلامُ .
لاَ مَرَدَّ لَهُ	: لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّهِ أَوْ مَنْعِ وُقوعِهِ .
يَصَّدَّعونَ	: يَتَصَدَّعُ ٱلنَّاسُ وَيَتَفرَّقونَ بَعْدَ ٱلْحِساب ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وفَريقٌ فِي النَّارِ .
لأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدونَ	: يُجَهِّزونَ وَيُهَيِّئونَ مَنازِلَهُم فِي ٱلْجَنَّةِ لأَنْفُسِهِمْ بِعَمَلِهِمْ ٱلصَّالِحِ .
ٱلرِّياحَ مُبَشِّراتٍ	: ٱلرِّيَاحَ تُبَشِّرُ بالخَيْرِ ، وَهِيَ ٱلَّتِي تَسْبِقُ ٱلسَّحابَ وَالغَيْثَ .
لِيُذِيقَكُم مِن رَّحمَتِهِ	: يُنَزِّلَ عَلَيْكُمُ ٱلمَطَرَ رَحْمَةً بِكُم .
ٱلفُلْكُ	: ٱلسُّفُنُ .
تَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ	: تَطْلُبوا ٱلرِّزْقَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ بِٱلتِّجارَةِ .

التَّفسيرُ :

كُفْرُ المُشْرِكينَ وعِصْيانُهُمْ يُؤَدّي إلىٰ ظُهورِ الفَسادِ في البَرِّ والبَحْرِ ، وإيقاعِ العِقابِ الإلٰهِيِّ بِهِمْ ، وآثارُ المُعَذَّبينَ السَّابِقينَ شاهِدَةٌ علىٰ ذلكَ ، هٰذا ما بيَّنَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ السابِقِ .

وتَدعو هذهِ الآياتُ المُؤْمنينَ إلىٰ الاسْتِقامَةِ علىٰ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالحِ ، واسْتِغلالِ حياتِهِمُ الدُّنْيا بذلكَ ، لِيَنالوا الجَنَّةَ في الآخِرَةِ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

يأْمُرُ اللهُ رسولَهُ مُحَمّداً ﷺ وكلَّ مُسْلِمٍ منْ بَعْدِهِ ، بالاسْتِقامَةِ علىٰ دينِ اللهِ ، ويَقولُ لَه : اسْتَقِمْ علىٰ طاعَةِ اللهِ ، وأَخْلِصِ العَمَلَ للهِ ، وَوَجِّهْ نَفْسَك لِلْعَمَلِ بالإسْلامِ ، وبادِرْ إلىٰ الخَيْراتِ والأعْمالِ الصّالِحَةِ ، واسْتَفِدْ مِنْ فُرْصَتِك المُتاحَةِ في حَياتِك الدّنْيا ، الّتي جَعَلَها اللهُ دارَ تَكْليفٍ وعَمَلٍ .

والإسْلامُ هُوَ الدّينُ المُسْتقيمُ ، الّذي لا عِوَجَ فيهِ ولا خَطأَ ولا انْحِرافَ ، وهُوَ الدِّينُ الوَحيدُ المَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ ، قالَ تعالَىٰ : ﴿وأنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتَّبِعوهُ . ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

والمُؤْمِنُ يَسْتَغِلُّ حياتَه لِلْعَمَلِ الصّالِحِ ، قَبْلَ أنْ يَحينَ أجَلُهُ ، ويَنْقَطِعَ عَمَلُهُ بالمَوْتِ ، وذلكَ لِيَجِدَ جَزاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ القيامَةِ .

ويَوْمُ القيامَةِ آتٍ مِنْ دونِ شكٍّ ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ علىٰ رَدِّهِ أوْ دَفْعِهِ ، أو مَنْعِ وُقوعِهِ ، لأنَّ اللهَ قَدَّرَ مَجيئَهُ ، وآخَّرَهُ لأجَلٍ مَعْدودٍ ، ومَا قَدَّرَهُ اللهُ وأَرادَ مَجيئَهُ فلاَ رادَّ لهُ . كَمَا قَالَ تعالَىٰ : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْموعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَومٌ مَشْهودٌ . وما نُؤَخِّرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ مَعْدودٍ﴾ [هود : ١٠٣ـ١٠٤] .

وفِي ذلكَ اليَوْمِ يَتصدّعُ النَّاسُ ، ويَنْقَسِمونَ إلىٰ فَريقَيْنِ ، وذلكَ بَعْدَ بَعْثِهِمْ وحِسابِهِمْ ، فَهُناكَ مُؤْمِنون مُنَعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، وهناكَ كافِرونَ مُعَذَّبونَ في النَّارِ .

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

الناسُ يَتَصدَّعونَ ويَتفرَّقونَ يَوْمَ القيامَةِ ، ويكونُ جَزاءُ كلٍّ مِنْهُمْ علىٰ أَساسِ عَمَلِهِ الّذي كانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيا ؛ لأنَّ الدُّنْيا دارُ عَمَلٍ ، والآخِرَةَ دارُ جَزاءٍ .

مَنْ كانَ كافِراً في الدُّنْيا فَعَلَيْهِ وَبالُ وعاقِبَةُ كُفْرِهِ فِي الآخِرَةِ ، وهُوَ لَمْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وإنَّما ضَرَّ نَفْسَهُ ، بأنْ أَدْخَلها نارَ جَهنَّمَ .

ومَنْ كانَ فِي الدُّنْيا مُؤْمِناً حَريصاً علىٰ عَمَلِ الصَّالحاتِ فَقَدْ أَنْجىٰ نَفْسَهُ وأَسْعَدَها ، وبذلكَ كانَ مُفلحاً فائزاً ، حَيْثُ يُدْخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ برَحْمَتِهِ .

والمُؤْمِنونَ ذَوُو بَصيرةٍ وهُمْ بَعيدُو النَّظَرِ ، فَقَدْ حَرَصُوا علىٰ الإكْثارِ مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ ، لأنَّهم يُريدونَ نَتيجَتَها فِي الآخِرَةِ ، وهِيَ الخُلودُ فِي الجَنَّةِ ، وبذلكَ كانُوا وهُمْ فِي الدُّنيا يَمْهَدُونَ لإقامَتِهِمُ الدَّائمةِ فِي الآخِرَةِ. . فالَّذي يَعْمَلُ العَمَلَ الصَّالحَ إنَّما يُمَهِّدُ بذلكَ لِنَفْسِهِ فِي آخِرَتِهِ ، ويُهَيِّئُ لها أَسْبابَ الرَّاحةِ هُناكَ ، فإتْعابُه لِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيا لِيُريحَها يَوْمَ القيامَةِ .

﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

الآخِرَةُ دارُ جزاءٍ ، والنَّاسُ هُناكَ يَنْقَسِمونَ إلىٰ فريقَيْنِ : مُؤْمِنينَ وكافِرينَ . فعلَىٰ أيِّ أَساسٍ يَكونُ الجَزاءُ ؟ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ فِي الدُّنْيا كانوا مُحْسِنينَ ، واللهُ يَجْزي بالإحْسانِ إحْساناً ، فَهؤلاءِ لا يُضيعُ اللهُ لَهُمْ ثَوابَ أعْمالِهِمْ ، إنَّما يَجزيهِمْ عَلَيْها بالثَّوابِ الجَزيلِ الجَميلِ ، ويَتَفضَّلُ عَلَيْهِمْ بِمُضاعَفَةِ الثَّوابِ ، حَيْثُ يُعْطِي علىٰ الحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثالِها ، إلىٰ سَبعمائةِ ضِعْفٍ . ثمَّ يُكْرِمُهُمْ بِإدْخالِهِمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وفَضْلِهِ .

أمَّا الكافِرونَ فَقَدْ كانوا في الدُّنْيا سَيِّئِينَ مُجْرِمينَ ، وهؤلاءِ يُحاسِبُهُمُ اللهُ بِعَدْلِهِ ، فلاَ يَزيدُ عَلَيْهِمْ معاصِيَ لَمْ يَعْملوها ، لأنَّه لا يَظْلِمُ سُبحانه أَحَداً ، ونَتيجةُ حِسابِهِمْ هِيَ خَسارَتُهُمْ ، حَيْثُ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ ، ويُعَذِّبُهُمْ مُخلَّدينَ فِيها . وهُوَ لا يُحِبُّهُمْ لِكُفْرِهِمْ وجَرائِمِهِمْ .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

مِنْ آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وحْدانِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ الرِّياحُ المُرْسَلَةُ ، وقَدْ ذَكَرَ في هذهِ الآيَةِ ثَلاثاً مِنْ مَنافِعِها :

١ـ أنَّ اللهَ يُرْسِلُها بَيْنَ يَدي السَّحابِ تَحْمِلُ عَبَقَ المَطَرِ وشَذاهُ فَتكونُ مُبَشِّرَةً لِلنَّاسِ بِقُرْبِ نُزولِهِ ، فَيَفْرَحُ العِبادُ ويَسْتَبْشِرون .

٢ـ ثُمَّ تَقْدُمُ الرِّياحُ المُرْسَلَةُ تَحْمِلُ رَحْمَةَ اللهِ : المطر ، فيراهُ النَّاسُ عِياناً يَنْزِلُ بِساحَتِهِمْ بَعْدَ أنْ بَشَّرَتْهُمْ بهِ مِنْ قَبْلُ ، فَيَشْربونَ هُمْ وبَهائِمُهُمْ مِنْهُ ، ويُنْبِتُ لَهُمْ بهِ الزَّرْعَ ويُدِرُّ بهِ الضَّرْعَ ، ويُحْيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها .

٣ـ أنَّ الرِّياحَ المُرْسَلَةَ تَسوقُ السُّفُنَ في البَحْرِ ، ولَقَدْ كانتِ الرِّياحُ الوَسيلةَ الأَعْظَمَ في تَسْييرِ السُّفُنِ في البِحارِ قَبْلَ أنْ تُخْتَرَعَ الآلاتُ المُحَرِّكَة لِلسُّفُنِ في العَصْرِ الحديثِ .

وكانتِ السُّفنُ وما زالتِ الوَسيلةَ الأَعْظَمَ في الانْتِقالِ وحَمْلِ الأثْقالِ ، فَعَلَيْها يَتحرَّكونَ ، وهِيَ لا تَجْرِي إلاَّ بأمْرِ اللهِ وإرادَتِه . . ويَتَحَرَّكونَ ويَتَنقَّلونَ لِلْكَسْبِ والعَمَلِ ، يَبْتَغونَ أنْ يَنالوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ورِزْقِهِ .

وعَلَيهِمْ أنْ يَشْكرُوا اللهَ علَىٰ هذهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بهَا عَلَيْهِمْ ، لِيزيدَهُمُ اللهُ مِنْها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَسْتقيمَ علىٰ طاعَةِ اللهِ ، مُلْتَزماً بالدِّينِ القَيِّمِ ، مُخْلصاً في ذلكَ للهِ .

٢ـ يَوْمُ القِيامَةِ آتٍ لاَ رَيْبَ فيهِ ، ولاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ علىٰ رَدِّهِ ودَفْعِهِ ، لأنَّه لاَ رادَّ لأمْرِ اللهِ .

٣ـ النَّاسُ المُخْتَلِطونَ في الدُّنيا ، يَصَّدَّعونَ مُنْقَسِمينَ إلىٰ قِسْمَيْنِ في الآخِرَةِ ، مُؤْمنينَ وكافِرينَ .

٤ـ المُؤْمِنُ بَصيرٌ فَهُوَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيا يُمَهِّدُ لِحُسْنِ إقامَتِهِ فِي الجَنَّةِ .

٥ـ عَلَىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَتَعرَّفَ علىٰ الأصنافِ الَّذينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ لِيَتَّصِفَ بِصِفاتِهِمْ ، ويَتعرَّفَ على الّذينَ لاَ يُحِبُّهمُ اللهُ لِيَبْتَعِدَ عَنْهُمْ ، ويُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْ صِفاتِهِمْ .

٦ـ المُؤْمِنُ يُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللهِ وشُكْرِهِ ، اعْترافاً مِنْهُ بِفَضْلِهِ وإنْعامِهِ ، ونِعَمُ اللهِ لا تُحْصَىٰ .

٧ـ الرِّياحُ المُرْسَلَةُ آيةٌ مِنْ آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على وَحْدانِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، ومَنافِعُها كَثيرةٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا مَعنَىٰ قولِهِ عنْ يومِ القيامةِ ﴿يَوْمٌ لا مَردَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ ؟

٢ـ اذْكُرْ أَقْسامَ النّاسِ حَسَبَ مَصائِرِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، وصِفَةَ كُلِّ قِسْمٍ ، وعاقبتَهُ النِّهائيَّةَ .

٣ـ كَيْفَ يُمَهِّدُ المُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ ؟

٤ـ اذْكُرْ أَسْماءَ ثلاثةٍ مِمَّنْ لا يُحِبُّهُمُ اللهُ ، وثَلاثةً مِمّنْ يُحِبُّهمُ اللهُ .

٥ـ كَيْفَ تَكونُ الرِّياحُ مُبَشِّراتٍ لِلنَّاسِ ؟ وبِمَاذا تُبَشِّرُهُمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ تَكرَّرَ الأَمْرُ بإقامَةِ الوَجْهِ لِلدِّينِ في هذهِ السُّورةِ مرَّتيْنِ ، فِي الآيةِ (٣٠) وفِي الآيةِ (٤٣) . انظرْ مَوْضوعَ الآيتيْنِ ، ولاحِظِ الفَرْقَ بَيْنَ الأمْرَيْنِ .

٢ـ مَنِ الّذينَ لا يُحِبُّهُمُ اللهُ ؟ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ القُرْآنِ اثنيْنِ مِنَ الّذينَ لا يُحِبُّهُمُ اللهُ . ذاكراً آيةً علىٰ كلِّ صِنْفٍ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الحادِي والعِشْرون

سُورَةُ الرُّومِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

معاني المُفْرداتِ :

فَتُثِيرُ سَحاباً : تُحَرِّكُ الرِّياحُ سَحاباً وَتَسوقُهُ .

يَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ : يُنْشُرُ السَّحابَ فِي السَّماءِ ، مُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ .

يَجْعَلُهُ كِسَفاً : يَجْعَلُ هٰذَا السَّحابَ قِطَعاً مُتَفَرِّقَةً .

تَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ : تَرَى المَطَرَ يَنْزِلُ مِنْ وَسَطِ السَّحابِ .

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرونَ : إِذَا هُمْ يَفْرَحونَ بِالمَطَرِ .

مُبْلِسينَ : آيِسينَ مِنْ نُزولِ المَطَرِ .

آثارِ رَحْمَةِ اللهِ : آثارُ المَطَرِ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّباتِ وَالثِّمارِ .

رَأَوْهُ مُصْفَرّاً : رَأَوْا الزَّرْعَ مُصْفَرّاً مِنَ الرِّيحِ الحارِقَةِ .

التَّفْسيرُ :

أَشارَتِ الآياتُ السَّابقةُ إِلىٰ رَحْمَةِ اللهِ بالمُؤْمِنينَ ، ومِنْ ذلكَ هِدايتُهُمْ لِلدِّينِ القَيِّمِ ، وأَمْرُهُمْ

بالاسْتِقامَةِ عَلَيْهِ ، ودَعْوَتُهُمْ إلىٰ العَمَلِ الصَّالحِ لِينالوا حُسْنَ الجزاءِ والفَضْلِ مِنَ اللهِ .

وتُتابِعُ هذهِ الآياتُ تَقْديمَ نَماذجَ أُخْرىٰ مِنْ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ ، وتَتَحدَّثُ عَنْ رَحْمَتِهِمْ بإرسالِ الرُّسُلِ وإنْزالِ الكُتُبِ ، ورَحْمَتِهِمْ بالرِّياحِ والأَمْطارِ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

مِنْ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ إرْسالُهُ الرُّسُلَ إلَيْهِمْ ، وإنْزالُهُ الكُتُبَ عَلَيْهِمْ ، لِيُرْشِدوهُمْ إلىٰ سَواءِ السَّبيلِ ، لَكِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ رَفضوا تِلْكَ الرَّحْمَةَ ، فأَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عِقابَهُ .

وقدْ واسَى اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ علىٰ ما يَجِدُهُ مِنْ تكذيبِ قَوْمِهِ ، وأَخْبَرَهُ أنَّه لَيْسَ أوَّلَ مَنْ وُوجِهَ بذٰلِكَ ، وقالَ لَهُ : لَقَدْ أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إلىٰ أقْوامِهِمْ ، فَدعوهُمْ إلىٰ الإيمانِ والتَّوْحيدِ ، وقدَّموا لَهُمُ الآياتِ البَيِّناتِ الدَّالَّةِ علىٰ صِدْقِهِمْ ، ولَكِنَّ مُعْظَمَ أقوامِهِم كذَّبوهُمْ وكَفروا بهِمْ ، وبذلكَ حَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُنا ، فَأَوْقَعْنا بهِمُ العَذابَ والهَلاكَ ، وانْتَقَمْنا مِنْهُمْ بِسَبَبِ إجْرامِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، ونَصَرْنَا الرُّسُلَ وأَتْباعَهُمُ المُؤْمنينَ . وهٰذهِ هِيَ سُنَّتُنا الّتي لا تَتَخلَّفُ : الانتقامُ مِنَ الكُفَّارِ ، ونَصْرُ المُؤْمِنينَ .

فأَنْتَ لَسْتَ أوَّلَ رَسولٍ كذَّبَهُ قومُهُ ، ولَكَ فِي إخْوانِكَ الرُّسُلِ السَّابِقينَ أُسْوةٌ ، فاصْبِرْ علىٰ تَكذيبِ قَوْمِكَ ، حتّىٰ نأتِيَكَ بالنَّصْرِ والفَرَجِ .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ بإرْسالِ الرُّسُلِ إليْهِمْ إلىٰ الحَديثِ عنْ رَحْمَتِهِ بهِمْ بإنزالِ المَطَرِ عَلَيْهِمْ ، وتَتحدَّثُ الآيَةُ عَنْ كَيْفيةِ تَكوينِ السَّحابِ وإنْزالِ الماءِ مِنْهُ ، وقَدْ بيَّنت آيةٌ في الدَّرْسِ السَّابقِ مَنافِعَ الرِّياحِ .

إنَّ اللهَ هوَ الّذي يُسَيِّرُ الرِّياحَ بِحِكْمَتِه وقُدْرَته وإرادَتِهِ ، ويرْسِلُها إلىٰ البلادِ الّتي يُريدُ إنْزالَ المَطَرِ عَلَيْهَا ، فتُحَرِّكُ هذهِ الرِّياحُ السَّحابَ الّذي فِي السَّماءِ ، وتُثيرُهُ وتُهَيِّجُهُ بَعْدَ سُكونِهِ ، وتَسوقُهُ إلىٰ تِلْكَ البلادِ ، ويَجْمَعُ اللهُ ذٰلِكَ السَّحابَ فَوْقَها ، ويَنْشُرُهُ ويَبْسُطُهُ في السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ ، ويَجْعَلُهُ كثيراً مُتراكِماً ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ قِطَعاً مُخْتَلِفَةً ذاتَ أحْجامٍ مُتَنوِّعةٍ ، مِنْها الكَبيرةُ ومنها الصَّغيرةُ ، ومِنْها الخَفيفةُ ومنْها السَّميكةُ ، ومِنْها المُشْبَعُ بالرطوبةِ ، ومنها الخالي مِنْها .

وعِنْدَما يُريدُ إغاثَةَ أَهْلِ تِلْكَ البلادِ برَحْمَتِه يَأْمُرُ بإنزالِ المَطَرِ مِنْ ذلكَ السَّحابِ المُتَجَمِّعِ المُتراكِمِ، لِتَنْزِلَ قَطَراتُ الماءِ علىٰ النَّاسِ مِنْ خلالِهِ، يراها كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إليْها وهِيَ تَتَخلَّلُهُ لِتَصِلَ إلىٰ الأرْضِ.

وعِنْدَما يَرَىٰ النَّاسُ هٰذا المَطَرَ نازِلاً يَفْرَحونَ وَيُسرُّونَ وَيَسْتَبْشِرونَ ؛ لِمَا يَنْتُجُ عنْهُ منْ خِصْبٍ ورَخاءٍ ، فهُمْ بِحاجةٍ مَاسَّةٍ إلىٰ الماءِ والنَّباتِ والزُّروعِ والثِّمارِ .

وقدْ كانوا قَبْلَ رَحْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ بذلكَ الغيْثِ وإنزالِه عَلَيْهِمْ مُبلسينَ آيسينَ قانِطِينَ ، لاَ أَمَلَ لَهُمْ يَرْجونَه فِي المَوْسِمِ الزِّراعيِّ ، وَيَتوقَّعونَ الجَدْبَ والمَحْلَ والقَحْطَ . وبِذلكَ كانتْ فَرْحَتُهُمْ بذلكَ الغيثِ كَبيرةً .

ولاَ يعرِفُ الاسْتِبْشارَ بالمَطَرِ علىٰ حَقيقتِهِ كمَا يَعْرِفُه المُزارِعونَ الّذينَ تَقومُ حَياتُهُمْ علىٰ ماءِ السَّماءِ ، ويَحْتاجونَ إلىٰ المَطَرِ لِمَواشيهِمْ وزُروعِهِمْ وأشْجارِهِمْ .

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

عَنْدَ نُزولِ المَطَرِ تَنبُتُ النَّباتاتُ ، وتَخْرُجُ الزُّروعُ ، وتُثْمِرُ الأشْجارُ الثِّمارَ ، ويَفْرَحُ النَّاسُ ، ولِذَلِكَ يَدْعو اللهُ رَسولَه ﷺ وكلَّ مُؤْمِنٍ بَعْدَهُ إلىٰ النَّظَرِ فِي آثارِ هذهِ الرَّحْمَةِ الرَّبانيَّةِ ، ويَقولُ : انْظُرْ أيُّها الرَّسولُ ـ أنْتَ وكُلُّ مَنِ اتَّبعكَ ـ نَظْرَةَ تَدبُّرٍ وتَأمُّلٍ ، ولاحِظْ آثارَ رَحْمةِ اللهِ بالنَّاسِ ، كيفَ جَعَلَ إنْزالَ المَطَرِ رَحْمَةً بِهِمْ سَبَباً لإحْياءِ الأرْضِ بَعْدَ مَوْتِها ، واخْضِرارِها ، بَعْدَ يَبَسِها ، وإخْراجِ النَّباتِ والأشْجارِ فِيها .

وجَعَلَتِ الآيةُ هٰذا دَليلاً علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ يَوْمَ القيامَةِ ، فاللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، فَهُوَ الّذِي أَنْزَلَ المَطَرَ بِقُدْرتِهِ ، وأنْبَتَ بِهِ الزَّرْعَ بِقُدْرَتِهِ ، وهُوَ قادِرٌ علىٰ أنْ يُحيِيَ المَوْتَىٰ ويُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبورِهِمْ لِيُحاسِبَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ بِقُدْرتِهِ ، وهُوَ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماءِ .

﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

الكفّارُ لا يَرْضَوْنَ بقدَرِ اللهِ ، فَهُمْ إذا أنْزلَ اللهُ عَليْهِمُ المَطَرَ يَفْرَحونَ فَرَحَ بَطَرٍ وغُرورٍ ، وهُم إذا ابْتَلاهُمْ بانْحِباسِ المَطَرِ يَيْأَسونَ ، وإذَا أخْرَجَ لَهُمُ الزَّرْعَ ، ثمَّ أرْسَلَ عَلَيْهِ ريحاً ضارَّةً حارِقَةً ، فَرأَوهُ قَدِ اصْفَرَّ ومالَ إلىٰ التَّلَفِ ، فإنَّهُمْ يَكْفُرونَ فَضْلَ اللهِ ، ويُنْكِرونَ رَحْمَتَهُ ، ويَجْحَدونَ نِعْمَتَهُ ، فلاَ هُمْ يَشْكُرونَ عِنْدَ السَّرَّاءِ ، ولاَ هُمْ يَصْبِرونَ عِنْدَ الضَّرَّاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ سُنَّةُ اللهِ المُطَّرِدَةُ هِيَ نُصْرَةُ رُسُلِه بَعْدَ أنْ يُبَلِّغوا دَعْوَتَهُ إلى مَنْ أُرْسِلوا إلَيْهِمْ ، ويُقيموا عَلَيْهِمُ

الحُجَّةَ ، وعِقابُ أعدائِهِمُ الكافِرينَ .

٢ـ طَريقُ الدَّعْوةِ مَحْفوفٌ بالمَخاطِرِ ، وعلَىٰ الدّاعيةِ الصَّبْرُ علىٰ التَّكذيبِ والإيذاءِ ، كما فعَلَ المُرْسَلونَ .

٣ـ حَديثُ القُرْآنِ المُفَصَّلُ عَنْ كَيْفيةِ تَكْوينِ السَّحابِ وإنْزالِ المَطَرِ مِنْ خلالِهِ ، دَلَّ علىٰ أنَّه كَلامُ اللهِ .

٤ـ المُؤْمِنُ يَسْتَبْشِرُ بِرَحْمَةِ اللهِ بالْمَطَرِ والخِصْبِ . وعَلَيْهِ أنْ يَشْكُرَ اللهَ علىٰ هذهِ النِّعْمَةِ .

٥ـ إحْياءُ الأَرْضِ بالمَطَرِ دَليلٌ علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ يَوْمَ القيامةِ .

٦ـ الكافِرُ لا يَصْبِرُ علىٰ البَلاءِ ، ولا يَثْبُتُ عِنْدَ المِحْنَةِ ، وهُوَ كَفورٌ جَحودٌ لِنِعْمةِ اللهِ ، بِعَكْسِ المُؤْمِنِ الشّاكِرِ عِنْدَ الرَّخاءِ الصّابِرِ عِنْدَ البلاءِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأُولَىٰ (رقم: ٤٧) سُنَّةً ربانيَّةً مُطَّرِدَةً ، ودَرْساً للدُّعاةِ إلىٰ اللهِ .

٢ـ كَيْفَ يُكوِّنُ اللهُ السَّحابَ ؟ وكَيْفَ يُنزِلُ المَطَرَ ؟ اسْتَخْرِجْ ذلكَ مِنَ الآيةِ الثّانيةِ (رقم: ٤٨) .

٣ـ كَيْفَ تَجْعَلُ إنْزالَ المَطَرِ وإخْراجَ النَّباتِ دليلاً علىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٤ـ متَىٰ يَكونُ النّاسُ مُبلِسينَ ؟ ومتَىٰ يَسْتَبْشِرونَ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ مَا مَوْقِفُ الكُفّارِ مِنَ اصْفرارِ زُروعِهِمْ بعدَما كانتْ خَضْراءَ يانِعَةً ؟ ومَا مَوْقِفُ المُؤْمنينَ مِنْ ذَلِكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٣٤) مِنْ سورةِ الأَنْعامِ ، واذْكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ والأربعينَ ، وبيِّنِ انطباقَ السُّنَّةِ الرَّبانيَّةِ عَلَيْها .

٢ـ سجِّلْ فِي دَفْتَرِكَ الآيةَ (٥٧) مِنْ سورةِ الأَعْرافِ الّتي تَتَحدَّثُ عَنْ سَوْقِ الرِّياحِ المُبشِّراتِ للسَّحابِ الثِّقالِ ، واذْكرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ التّاسعةِ والخمسينَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ الصَّلاةِ الّتي شَرَعَها اللهُ عِنْدَ انْحباسِ المَطَرِ .

الدَّرسُ الثّاني والعِشرونَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ العاشِرُ

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ** : لاَ تُسْمِعُ ٱلكُفَّارَ سَماعَ اتِّعاظٍ وَاعْتِبارٍ ، وعَنى بالمَوْتى هُنا الكُفّارَ الّذينَ ماتَتْ قُلوبُهُمْ .
- **ٱلصُّمَّ** : ٱلذينَ تَعطَّلَتْ آذانُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعونَ .
- **ٱلدُّعاءَ** : ٱلنِّداءَ .
- **ضلالَتِهِمْ** : كُفْرِهِم .
- **خَلقَكُم مِن ضَعْفٍ** : خَلقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ، وَهِيَ ضَعيفَةٌ .
- **ضَعْفاً وَشَيْبَةً** : ضَعْفَ ٱلشَّيْخوخَةِ الَّتي يَظْهَرُ فِيها ٱلشَّيْبُ .
- **يُؤْفَكونَ** : يُصْرَفونَ عَنِ الحَقِّ إِلَىٰ الباطِلِ .

التَّفْسيرُ :

عَرَضَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ بَعْضَ صُورِ رَحْمَةِ اللهِ بالنَّاسِ ، ومنْها رَحْمَتُهُمْ بالرِّياحِ المُبَشِّراتِ ، وما يَنْتِجُ عنْها مِنْ غَيْثٍ وزُروعٍ وثِمارٍ ، وخِصْبٍ ورَخاءٍ ، وجَعَلَتْ ذلكَ دَليلاً علَىٰ البَعْثِ وإِحْياءِ

المَوْتَىٰ ، وطالبَتْهُم بِشُكْرِ اللهِ علىٰ تِلْكَ النِّعَمِ .

وذَكَرَتْ هذهِ الآياتُ سَبَبَ إعْراضِ الكُفّارِ ورَفْضِهِمْ لِلْحَقِّ ، وعَدَمَ الاعتبارِ مِنَ الآياتِ الّتي يَرَوْنَها ، مَعَ أَنَّهم مَخْلوقينَ مِنْ ضَعْفٍ ، وسَيندَمونَ يَوْمَ القيامَةِ علىٰ كُفْرِهِمْ .

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

يُواسي اللهُ رسولَهُ ﷺ علَىٰ مَا يَلْقاهُ مِنْ إعْراضِ قَوْمِهِ وتَكْذيبِهِمْ له ، فَهُوَ لَمْ يُقَصِّرْ في دَعْوَتِهِمْ ، ولكنَّهُمْ رفضوا الدَّعْوَةَ عِناداً واسْتِكْباراً ، وقَدْ أَغْلَقوا قُلوبَهُمْ وعيُونَهُمْ وآذانَهُمْ ، فَلَمْ يَتفاعَلوا مَعَ كلامِهِ ، ولَمْ يَسْتجيبوا لَهُ .

اعْتَبرَتْهُمُ الآيَةُ أَمْواتاً في قُلوبِهِمْ وأَرْواحِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعيشونَ حَياتَهُمُ المَادِيَّةَ المَعروفَةَ ، واعْتَبرَتْهُمُ الآيَةُ صُمّاً ، لأَنَّهُمْ لا يَتدبَّرونَ ما يَسْمعونَ مِنْ أَصْواتٍ ، واعْتَبرَتْهُمْ عُمْياً ، لأَنَّهُمْ لا يَعْتبرُونَ بمَا يُشاهِدونَ ، فبما أَنَّ قُلوبَهُمْ وأَسْماعَهُمْ وأَبْصارَهُمْ لا تَتَقَبَّلُ الحَقَّ ، ولا تَتفاعَلُ مَعَهُ ، فكأَنَّها مُعَطَّلَةٌ غَيْرُ مَوْجودةٍ ، مَعَ أَنَّها تُؤَدِّي عَمَلَها المادِيَّ المَعْروفَ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ : لا تَحْزَنْ علىٰ إعْراضِ المُشْرِكين عَنْكَ ، بَعْدَ دَعْوَتِكَ لهُمْ ، فإِنَّكَ لاَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُسمعَ مَنْ ماتَتْ قُلوبُهُمْ ، فَحَجَبوها عَنْ سَماعِ الحَقِّ ، ولا تَسْتَطيعُ أَنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ النِّداءَ والدُّعاءَ ، عِنْدَما يَتولَّوْنَ مُدْبِرينَ مُعْرِضينَ عَنْكَ ، لأَنَّهُمْ لا يُريدونَ تَدبُّرَ ما تَقولُهُ لهُمْ ، ولا تَسْتطيعُ أَنْ تَهْدِيَ العُمْيانَ وَتُرْشِدَهُمْ إلىٰ الحَقِّ ، وأَنْ تُبْعِدَهُمْ عَنِ الضَّلالَةِ ، لأَنَّهم أَغْلَقوا عُيونَهُمْ ، فلا يُريدُونَ رُؤْيَةَ طريقِ الهُدَىٰ والخَيْرِ .

وهُمُ الّذينَ جَنَوْا علىٰ أَنْفُسِهِمْ ، عِنْدَما أَغْلَقوا قُلوبَهُمْ وآذانَهُمْ وعُيونَهُمْ عَنْ دَعْوَتِكَ ، فَرَفضوها عِناداً واسْتِكْباراً .

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

الكفَّارُ كالموْتَىٰ والصّمِ والعُمْيِ ، فلاَ يَسْمعونَ الحَقَّ ، والَّذينَ يَقْدِرُ رَسولُ اللهِ ﷺ علىٰ إِسْماعِهِمْ سَماعَ تدبُّرٍ واتّعاظٍ هُمُ الّذين فتَحوا قُلوبَهُمْ وعُقولَهُمْ ، وآذانَهُمْ وعُيونَهُمْ ، فَفَهِموا الدَّعْوَةَ ، وقَبِلُوها ، وتَفاعلُوا مَعَها ، وآمنُوا بالحَقِّ ، وأَعْلَنُوا إِسْلامَهُمْ ، واتّبَعُوا النَّبيَّ ﷺ .

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

الكفَّارُ يَكْفرونَ عِناداً واسْتكباراً ، ويُشْرِكونَ باللهِ غَيْرَهُ ، معَ أَنَّ الأَدِلَّةَ علىٰ الوَحْدانيَّةِ كثيرةٌ ، ومِنْهَا الأدلَّةُ فِي أَنفُسِهِمْ ، والأَطوارُ الّتي مَرَّتْ بهَا حياتُهُمْ .

إنَّ اللهَ ـ وحْدَهُ ـ هوَ الّذي خَلَقَ الإنْسانَ ، وجَعَلَ حياتَه ، تَمُرُّ فِي أطوارٍ ومَراحِلَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وهُوَ الّذي يَرْعاهُ ويَحْفَظُهُ فِي كُلِّ تِلْكَ الأطوارِ ، فَكَيْفَ يُشْرِكُ الكُفَّارُ بِهِ غَيْرَهُ ؟

تذكرُ الآيةُ خَمْسَ مَراحِلَ يَمُرُّ بها الإنسانُ فِي حَياتِه ، مُنْذُ حَمْلِهِ إلىٰ وَفاتِه :

ـ ضَعْفَهُ وهُوَ جَنينٌ في رَحِمِ أُمِّهِ : فاللهُ خَلَقَهُ مِنْ ضَعْفٍ ، وهُوَ النُّطفةُ ، الّتي حَوَّلَها اللهُ إلىٰ عَلَقةٍ ، ثُمَّ إلىٰ مُضْغَةٍ ، ثمَّ يُكَوِّنُ عِظامَهُ ، ويَكْسُوهُ لَحْماً ، ويَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ ، ويبقَىٰ في رَحِمِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أشْهُرٍ .

ـ ضَعفَهُ وهُوَ طِفْلٌ : حَيْثُ يُخرِجُهُ اللهُ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ ضَعيفاً مُحْتاجاً ، ويَرْعاهُ إلىٰ أنْ يَقوىٰ ويَشْتَدَّ .

ـ قُوّتَه وهُو فَتىً : قَويٌّ مُنْدَفِعٌ مُتحمِّسٌ ، كُلُّهُ طاقةٌ وحَيَوِيَّةٌ .

ـ قُوّتَهُ وهُوَ شابٌّ : ناضِجٌ واعٍ ، بَلَغَ سِنَّ الرُّجولةِ ، وغَايَتُهُ أرْبعونَ سَنَةً .

ـ ضَعْفَهُ وهُو عَجوزٌ شَيْخٌ ، ملأَ الشَيْبُ رأسَهُ ، والشَّيْخوخَةُ انْحِدارٌ إلىٰ الطُّفولَةِ .

وأشارَ إلىٰ المَرْحَلَةِ الأُولَىٰ قولُه : ﴿الّذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحلةِ الثّانيةِ قولُه : ﴿ثمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحَلَةِ الثّالثةِ قولُه : ﴿قُوَّةً﴾ وإلىٰ المَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ قولُه : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ ، وإلىٰ المَرْحَلَةِ الخامِسَةِ قولُه : ﴿ضَعْفاً وشَيْبَةً﴾ .

فالإنْسانُ في مَراحِلِ حَياتِهِ الخَمْسِ فِي رِعايةِ اللهِ ، واللهُ عَليمٌ بِأَحْوالِهِ ، وقَديرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ، لَيْسَ لهُ فِي ذلك ـ ولا فِي غَيْرِه ـ شَريكٌ .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ .

حياةُ النّاسِ في الدُّنْيا بِمَراحِلها المَذْكورَةِ لَيْستْ هِيَ النِّهايةَ ، فلاَ بُدَّ مِنْ أنْ يَأْتيَ يَوْمُ القيامَةِ ، وتَقومَ السَّاعةُ ، عندَ ذلكَ يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ أَحْياءً . ويُفَاجَأُ المُشْرِكونَ المُجْرِمونَ بهذَا البَعْثِ ، وقدْ كانُوا يُنْكِرونَهُ فِي الدُّنيا ، فَيَحْلِفونَ باللهِ أنَّهُمْ مَا أقاموا فِي الدُّنْيا إلاّ ساعَةً مِنَ الزَّمانِ .

وقَصْدُهُمْ بذلكَ قِصَرُ الحَياةِ الدّنْيا . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات : ٤٦] . .

والمُجْرِمونَ الّذينَ حَلَفُوا ذَلِكَ اليَمينَ كانُوا في الدُّنْيا يُؤْفَكونَ ، ويُصْرَفونَ عَنِ الحَقِّ إلىٰ الباطلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يُعطِّلونَ حَواسَّهُمْ بعدمِ تَدبُّرِهِمْ واعتبارِهِمْ بِها ، فكأنَّها غَيْرُ مَوْجودةٍ .

٢ـ المَوْتُ والصَّمَمُ والعَمىٰ يَرِدُ بالْمَعنىٰ المَجازِيِّ ، وكُلُّ كافِرٍ مَيِّتٌ أَصَمُّ أَعْمَىٰ بهذا الاعتبارِ .

٣ـ لاَ يَتفاعَلُ مَعَ ما يَسْمَعُ ويرَىٰ إلاّ المُؤْمِنُ ، حَيْثُ يَنْتُجُ عنْ ذلكَ إسْلامُهُ وخُضوعُهُ للهِ .

٤ـ الإنْسانُ ضَعيفٌ عاجِزٌ ، لا يَسْتَغْنِي عَنِ اللهِ فِي كُلِّ مَراحِلِ حَياتِهِ ، واللهُ يَرْعاهُ ويَحْفَظُهُ فيها .

٥ـ الدَّاعِيَةُ لا يَيْأَسُ مِنْ إعْراضِ المَدعوِّينَ عنْهُ ، لأَنَّه لَمْ يُقَصِّرْ فِي دَعْوَتِهِمْ .

٦ـ الدُّنْيا قَصيرةٌ بالقِياسِ إلىٰ الآخِرَةِ ، فالكُفَّارُ يُقْسِمونَ أنَّهم لَمْ يَعيشوا فِي الدُّنْيا إلاّ ساعَةً .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما المُرادُ بالمَوْتِ والصَّمَمِ والعَمىٰ فِي آياتِ الدَّرْسِ ؟

٢ـ لِماذا يَرْفُضُ الكُفَّارُ الحَقَّ ؟ اسْتَخْرِجِ الجَوابَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٣ـ مَنِ الَّذي يَسْمَعُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وماذا يَنْتُجُ عَنْ سَماعِهِ ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ مَراحِلَ حَياةِ الإنْسانِ الخمْسِ .

٥ـ اذْكُرِ اليَمينَ الَّذي حَلَفَهُ الكفَّارُ في الآخِرَةِ ، وعَلَىٰ ماذَا يَدُلُّ ذلكَ ؟

٦ـ ما معنَى قولِه : ﴿كَذلِكَ كانوا يُؤْفكونَ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ أوائِلِ سورةِ البَقَرَةِ تَجْعَلِ الكافِرينَ صُمّاً بُكْماً عُمْياً ، وسَجِّلْ آيةً أُخْرَىٰ تَجْعَلُ المُنافِقينَ صُمّاً بُكماً عُمْياً ، واذْكُرِ المُرادَ بالصُّمِ والبُكْمِ والعُمْي في الآيتَيْنِ .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ أوائِلِ سورةِ الحَجِّ تتحدَّثُ عَنْ مَراحلِ تَطوُّرِ الجَنينِ فِي رَحِمِ أُمِّهِ ، وبَعْضِ مَراحِلِ حَياتِهِ علىٰ الأرْضِ ، وكَيْفَ تَجْعَلُها دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الرُّومِ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ ٱللهِ** : لَبِثْتُمْ فِي مَا كَتَبَهُ ٱللهُ فِي سابِقِ عِلْمِهِ وَقَضائِهِ .
- **مَعْذِرَتُهُمْ** : اعْتِذارُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِيَوْمِ ٱلقِيامَةِ .
- **يُسْتَعْتَبونَ** : يَطْلُبُ مِنْهُمُ العُتْبَىٰ ، وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ ما يُرضِي ٱللهَ .
- **ضَرَبْنا** : بَيَّنّا وَذَكَرْنا .
- **مُبْطِلُونَ** : مُتَّبِعونَ لِلْباطِلِ .
- **وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ** : لاَ بُدَّ مِنْ إِنْجازِ وَعْدِ ٱللهِ بِنَصْرِ ٱلحَقِّ .
- **لاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ** : لاَ يَحْمِلَنَّكَ عَلَىٰ ٱلخِفَّةِ وَالطَّيْشِ وَعَدَمِ ٱلصَّبْرِ .

التَّفْسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عِنادَ الكُفَّارِ ، وعَدَمَ انْتِفاعِهِمْ بمَا يَسْمعونَ مِنَ الأدِلَّةِ ، وأنكرَتْ عليْهِمْ شِرْكَهُمْ باللهِ ، مَعَ أنَّه هُوَ الّذي خَلَقَهُمْ ورَعاهُمْ في مُخْتَلَفِ مَراحِلِ حياتِهِمُ الضَّعيفةِ .

وتَذْكُرُ هٰذه الآياتُ سوءَ مَوْقِفِهِمْ أذِلَّاءَ مُهانينَ يَوْمَ القيامَةِ ، كَما تَذْكُرُ إعْراضَهُمْ عَنِ القُرْآنِ

وآياتِهِ ، وتَدْعو الرّسولَ ﷺ ومَنْ مَعَهُ إلىٰ الصَّبْرِ علىٰ أذَى الأعْداءِ ، والثِّقَةِ بوَعْدِ اللهِ ، واليَقينِ بتَحَقُّقِ النَّصرِ فِي النِّهايَةِ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

كانَ الكُفّارُ فِي الدُّنْيا يُنْكِرونَ البَعْثَ والآخِرَةَ ، وعِنْدَما يَبْعَثُهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامَةِ يُفاجَأونَ ويُدْهَشونَ ، ويَحْلِفونَ أنَّهمْ ما لَبِثوا فِي الدُّنْيا غَيْرَ ساعةٍ .

فَيَرُدُّ عليْهِمُ المُؤْمِنونَ ، الَّذينَ آتاهُمُ اللهُ العِلْمَ والإيمانَ ، ويُخْبِرونَهُمْ أنَّهُمْ عاشُوا حياتَهُمْ كامِلَةً كمَا قدَّرَها اللهُ ، فاللهُ قدَّرَ فِي عِلْمِهِ الأزَلِيِّ عُمْراً مُحَدَّداً لِلحَياةِ الدُّنْيا ، وقَدَّرَ لِكُلِّ إنْسانٍ فيهَا عُمُراً مُحَدَّداً أيضاً ، وعاشَ كُلُّ إنْسانٍ عُمُرَهُ الّذي حَدَّدَهُ اللهُ فِي كِتابِهِ ، وانْتَهَتِ الحياةُ الدُّنْيا الّتي حَدَّدَها اللهُ في كِتابِهِ أيْضاً .

وجاءَ اللهُ بيَوْمِ القيامَةِ ، وبَعَثَ النَّاسَ أحْياءً مِنْ قُبورِهِمْ ، وها هُمْ يَعيشونَ مشاهِدَ وأحْداثَ يَوْمِ القيامَةِ ، الَّذي كانَ الكُفَّارُ يُنْكِرونَه فِي الدُّنْيا .

وكأنَّ المُؤْمِنينَ يَقولونَ لِلكُفَّارِ : إنْ كُنتمْ في الدُّنْيا مُنْكِرينَ لِلْبَعْثِ ، فهَا هوَ يَوْمُ البَعْثِ الّذي أنْكَرْتُموهُ ، والواقِعُ خَيْرُ دَليلٍ ، فماذا سَتفعلونَ ؟

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

في يَوْمِ القيامةِ الّذي يُفَاجَأُ الظَّالِمونَ الكَافِرونَ بهِ تَكونُ خَسارتُهُمْ كَبيرةً ، فإنَّهُمْ يُحاولونَ أنْ يَعْتَذِروا عنْ كُفْرِهِمْ وجرائِمِهِمْ فِي الدّنْيا ، ولَكِنْ ذلكَ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ ، فلا يَنْفَعُهُمْ ، ولا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إزالَةُ العَتَبِ عَلَيْهِمْ بالتَّوْبَةِ ، وإنْ قَدَّموا ما يُزيلُ العَتَبَ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ ، لأنَّ الآخِرَةَ دارُ جَزاءٍ ، ولَيْسَتْ دارَ تَوْبَةٍ وعَمَلٍ ومَعْذِرَةٍ وعُتْبَىٰ .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

لا يُقْبَلُ مِنَ الكُفَّارِ عُذْرٌ ولا عُتبى يَوْمَ القيامَةِ ، لأنَّهُمْ فِي الدُّنْيا أعْرَضوا عَنِ القُرْآنِ وآياتِهِ وأمْثالِهِ ، فقدْ أقامَ اللهُ عليْهِمُ الحُجَّةَ فِي الدُّنْيا بمَا ذَكَرَ لَهُمْ في القُرْآنِ مِنَ الأمْثالِ ، الدَّالَةِ علىٰ الحَقِّ ، المُقَرِّرةِ لِحقائقِ الإيمانِ مِنَ الوَحْدانيَّةِ والنُّبوَّةِ والبَعْثِ .

أصرَّ الكُفّارُ علىٰ الكُفْرِ والتَّكْذيبِ عِناداً واسْتِكباراً ، ورَفضوا كُلَّ الآياتِ والأدِلَّةِ الّتي قدّمَها لهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ وعِنْدَما كانَ يأتيهم بالدَّليلِ أوْ المُعْجِزَةِ يُكذّبونَهُ ويَقولونَ لهُ ولأتْباعِهِ المُؤْمِنينَ : أنْتُمْ لَسْتُمْ علىٰ الحَقِّ ، وما عِنْدَكُمْ لَيْسَ حَقاً ، فأنتُمْ مُتَّبِعونَ لِلْباطِلِ ، ومَا عِنْدَكُمْ كَذِبٌ وباطِلٌ .

وهُمْ بكلامِهِمْ هذا يَكونُونَ قَدْ جمعُوا بَيْنَ عَددٍ مِنَ الجرائِمِ ، منها : الكُفْرُ باللهِ ، واتّباعُ الباطِلِ ، والتّكذيبُ بالحَقِّ ، واتهامُ أهْلِهِ بأنَّهُمْ علىٰ باطِلٍ .

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

الكفَّارُ باتِّهامِهِمْ لِلنَّبيِّ ﷺ وأَتْباعِهِ أَضرُّوا بأنْفُسِهِمْ ، لأنَّهُمْ حَرَمُوا أنفُسَهُمْ مِنَ الإيمانِ والخَيْرِ ؛ وبِسَببِ هٰذا المَوْقِفِ طَبَعَ اللهُ علىٰ قُلوبِهِمْ ، وهٰكذا يَطْبَعُ اللهُ علىٰ قُلوبِ الكُفَّارِ الآخَرينَ ، ويَحْجُبُها عنِ الفائِدَةِ والعِلْمِ ، فَيكونونَ جاهِلينَ وبذلكَ يَكْفُرونَ ويُكَذِّبونَ بالحَقِّ .

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

بِمُناسبةِ الحَديثِ عَنْ تَكْذيبِ الكُفَّارِ واتِّهامِهِمْ لِلنَّبيِّ ﷺ يَأْتِي التَّوْجيهُ مِنَ اللهِ لَهُ بالصَّبْرِ والثَّباتِ ، والثِّقَةِ بالنَّصْرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وعَدَمِ الالْتِفاتِ لِما يَقولُهُ الكُفَّارُ .

يَقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدَه : اصْبِرْ علىٰ أذىٰ الأعْداءِ ، واثْبُتْ علىٰ مَا مَعَكَ مِنَ الحَقِّ ، وتَابِعْ تَبْليغَ رسالَتِكَ ، وثِقْ بوَعْدِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ وَعَدَكَ النَّصْرَ علىٰ الأعْداءِ ، وَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ آتٍ لا مَحالةَ ، لأنَّه سُبْحانَه لا يُخْلِفُ الميعادَ .

وَلا تَهْتَمَّ بِمَا يقولُهُ الكُفّارُ عَنْكَ ، فإنَّهُمْ كافِرونَ جاهِلونَ ، لا يُوقِنونَ بالحَقِّ ولا يَعْرِفونَهُ ، ولا تَحْمِلْكَ اتِّهاماتُهُمْ علىٰ الشَّكِّ أَوِ الخِفَّةِ أَوِ القَلَقِ أَوِ الإحْباطِ .

وهٰكذا تُخْتَتَمُ السُّورةُ بالصَّبْرِ ، حتىٰ يأتِيَ وَعْدُ اللهِ بالنَّصْرِ ، وهِيَ الَّتي بَدَأَتْ بِوَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ الرُّومِ فِي بِضْعِ سِنينَ . فَيَتناسَقُ البَدْءُ والخِتامُ . ويَسْتقِرُّ في قَلْبِ المُؤْمِنِ اليقينُ بِتَحقُّقِ وعْدِ اللهِ الصَّادِقِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُمْدَحُ المُؤْمِنُ بأنَّه أُوتيَ العِلْمَ والإيمانَ لِتَصْديقِه بِحَقائِقِ القُرْآنِ والإسْلام .

٢ـ الكُفَّارُ جاهِلونَ لا يَعْلمونَ ، ولِذَلكَ يُكَذِّبونَ بالحَقِّ ، ويُنكرونَ الآخِرَةَ .

٣ـ لا يُقْبَلُ مِنَ الكُفّارِ عُذْرٌ ولا عُتبىٰ يَوْمَ القيامةِ ، لأنَّهُمْ ضَيَّعُوا حَياتَهُمُ الدُّنْيا .

٤ـ ذَكَرَ اللهُ أَمْثالاً مُتَعَدِّدَةً في القُرْآنِ ، ولاَ يَعْقِلُها ويَعيها إلاّ المُؤْمِنونَ العالِمونَ .

٥ـ الكفَّارُ يتَّهمونَ الرَّسولَ وأَتْباعَه بأنَّهم مُبْطِلونَ ، ويُعْرِضونَ عَنْ كُلِّ الآياتِ عِناداً .

٦ـ لا يَفْقِدُ المُؤمِنُ يَقينَه بتحقيقِ وعْدِ اللهِ ، ولا ثِقَتَهُ بنَصْرِ اللهِ ، مَهْمَا طَالتِ الطَّريقُ واشْتَدَّ الأَذَىٰ ، وازْدَادَ اسْتِخفافُ الأَعْداءِ وَبَطْشُهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا المُرَادُ بكتابِ اللهِ في قولِه : ﴿لَقَدْ لَبِثْتُم في كِتابِ اللهِ إلىٰ يَوْمِ البَعْثِ﴾ ؟ ومَا معنىٰ الجُمْلةِ ؟

٢ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ المَعْذِرةِ والاسْتِعْتابِ في قولِه : ﴿لا يَنْفَعُ الّذينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ولا هُم يُسْتَعْتَبونَ﴾ ؟

٣ـ لِمَاذا يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ في القُرآنِ ؟ ومَا مَوْقِفُ الكُفَّارِ مِنْها ؟

٤ـ متىٰ يَطْبَعُ اللهُ علىٰ قُلوبِ الكُفَّارِ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبعَ جَرائمَ صادِرَةٍ عَنِ الكُفَّارِ .

٦ـ مَا مَوْقِفُ المُؤْمِنِ منَ الوُعودِ الّتي وَعَدَ اللهُ بها المُؤْمنينَ ؟ ولِماذا ؟

٧ـ مَا معنَى قولِه : ﴿وَلا يَسْتَخِفَنَّكَ الّذينَ لا يُوقِنونَ﴾ ؟

٨ـ اذْكُرِ التَّناسُبَ بَيْنَ بدايةِ سورةِ الرُّومِ ونِهايَتِها .

نَشاطٌ :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ فُصِّلَتْ بمعنىٰ الآيةِ السّابعةِ والخَمْسينَ ، تُقَرِّرُ أَنَّ الكُفَّارَ في الآخِرةِ لَيْسُوا مِنَ المُعْتِبينَ ، وبَيِّنْ سَبَبَ ذلكَ .

٢ـ تَذَكَّرْ ما كانَ يقولُهُ الكافِرونَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ اتِّهاماتٍ ، وسَجِّلْ خَمْسَةً مِنَ اتهاماتِهِمْ لَه ولِلْقُرآنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرُونَ

سُورَةُ لُقْمانَ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ لُقْمانَ مَكيَّةٌ ، وآياتُها أرْبعٌ وثلاثونَ ، وسُمِّيتْ بهذَا الاسْمِ لأنَّها تَحدَّثَتْ عنْ لُقْمانَ الحكيمِ ، ووَعْظِه لابنه ، وتَعْليمِهِ لَهُ .

وتَتحدَّثُ السّورةُ عَنْ حَقائقِ العَقيدَةِ وأُصولِها ، بِهَدفِ إقْناعِ الكُفَّارِ بِوَحْدانيَّةِ اللهِ ، وإبْطالِ الشِّرْكَ ، وإثباتِ النُّبَوَّةَ وحَقيقةِ الوَحْيِ ، وإثْباتِ البَعْثِ والآخرَةِ ، وإقامَةِ الحُجَّةِ علىٰ الكُفّارِ حَوْلَها . وتَعْرِضُ الأدلَّةَ والآياتِ الشَّاهدَةَ لحقائقِ العَقيدَةِ ، مِنَ الكَوْنَ وما فيهِ مِنَ السَّمواتِ والأرْضِ ، واللَّيْلِ والنَّهارِ ، ومِنْ حياةِ الإنْسانِ وخُضوعِهِ للهِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُوقِنونَ : يُؤْمنونَ إيماناً جازِماً لاَ شَكَّ فِيهِ .

لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ : كُلَّ كَلاَمٍ بَاطِلٍ يُلْهِي وَيَصْرِفُ عَنِ الحَقِّ كَالأساطِيرِ وَالغِناءِ .

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ	ليصرف النّاس عن لحق .
عَذَابٌ مُّهِينٌ	عذابٌ فيه إهانةُ الكافرِ وإذلالُهُ .
وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً	أعرض عنْ آيات الله متكبّرا .

التفسيرُ :

﴿ الٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ② ﴾

افتُتِحتْ السّورةُ بالأحرُفِ الثّلاثةِ المُقطّعةِ : ألفٌ . لامْ . ميمْ . وذلك لتَحدّي الكفّارِ وإثْباتِ عجزهِمْ ، وإثباتِ أنّ القرْآنَ كلامُ الله . كأنّه يقولُ للْمُشْرِكينَ : القرْآنُ مُكوَّنٌ مِنْ الحروفِ نَفْسِها الّتي تَنْطِقون بها ، فإذا لَمْ تُصدّقوا أنّه من عنْد الله ، فأْتوا بِسُورةٍ مثْلِه ، مُكوَّنة مِنْ هذه الأحْرُفِ .

والإشارةُ إلىٰ الحُروفِ المُقطّعة . فآياتُ القُرْآنِ وجُملُها وكَلِماتُها مُركّبَةٌ مِنْ هذهِ الحُروفِ وأمْثالِها .

والقُرْآنُ هو الكتابُ الحكيمُ ، لأنّهُ كلامُ اللهِ ، وكلامُ الله كُلُّهُ حكْمَةٌ وصِحّةٌ وصوابٌ ، لا خَطأَ فيه ولا خللٌ ولا اضْطرابٌ .

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③ ﴾

القُرْآنُ كِتابٌ حَكيمٌ ، وهُوَ خطابٌ للْعالمين جميعاً ، لَكِنْ لا يَهْتَدِي به إلاّ المُؤْمنونَ ، لأنَّ الكُفّار يُعْرِضون عنْهُ ويُكذّبون بما فيه .

القُرْآنُ هُدى لِلْمُؤْمنين ، يهْديهِمْ إلىٰ الحقِّ ، ويُنْقِذُهُمْ منَ الضّلالِ ، وهُوَ رَحْمةٌ من الله بهِمْ ، يرْحمُهُمْ بآياتِه وتشْريعاتِهِ وأحْكامِه ، فعنْدما يتدبّرونهُ ويُطبّقونَ ما فيهِ يسْعدُون بِهِ ، وينالُون رَحْمةَ الله وفضْلهُ ، ويبْتعدون عنْ غضبه وعقابه .

وهُمْ عندما يهْتدون به ، ويُنفّذون ما فيه يكونون مُحْسِنين ، يُحْسنونَ في عِباداتِهِمْ وأعْمالِهِمْ وحياتِهِمْ ، يعْبدُون الله كأنّهُمْ يرَوْنهُ ، فإنْ لمْ يروْهُ فإنّهُ يراهُمْ ، ويُثيبُهُمْ اللهُ علىٰ إحْسانِهِمْ إحْسَاناً لأنّه لا جزاء للاحسان إلاّ الاحسان .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ ﴾

المُهْتدون بالقرْآنِ المُحْسنونَ ، ظهر الاحْسانُ علىٰ أعمالِهِمْ وعباداتِهِمْ ، حيْثُ أحْسنوا في أدائها ، وقدْ ذكرت الآيةُ الكريمةُ بعْض صفاتِهِمْ :

إنّهم مُحسنون في صلاتهِمْ ، يُقيمونها بأرْكانها وسُننها وهيْئاتها ، ومُحْسنون في إيتاءِ الزّكاة

المَفْروضةِ والصَّدَقةِ المُسْتَحَبَّةِ ، ومُحْسِنونَ في اعتقادِهِمْ وإيمانِهِمْ ، ولِذا يُوقِنونَ بِمَجيءِ الآخِرَةِ يَقيناً جازماً لا شَكَّ فيهِ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾

هٰذا ثَناءٌ مِنَ اللهِ علىٰ أُولئكَ المُؤْمِنينَ المُحْسنينَ ، المُتَّصِفينَ بالصِّفاتِ الجَميلةِ ، حَيْثُ أخْبَرَ أنَّهمْ مُهتَدونَ ، أخَذُوا مِنْهُ الكَثيرَ ، وتَمَكَّنُوا مِنْهُ ، وبذلكَ كانوا مُفْلِحينَ ، مُحقِّقينَ لأهْدافِهِمُ الإيمانيَّةِ السَّاميةِ ، وهُمْ ـ وحْدَهُمْ ـ الفائزونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وهٰذا مَعْناهُ أنَّهُ لا فَلاحَ إلاّ بإحْسانِ العَمَلِ ، والاهْتداءِ إلىٰ الحَقِّ ، فالكافِرُ خاسِرٌ ضالٌّ ، لا يُفْلِحُ ولا يَفوزُ ، لا فِي الدُّنْيا ولاَ فِي الآخِرَةِ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ ﴾ .

بَعْدَ الحَديثِ عَنِ المُؤْمِنينَ المُهْتَدينَ بالقُرْآنِ ، يَأْتِي الحديثُ عَنِ الكُفَّارِ المُعْرِضينَ عَنْهُ . هٰذا الفَريقُ مِنَ النَّاسِ يُعرِضونَ عَنِ القُرْآنِ ، ولا يَكْتَفُونَ بذَلكَ وإنَّما يَشْتَرونَ ويَخْتَارونَ كُلَّ ما يُلهِي مِنَ الحَديثِ ، كالأساطيرِ والخُرافاتِ ، والحِكاياتِ المُضْحِكَةِ ، والغِناءِ والمُوسيقىٰ ، ويُقدِّمونَها لِلنَّاسِ ، لِيَشْغَلوهُمْ بِها ، ويَصْرِفوهُمْ عَنِ الاسْتِماعِ لِلْقُرْآنِ ، ويَصُدّوهُمْ عنْ سَبيلِ اللهِ ، ويُبْعِدوهُمْ عَنِ الإيمانِ .

وعِنْدَما يَسْمعونَ آياتِ اللهِ يتَّخِذونَها هُزُواً ، حَيْثُ يَسْخرونَ منها ، ويَسْتَهْزِئونَ بِها ، ويُكَذِّبونَها ، وبذلِكَ يَرْتَكبونَ جَرائِمَ مُتَعدِّدةً ، ما بَيْنَ ضَلالِهِمْ وإضْلالِهِمْ لِغَيْرِهِمْ ، واسْتِبْدالِهِمُ اللّهْوَ الباطِلَ بالقُرْآنِ الحَقِّ ، واسْتِهْزائِهِمْ بالآياتِ .

هَؤلاءِ الكافِرونَ المُجرمونَ يَسْتَحِقُّونَ العَذابَ ، بِسَبَبِ جَرائِمِهِمْ ، وسَيَكونُ عَذابُهُمْ مُهيناً لأنَّهمُ اسْتَهانوا بآياتِ اللهِ ، والجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ ﴾ .

هٰذا الّذي يَشْتري لَهْوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللهِ يُعْرِضُ عَنْ آياتِ اللهِ ، فعِنْدَما تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتٌ مِنَ القُرْآنِ يُدْبِرُ ويُعْرِضُ عَنْها ، بِعِنادٍ واسْتِكْبارٍ ، ويَتَظاهَرُ بعَدمِ سَماعِها ، وكأنَّ في أُذُنَيْهِ ثِقَلاً حالَ دُونَ سَماعِه لَها ، وذلكَ مِنْ تَكَبُّرِهِ وعِنادِهِ ، وإصْرارِه علىٰ رَفْضِ الحَقِّ .

وقَدْ هَدَّدَ اللهُ هٰذا المُتَكبِّرَ المُعْرِضَ عَنِ الحَقِّ بالعَذابِ الأليمِ فِي الآخِرَةِ ، عِقاباً لَه علىٰ جرائِمِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يَهْتدِي بالقُرْآنِ ، ولا يَتعرَّضُ لِرَحْمَتِه إلاّ مَنْ فتحَ قَلْبَهُ لَهُ ، وهُمُ المُؤْمِنُونَ المُحْسِنونَ .

٢ـ الإحْسانُ صِفَةٌ أساسيَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ ، وتَعني إحْسانَ الأَعْمالِ والعباداتِ وإتْقانَها .

٣ـ الكُفَّارُ يَحْرِصونَ علىٰ إشْغالِ النَّاسِ باللّهْوِ واللَّعِبِ لِيَصدُّوهُمْ عَنِ الحَقِّ .

٤ـ كلَّ مَا أشْغلَ الإنْسانَ بالباطِلِ ، فَهْوَ مِنَ اللَّهْوِ المُحَرَّمِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَادَلالةُ وُجودِ الأحْرُفِ المُقطَّعةِ في بداياتِ بَعْضِ السُّوَرِ ؟

٢ـ اسْتَخْرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ المُؤْمنينَ ، الّتي اسْتَحقُّوا عَلَيْهَا الثَّناءَ مِنَ اللهِ .

٣ـ اسْتَخْرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ صِفاتِ الكُفَّارِ القَبيحةِ وأعْمالَهُمُ الّتي اسْتَحقُّوا بها العذابَ .

٤ـ سَجِّلْ أربعَ صُورٍ مُعاصِرَةٍ لِلَهْوِ الحَديثِ الّذي يصدُّ أصْحابُهُ عنْ سَبيلِ اللهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك تَعريفَ الإحْسانِ ، كمَا عَرّفَه رسولُ اللهِ ﷺ .

٢ـ سَجِّلِ الآياتِ الخَمْسَ الأُولىٰ مِنْ سورةِ البَقَرَةِ ، وقَارِنْ بَيْنَها وبَيْنَ الآيتينِ الرّابعةِ والخامسةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنَ المَجْموعَتَيْنِ صِفَاتِ المُؤْمنينَ .

* * *

الدَّرْسُ الخَامِسُ والعِشْرون

سُورَةُ لُقْمانَ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **بغَيْرِ عَمَدٍ** : مِنْ دُونِ أَعْمِدَةٍ .
- **رَواسِيَ** : جِبالاً ثَوابِتَ .
- **أَنْ تَميدَ بِكُمْ** : لِئَلاَّ تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ بِكُمْ .
- **بَثَّ فِيهَا** : نَشَرَ فِيها .
- **زَوْجٍ كَرِيمٍ** : صِنْفٍ حَسَنٍ جَميلٍ نافِعٍ .

التَّفْسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ نَظْرَةِ المُؤْمِنينَ ونَظْرَةِ الكافِرينَ لِلْقُرْآنِ ، وعَرَضَتْ أَهمَّ صِفاتِ المُحْسِنينَ المُهْتَدينَ بالقُرآنِ ، وذَكَرَتْ أَفْعالَ الكافِرينَ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ القُرْآنِ بإشْغالِهِمْ بِلَهْوِ الحَديثِ ، وهَدَّدتهُمْ بالعَذابِ المُهينِ الأليمِ .

وتُقَدِّمُ هذهِ الآيَةُ صُورَةً لِحُسْنِ جَزاءِ المُؤْمِنينَ فِي الجَنَّةِ ، مُنَعَّمينَ مُخَلَّدينَ فِيها ، ثمَّ تَعْرِضُ دَليلاً كَوْنِيًّا علَىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

يُخبِرُ اللهُ عنْ حُسْنِ عاقبةِ السّعداء المُهتدينَ بالقُرآنِ ومآلِهِمْ ، فقدْ كانُوا في الدُّنْيا مُؤمنينَ ، مُنفّذين لأحْكام القُرآن ، حريصين على الإكْثار من الأعْمال الصّالحة ، وهِي كثيرةٌ تسْتغرِقُ أوْقاتهُمْ كُلّها .

وقدْ وعد اللهُ هؤلاءِ المؤمنين حُسْنَ الجزاء وجزيلَ الثّواب ، ووعْدُ اللهِ حقٌّ ، لأنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعادَ ، ولذلك يُنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ يومَ القيامةِ ، فيُدْخِلُهُمْ جنّاتِ النّعيم ، ينْعمون فيها بمُخْتلفِ أنْواعِ الملذّاتِ والمآكِلِ والمشارِبِ والملابسِ والمساكِنِ ، وهُمْ مُخلّدون في هذا النّعيم الّذي لا ينْفدُ ، ولا يُغادِرونهُ ، ولا ينْقطِعُون عنْهُ بالموْت .

واللهُ عزيزٌ قويٌّ ، فعّالٌ لما يُريدُ ، لا يغلِبُهُ شيْءٌ ، وهُو حكيمٌ في فعْله وشرْعه وقدَره

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اللهُ عزيزٌ حكيمٌ ، وعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ ، لا شريك لهُ في ألوهيّته وربوبيّته ، والدّليلُ على ذلك هٰذا الكوْنُ الكبيرُ ، بما فيه من سموات وأرْض ، ونُجوم وكواكب ، وجبالٍ ودوابّ ، ونباتٍ ومخلوقاتٍ اللهُ ـ وحْدهُ ـ الّذي خلقَ هٰذا ودبّرهُ وأتقن صُنْعهُ ، منْ دون شريكٍ أوْ مُعين .

ـ خلق السّموات سبْعاً طباقاً ورفعها بغيْرِ أعْمدة يراها النّاسُ . وهذا الخلْقُ على هذا النحو دليلُ على وحْدانيّةِ الله ، وكمال قُدْرته . قال تعالى : ﴿ويُمْسكُ السّماءَ أنْ تقع على الأرضِ إلاّ بإذْنِه﴾ الحج : ٦٥ .

ـ وخلق اللهُ الأرْض ، وهيأها لحياة النّاس ، وسخّرها لهُمْ ، وجعلَ فيها الجبال رَواسيَ ، أرْست الأرْضَ وثقّلتها ، لئلا تميد وتتحرّك ، وتضْطرِب بأهْلِها وتهْتزّ ، فهي تحْفظُ توازُنَ الأرْضِ ، بما فيها منْ مُحيطات وبحار وأنْهار ويابسَة .

ـ بعدَما هيّأ اللهُ الأرْض لِلحياة خلَق المخلوقات الحيّة عليْها ، خلَقَها منْ ماءٍ ، ثُمّ جعلها تتكاثرُ وتتناسَلُ ، وبثّها ونشرَها على وجهِ الأرضِ ، وجعلها دوات تدبُّ على وَجْه الأرْض ، منْها دوابُّ البرّ كالحيوانات والطّيور والزّواحف ، ومنْها دوابُّ البحْر كالحيتانِ والأسْماكِ ، وكفل لهذه الدّوابّ أرْزاقها ، وقدّر لها أعْمارَها ، وسخّرها لخدمة الإنْسانِ ، لكيْ تستقيمَ الحيةُ على الأرْض .

أنْزل اللهُ الماءَ منَ السّماءِ فأحْيا به الأرْض ، وأنبت فيها النّباتَ لِلدّواب ، والزّروع والثّمار

للإنسانِ ، وجعلَ النباتاتِ أزْواجا وأصْنافا كَريمة مُخْضرة جميلة المَنْظر ، وحسنة الأشْكالِ والألوانِ والأزهار .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ .

وبَخَ اللهُ المُشْركينَ بقوله : هٰذا الّذي ذُكِر مِن المخْلوقاتِ فِي السّمواتِ والأرْض هُو خلْقُ الله وفِعْله وتَقديرُهُ ، خلَقَهُ اللهُ بقُدْرتِهِ وقوّتِهِ ، لَمْ يْشاركْهُ في ذلكَ أحدٌ ، لأنّ كلَ ما سواهُ مخْلوقٌ .

والآلِهَةُ الّتي عَبَدَها المُشْركونَ ماذا خَلَقَتْ لتكون آلِهة ؟ إنَّه لا يَصْلُحُ أنْ يَكونَ إلهاً إلاّ الّذي خلَقَ ، والخالِقُ هُو اللهُ ـ وحْدَهُ ـ . إذنْ ما عَبَدهُ المُشْركون منْ دونِه لَيس إلهاً لأنّه ليْسَ خالِقاً! قالَ تعالَىٰ : ﴿أفَمَنْ يخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ . أفلا تَذكّرونَ﴾ النحل : ١٧ .

وهٰذا معناهُ أنّ المُشْركينَ ظالِمون لأنّهُمْ جعَلوا المَخْلوق إلهاً ، وهُمْ في ضَلالٍ واضحٍ ، وجَهلٍ كبيرٍ ، وعمىً وانْحِرافٍ ، وبِذلكَ اسْتحقّوا عَذابَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة منها :

١ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يكونَ حَريصاً علىٰ الإكْثارِ مِنَ الاعمالِ الصّالِحةِ ، وهي كَثيرةٌ تَملأُ عليْه وَقْتَهُ .

٢ـ المُؤْمِنُ رابحٌ مُفْلِحٌ فائزٌ ، لأنّهُ يُتعِبُ نفْسَه في عُمْرِه المحْدودِ في الدُّنْيا ، مُقابلَ الخُلودِ في النَّعيمِ في الجنَّةِ .

٣ـ خَلْقُ السّماءِ فوْقَنا ، ورفْعُها مِنْ دون أعْمدة نَراها دَليلٌ علىٰ وحْدانيّةِ الله وقُوّتِهِ وعظمته وقُدْرَتِه .

٤ـ كلُّ كافِرٍ ضالٌّ ظالِمٌ ، ولا ظُلْم أكْبَرَ مِنْ جَعْلِ شريكٍ للهِ ، وعِبادة غيْرِ الله .

٥ـ الجبالُ مَغْروزةٌ في باطنِ الأرْضِ بأبْعادٍ تفوقُ ارْتفاعها فوْقَ الأرْض ممّا قلّلَ اضْطراب القارّات وحَركَتها وإلاّ لما صَلُحت الحَياة فوْقَ ظَهْرِ الأرْضِ .



أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا حِكْمَةُ قَرْنِ الإيمانِ بالعَمَلِ الصّالحِ في غَالبِ الآياتِ ؟ ومَا الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بهَا مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ المُؤْمِنونَ مُنَعَّمونَ فِي الجَنَّةِ ، وَضِّحْ ذلكَ .

٣ـ مَا معنَىٰ خَلْقِ السَّماءِ بِلا عَمَدٍ تَرَوْنَها ؟ ومَا الدَّلالةُ الّتي تَخْرُجُ بها مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ اسْتَخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ وَظيفةً لِلْجبالِ الّتي خَلَقَها اللهُ .

٥ـ مَا معنَىٰ قولِه : ﴿فَأَنْبَتْنَا فيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَريمٍ﴾ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ وَحْدانيّةِ اللهِ ، وإبْطالِ الشُّرَكاءِ لَهُ .

٧ـ وضِّحْ كَوْنَ المُشْرِكينَ ظالِمينَ وضالِّينَ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ خَمْسَةَ أَمْثِلَةٍ لِلْعَمَلِ الصَّالحِ فيمَا بَيْنَ المُؤْمِنِ ورَبِّهِ ، وخَمْسَةَ أمْثِلَةٍ لِلْعَمَلِ الصَّالحِ يَنْفَعُ بهِ إخوانَهُ المُسْلِمينَ ، واكْتُبْ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ أَخْبَرَ اللهُ في سورةِ النَّبأِ أَنَّه جَعَلَ الجبالَ أَوْتاداً . سَجِّلِ الآيَةَ الّتي ذَكَرَتْ ذلكَ ، ثمَّ اذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ كَوْنِها رَواسيَ وكَوْنِها أَوْتاداً .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱلحِكْمَةَ	: ٱلصِّحَّةَ وَالصَّوابَ مِنَ الأَقْوالِ وَالأَفْعالِ .
حَميدٌ	: ٱللهُ حَقيقٌ بالحَمْدِ .
يَعِظُهُ	: يَنْصَحُهُ وَيُذَكِّرُهُ بالخَيْرِ .
وَصَّيْنَا ٱلإنسانَ بِوالِدَيْهِ	: أَمَرْناهُ بٱلإِحْسانِ إِلَىٰ والِدَيْهِ .
وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ	: ضَعْفاً عَلَىٰ ضَعْفٍ .
إِلَيَّ ٱلمَصِيرُ	: إِلَيَّ ٱلمَرْجِعُ يَوْمَ ٱلقِيامَةِ .
فِصالُهُ	: فِطامُهُ مِنَ الرَّضاعَةِ .
سَبيلَ	: طَريقَ .
أَنابَ إِلَيَّ	: رَجَعَ إِلَيَّ .

مَنْ هُوَ لُقْمانُ ؟

تَتحدَّثُ آياتُ هٰذا الدَّرْسِ والَّذي يَليهِ عنْ قِصَّةِ لُقمانَ مَعَ ابنِه وهوَ يَعِظُهُ ، وأَخْبَرَنا اللهُ عنه أنَّه آتاهُ الحِكْمَةَ ، فكانَ حَكيماً فِي أقوالِه وأفْعالِه ، وأدَّتْ حِكْمَتُه إلىٰ تعميقِ إيمانِه باللهِ ، والإكْثارِ مِنْ ذِكْرِه وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ ، ودَعْوةِ الآخَرينَ ونُصْحِهِمْ ، وأوَّلُ مَنْ وجَّهَ لهُ لُقْمانُ نُصْحَه وَوَعْظَه ابنَه ، الَّذي لَم نَعْرِفِ اسْمَهُ .

ولَمْ يُحَدِّثْنا القُرْآنُ عَنْ تفاصيلِ حَياةِ لُقْمانَ ، فَلَمْ نعْرِفِ الزَّمانَ والمكانَ الَّذي عاشَ فيهِ ، ولَمْ نَعْلَمْ هَلْ كانَ نبيًّا أمْ مُجردَ حَكيمٍ مُؤْمِنٍ ناصِحٍ ، ولا نُثْبِتُ لَهُ مِنَ الأقوالِ إلاَّ ما ذكرَتْه الآياتُ .

التفسيرُ :

دَعَتِ الآياتُ السَّابقةُ إلىٰ توحيدِ اللهِ وعَدَمِ الشِّرْكِ بهِ ، وَوَعَدَتِ المُؤْمِنينَ الجَنَّةَ ، وهَدَّدتِ المُشْرِكين بالنَّارِ ، وأقامَتِ الأدِلَّةَ علىٰ وحْدَانيَّةِ اللهِ مِنَ السَّمواتِ والأرْضِ .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ وعْظِ لُقْمانَ الحكيمِ لابنِهِ ، وتُؤَكِّدُ علىٰ المَعانِي السَّابِقَةِ بأُسْلوبِ حكايةِ مَا قالَه لُقْمانُ لابنه .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ أنَّه أعطَىٰ لُقْمانَ الحِكْمَةَ ، وهِيَ الصَّوابُ في الفَهْمِ والعِلْمِ ، والقَوْلِ والعَمَلِ ، وَوَفَّقَه اللهُ إلىٰ حُسْنِ العِلْمِ والعَمَلِ ، ودِقَّةِ الفَهْمِ والمَعْرِفَةِ ، وقادَتْهُ حِكْمَتُه إلىٰ ذِكْرِ اللهِ وشُكْرِهِ .

ويَكونُ شُكْرُ اللهِ بالثَّناءِ عَليْهِ بالقَوْلِ الطَّيبِ الجَميلِ ، كمَا يكونُ باسْتخدامِ نِعَمِ اللهِ علىٰ الشَّاكِرِ فيمَا يُرضِي اللهَ ، ومَنْ يَشْكُرُ اللهَ علىٰ ما أنْعَمَ بهِ عليْهِ ، فإنَّما يَشْكُرُ لنفسِهِ ، ويُحَقِّقُ النَّفْعَ والخَيْرَ لِنفْسِهِ، ومَنْ لمْ يَشْكُرِ اللهَ، وجَحَدَ نِعَمَ اللهِ وكَفَرَها وأنْكَرَها فهُو الخاسِرُ، لأنَّه يَجْني بذلكَ علىٰ نفسِه.

أمَّا اللهُ ـ سُبحانَه ـ فإنَّه لا يَنْفعُه شُكْرُ الشَّاكرينَ ، ولا يَضُرُّه جُحودُ الجاحدينَ ، لأنَّهُ غنيٌّ عنْ عبادِه ، لا يُمْكِنُ أنْ يَضُرُّوهُ ، ولا يُمكِنُ أنْ يَنْفعُوهُ ، وهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ والثَّناءِ .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ومِنْ آثارِ الحِكْمَةِ الَّتي أعطاهَا اللهُ لِلُقْمانَ أنَّه تَوجَّه إلىٰ ابنِهِ ناصِحاً واعظاً ، وقَدْ بدأَ معهُ

بالعقيدةِ ، فأمرهُ بتوحيد الله ، ونهاهُ عن الشّركِ وعِبادةِ غيرِ اللهِ ، وعلّلَ ذلك بأنّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظيمٌ ، وهو أعظمُ أصنافِ الذنوبِ وأكبَرُها ، لأنّه يجْعلُ المَخْلوق الضّعيف إلهاً معبوداً .

وقد اسْتشْهد رسولُ اللهِ ﷺ بقولِ لُقْمان علىٰ أنّ الشّرْكَ هُوَ أقْبَحُ أنواع الظُّلْم . فروىٰ البُخاريُّ ومُسْلمٌ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِي اللهُ عنْهُ ـ قال : لمّا نزلَ قولُ اللهِ ﴿الذينَ آمنُوا ولمْ يلبِسُوا إيمانَهم بظلمٍ أُولئك لهُمُ الأمْنُ﴾ [الأنعام : ٨٢] شقّ ذلكَ علىٰ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وقالُوا : أيُّنا لا يَظْلِمُ نفْسَه ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : ليْس هوَ كمَا تظنُّون ، إنّما هوَ الشِّرْكُ ، ألَمْ تسْمَعُوا مَا قالَ لُقمانُ لابنه وهُو يعِظُهُ : « لا تشْرِكْ باللهِ ، إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ »[١] .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ .

بعْدَ أنْ ذكر اللهُ وصيّةَ لُقمانَ لابْنه بشكْرِ اللهِ أتْبَعَ ذلِكَ بأنّه وصّى الإنْسانَ بوالِديهِ ، ممّا يَدلُّ على أنّ هذا شَريعةٌ عَالميّةٌ عامّة .

وتوْصيةُ الإنْسان بوالديه أمْرٌ له ببرّ والديْهِ وطاعَتِهما وأداء حُقوقهما ، ولا سِيَّما الأُمُّ الّتي تَعِبَتْ علىٰ ابْنِها كثيراً ، وبذلكَ كان فضْلُها عليْهِ كبيراً . فَقَدْ حَمَلتْهُ وَهْناً علىٰ وَهْن ، وكانتْ في أثناءِ حَمْلِهِ تَنْتَقِلُ منْ ضعْفٍ إلىٰ ضَعْف ، منْ آلام الحَمْلِ والوحام ، إلى آلام الطّلْقِ والولادةِ والنُّفاسِ ، إلى مَتاعبِ الرّضاعَةِ وما بعْدَها منَ الرّعايةِ والعِنايةِ . وهيَ تُرْضِعُ ابْنَها في طُفولَتِهِ ، وتَفْطِمُهُ عندَما يَبْلُغُ العامَيْنِ من عُمْرِهِ ، كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿والوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أوْلادهُنّ حَوْليْنِ كامِليْنِ لِمَنْ أرادَ أنْ يُتِمّ الرّضاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقدْ أمَرَ اللهُ المُؤمنَ أنْ يَشْكُرَ لِربّه إنْعامَهُ عَليْهِ ، وأنْ يَشْكُرَ لِوالديْهِ تَربيتَهُما لهُ ، لأنّهما مَصْدرُ الإحْسانِ إليه بعْدَ اللهِ . وأخْبَرهُ أنّ مصيرهُ ومرجعَهُ يوْمَ القيامة إلىٰ ربّه ، لِيُحاسِبَه علىٰ عَمَلِهِ ، فإنْ أخلصَ لِربّه وبرّ والديْه دخلَ الجنّةَ ، وإلا عاقبَه اللهُ بالنّارِ .

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

طاعةُ الوالديْنِ مُقيّدةٌ بأنّها طاعةٌ في المَعْروف . فإنْ أمَراهُ بمعْصيةِ اللهِ فلا طاعةَ لهُما ، وإنْ جاهَداهُ علىٰ أنْ يُشْرِكَ باللهِ ، وحَمَلاهُ علىٰ الكُفْرِ بهِ ، فإنّه لا يُطيعُهما في ذلكَ لأنّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معْصية الخالِقِ .

(١) أخرجه البخاري (٦٠) كتاب أحاديث الانبياء (٤١) باب قوله ﴿ولقد اتينا لقمان الحكمة﴾ . حديث : ٣٤٢٩ .
ومسلم في (١) كتاب الايمان . (٥٤) باب صدق الإيمان وإخلاصه . حديث رقم : ١٢٤ .

ومَعَ عَدمِ طاعةِ الوالدَينِ عِنْدَ أمرِهما إياهُ بالمَعْصيَةِ ، إلاّ أنَّه مأمورٌ بمُصاحَبتِهما فِي الدُّنْيا بالمَعْروفِ والبِرِّ والإحْسانِ ، وعَليْهِ أنْ يَسْلُكَ طَريقَ الحقِّ ، وأنْ يَسيرَ مَعَ المُؤْمنينَ الصَّالِحينَ ، المُنيبينَ إلىٰ اللهِ . وهُوَ يَعْلَمُ أنَّ مَرْجعَ جَميعِ المَخْلوقينَ يَوْمَ القيامةِ إلىٰ اللهِ ، حَيْثُ يُحاسِبُ الجَميعَ ، فيُثيبُ المُحْسِنَ مُقابلَ إحْسانِه ، ويُعاقِبُ المُسيءَ علىٰ إساءَتِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحِكْمَةُ والمَعْرِفَةُ تَقومُ علىٰ ذِكْرِ اللهِ وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ ، والّذي لا يَشْكُرُ اللهَ ليسَ عالِماً ولا حَكيماً .

٢ـ عاقِبَةُ الشُّكْرِ الحَسَنَةُ تَعودُ علىٰ صاحِبِها ، واللهُ لا يَنْفَعُهُ شُكْرُ شاكرٍ ، ولا يَضُرُّه كُفْرُ كافِرٍ .

٣ـ علىٰ الأبِ أنْ يهتمَّ بتربيةِ أبنائِه وَوَعْظِهِمْ ونُصْحِهِمْ ، وأنْ يُنَشِّئَهُمْ علىٰ العقيدةِ والعبادةِ .

٤ـ الشِّرْكُ باللهِ أعْظَمُ أنواعِ الظُّلْمِ وأشدُّها قُبْحاً وسوءاً .

٥ـ البِرُّ بالوالدَيْنِ والإحْسانُ إليْهِما أساسيٌّ فِي الإسْلامِ ، ويأتي بَعْدَ الإيمانِ باللهِ وعِبادتِهِ .

٦ـ علىٰ الإنسانِ أنْ يُحْسِنَ لِمَنْ أحْسَنوا إليهِ ، وأنْ يَشْكُرَهُمْ علىٰ إنْعامِهِمْ وفَضْلِهِمْ ، وفِي مُقدِّمةِ هؤلاءِ الوالِدانِ .

٧ـ طاعةُ الوالدَيْنِ مُقيَّدةٌ بِعَدَمِ مَعْصِيَةِ اللهِ ، لأنَّه لاَ طاعةَ لِمَخْلوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِقِ .

٨ـ وُجوبُ مُصاحَبَةِ الوالدَيْنِ في الدُّنْيا بالمَعْروفِ ، حتَّى لوْ كانا كافِرَيْنِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

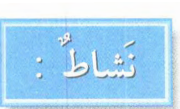
١ـ اذكرْ مَا تعرِفُه عنْ « لُقمانَ الحكيمِ » مِنْ خلالِ حَديثِ القُرْآنِ عنْهُ .

٢ـ حدّدِ الصِّلةَ بَيْنَ الحِكْمةِ والشُّكْرِ ، مِنْ خلالِ آياتِ الدَّرْسِ .

٣ـ لِماذَا قَرَنَ اللهُ بيْنَ الأمْرِ بعبادَتِه والوَصيَّةِ بالوالِدَيْنِ ؟

٤ـ مَا معنَىٰ قولِه : ﴿حَمَلَتْهُ أمُّه وَهْناً علىٰ وَهْنٍ وفِصالُه فِي عامَيْنِ﴾ ؟

٥ـ متَى تَجِبُ طاعةُ الوالِدَيْنِ ؟ ومتَىٰ تَحْرُمُ ؟ ومَاذَا يَفْعَلُ مَعَهُما عِنْدَ حُرْمَةِ طاعَتِهِما ؟



١ـ اسْتَخرِجْ آيةً مِنْ أواخرِ سورةِ فُصِّلَتْ ، وآيةً مِنْ أوائِلِ سورةِ الإسْراءِ ، تُقرِّرانِ معنَىٰ الآيةِ الثّانيةَ عشرةَ ، واكْتُبْها فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الأنْعام وآيةً مِنْ سورَةِ الإسْراءِ تَقْرِنانِ بَيْنَ الأَمْرِ بعبادةِ اللهِ والوَصِيَّةِ بالوالديْنِ ، واذْكُرِ الحِكْمَةَ مِنْ ذلكَ الجَمْعِ بَيْنَهُما .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ الرَّابِعُ

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

مَعاني المُفْرَدات :

مِثقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ	وَزْنَ أَصْغرِ شَيْءٍ ، كَوَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، وَٱلخَرْدَلُ نَبَاتٌ بذُورُهُ صَغِيرَةٌ .
إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ	يَصِلُ عِلْمُهُ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ خَفِيٍّ ، وَيُحِيطُ عِلْمُهُ بِكُنْهِ ٱلأَشْياءِ وَحَقَائِقِها .
مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ	مِنَ ٱلأُمورِ العَظِيمَةِ ٱلَّتِي أَوْجَبَها ٱللهُ .
لاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ	لاَ تُمِلْ خَدَّكَ عَنْهُمْ وَتُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنْهُم تَكَبُّراً وَٱحْتِقاراً لَهُمْ .
مَرَحاً	بَطَراً وَخُيَلاءَ .
مُخْتَالٍ فَخُورٍ	ٱلمُتَبَخْتِرِ ٱلَّذي يَمْشِي بِخُيَلاءَ ، يَفْرَحُ وَيَتَباهَىٰ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ .
وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ	تَوَسَّطْ فِي ٱلمَشْيِ ، مِنْ دُونِ تَكَبُّرٍ أَوْ تَماوُتٍ وَاسْتِضْعافٍ .
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ	اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ .

التفسيرُ :

أَخْبَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ وَصِيةِ لُقْمانَ لابْنِهِ ؛ بالإيمانِ باللهِ وعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ ، وعَنِ الوصيَّةِ بالوالدَيْنِ والإِحْسانِ إليْهِما ، وعَدَمِ مُخالَفَتِهِما إلاّ إذا أَمَرا بِمَعْصِيَةٍ .

وتُتابعُ هذهِ الآياتُ فتَذْكُرُ التَّوْجيهاتِ الّتي وَجَّهَ لُقْمانُ ابْنَهُ إليها :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أخْبَرَ لُقْمانُ ابنَهُ عَنْ شُمولِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ في السَّمواتِ والأرْضِ ، سَواءٌ أكانَ صغيراً أمْ كبيراً . قالَ لهُ : إنَّ الحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ ، مَهْمَا صَغُرَتْ ، فإنَّ اللهَ يَعْلَمُها ، ولوْ كانتْ حَبَّةَ خَرْدلٍ ـ وهِيَ مِنْ أصْغَرِ الأشْياءِ وزْناً ـ وكانتْ فِي أخفَىٰ مَكانٍ في الأرْضِ ، كأنْ تكونَ في جَوْفِ صَخْرَةٍ مُظْلِمَةٍ ، أَوْ كانتْ في أعلَىٰ مَكانٍ في السَّمواتِ ، فإنَّ اللهَ يَعْلَمُها ، و قادِرٌ على الإتْيانِ بها وإحْضارِها يَوْمَ القيامةِ ، ومُحاسَبَةِ صاحِبِها عَلَيْها .

واللهُ لَطيفٌ ، يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا كانَ خَفِيًّا صَغيراً ، فلاَ تَخْفَىٰ عَلَيْهِ الأشْياءُ مَهْمَا دقَّتْ ولَطُفَتْ ، وهُوَ خَبيرٌ يَعْلَمُ كلَّ الأشْياءِ ، ظواهِرَها وبواطِنَها .

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بعدَما أخْبرَ لُقْمانُ ابْنَهُ عَنْ شُمُوْلِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، أَمرَهُ بصالِحِ الأعْمالِ ، وعَظيمِ الصِّفاتِ ، قالَ لهُ : يَا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ . وإقامَتُها بأنْ يُؤدِّيهَا مُخْلصاً للهِ ، ويُحْسِنَ أَداءَها بفُروضِها وسُنَنِها ، ويُحافِظَ علىٰ أوْقاتِها ، ويَسْتَقيمَ على شَرْعِ اللهِ ، بَعْدَها ، ويَنْتَهِيَ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

ثم طَلَبَ مِنْهُ أنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بالمَعْروفِ ، وهُوَ كلُّ ما رَضِيَه اللهُ لِلْمُسْلمينَ وَأَمَرَهُمْ بِهِ ، مِنَ الأقوالِ والأفْعالِ وَمَكارمِ الأخْلاقِ .

وفِي مقابِلِ ذلِكَ عليْهِ أنْ يَنْهىٰ النَّاسَ عَنِ المُنْكَرِ ، ويُحَذِّرَهُمْ منهُ ، وهُوَ كلُّ مَا أنْكَرَهُ اللهُ وحَرَّمَهُ مِنَ المَعاصِي والذُّنوبِ ، سَواءٌ أكانَ قَوْلاً أمْ فِعْلاً أمْ تَصرُّفاً أَمْ خُلُقاً .

وبمَا أنَّ الدَّاعيةَ الّذي يَأْمُرُ النَّاسَ بالمَعْروفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ يَتعرَّضُ لأذَىٰ النَّاسِ فِي أقْوالِهم وأفْعالِهِمْ ، دعا لُقْمانُ ابنَهُ إلىٰ أنْ يَتزوَّدَ لِهذهِ المُهِمَّةِ بزادِ الصَّبْرِ علىٰ كُلِّ ما يُصيبُه مِنَ الأَذىٰ ، وذلِكَ كي لا يَيْأَسَ أو يَجْبُنَ ، أوْ يَتوقَّفَ عَنِ القيامِ بالواجبِ .

وأخْبرَ لُقْمانُ ابنَهُ أنَّ ما أمَرَهُ بهِ مِنْ إقامةِ الصَّلاةِ ، والأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، والصَّبْرِ علىٰ ما يُصيبُه ؛ هوَ مِنْ « عَزْمِ الأُمورِ » ، وهِيَ الأُمورُ الّتي أَمَرَ اللهُ بها وأوْجَبَها ، وجَعَلَها فَرْضاً لا يُتَخَلّىٰ عَنْهُ ولا يُتْرَكُ .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

انتقلَ لُقْمانُ في تَوْجيهِهِ لابْنِهِ لِيَنْهَاهُ عَنِ التَّكبُّرِ والاخْتيالِ علىٰ النَّاسِ :

قال لَهُ : إذا كلَّمكَ النَّاسُ أوْ قابلُوكَ فلاَ تُعْرِضْ بوَجْهِكَ عَنْهُم تكَبُّراً واحتقاراً ، وإذا كَلَّمتَهُمْ فلا تَفْعَلْ ذلكَ وأنْتَ مُعرِضٌ عَنْهُمْ . وعَلَيْكَ أنْ تكونَ مُتواضِعاً مَعَهُمْ ، سَهْلاً هيناً ليِّناً ، وقابلْهُمْ وأنْتَ مُنْبسِطُ الوَجْهِ مُبْتَسِمٌ .

وعِنْدَما تَسيرُ فِي الأرْضِ لا تَكُنْ مُخْتالاً وبَطِراً ، تَتَبَخْتَرُ في مِشْيَتِكَ ، وتَتكبَّرُ علىٰ النَّاسِ ، فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ إنْسانٍ مُختالٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ ، فَخورٍ مُتَكبِّرٍ علىٰ غَيْرِهِ .

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

بعدَ أنْ نَهىٰ لُقْمانُ ابنَهُ عَنِ المَشْيِ المُحرَّمِ أرْشَدَهُ إلىٰ المَشْيِ الطَّيِّبِ ، والكلامِ الطَّيِّبِ .

المَشْيُ الطَّيِّبُ الجَيِّدُ الَّذي يُحِبُّهُ اللهُ هُوَ المَشْيُ المُقْتَصِدُ ، وذلِكَ بأنْ يَمْشيَ الإنْسانُ مَشْياً مُتوسِطاً عَدْلاً هَيِّناً . كَما قالَ تعالَىٰ : ﴿وَعِبادُ الرَّحمَنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [الفرقان : ٦٣] .

وهٰذا معناهُ أنْ لاَ يكونَ الإنسانُ بطيئاً فِي مَشْيِهِ مُتَماوِتاً ، مُظْهِراً لِلزُّهْدِ ، ولا يكونَ سريعاً يَثِبُ في مَشْيِهِ وَثْباً .

كما أرْشَدَ لُقْمانُ ابنَهُ إلىٰ أنْ يكونَ صَوْتُه عِنْدَما يَتَكَلَّمُ مُتوسِّطاً ، فلا يكونُ خافِتاً هَمْساً غَيْرَ مَسْموعٍ ، ولا يَكونُ عالِياً شَديداً قاصِفاً ، فإنَّ شِدَّةَ الصَّوْتِ وارْتِفاعَهُ عَنِ الحاجَةِ تُؤذي المُسْتَمِعَ ، وتَدُلُّ علىٰ الغُرورِ والاعْتِدادِ بالنَّفْسِ .

وقدْ ذُمَّ رَفْعُ الصَّوتِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ ، بأنْ شُبِّهَ بنهيقِ الحَميرِ ، وهٰذا فِي غايةِ القُبْحِ والذَّمِ والشَّناعَةِ ، وصَوْتُ الحميرِ عندَ نهيقِها مِنْ أبْغَضِ الأصْواتِ عِنْدَ اللهِ ، الَّتي يُنْكِرُها ويَكْرَهُها ، وأوَّلُ صَوْتِ الحَميرِ زَفيرٌ ، وآخِرُهُ شَهيقٌ ! ولهٰذا هوَ قبيحٌ !

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ لَطيفٌ خبيرٌ ، قَدْ أحاطَ بكلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، لا يُضِيعُ مِثْقالَ حَبةِ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ أوْ شرٍّ .

٢ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَحرِصَ علىٰ القيامِ بواجِبِه تِجاهِ إخْوانِهِ بِأَمْرِهِمْ بالمَعْروفِ ونَهْيِهِمْ عنِ المُنْكَرِ .

٣ـ الصَّبْرُ علىٰ ما يُصيبُ المُسْلِمَ خُلُقٌ عَظيمٌ ، وَزادٌ كَبيرٌ لَهُ لِيَسْتَمِرَّ علىٰ القيامِ بِدَعْوَتِهِ .

٤ـ المُتَكَبِّرُ ، المُخْتَالُ الفَخُورُ المُتَعَالِي ، مَكْروهٌ عِنْدَ النَّاسِ ، بَغيضٌ عِنْدَ اللهِ .

٥ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يُقابِلَ إخْوانَهُ بالابْتِسامةِ والانْبساطِ وطَلاقةِ الوَجْهِ .

٦ـ المِشْيَةُ الجَيِّدَةُ هيَ المُتوسطةُ المُقْتَصِدَةُ المُتوازِنَةُ ، مِنْ دونِ بُطْءٍ مُتَثاقِلٍ ، ولاَ إسْراعٍ مُتلاحِقٍ .

٧ـ علىٰ المُسْلِمِ أنْ يَغُضَّ مِنْ صَوْتِه إذا كانَ عالياً ، فالصَّوْتُ الحَسَنُ هوَ المُتوازِنُ بَيْنَ الخُفوتِ والشِّدَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ (رقم ٦) صُورةً لِشُمولِ عِلْمِ اللهِ ، وإحاطَتِهِ بكلِّ شَيْءٍ .

٢ـ بيِّنْ حِكْمَةَ قَرْنِ الآيةِ (رقم ١٧) بَيْنَ الصَّلاةِ، والأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، والصَّبْرِ.

٣ـ مَا معنَىٰ « عَزْمِ الأُمورِ » ؟ ومَا الأشْياءُ الّتي اعْتَبرَتْها الآيةُ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ ؟

٤ـ مَا الأَشْياءُ الّتي نَهَىٰ لُقمانُ ابْنَهُ عنْها وذَكرَتْها آياتُ الدَّرْسِ ؟ ومَا معنَىٰ كُلِّ واحِدَةٍ مِنها ؟

٥ـ كيفَ يَكونُ القَصْدُ في المَشْيِ ، واسْتَدِلَّ على ذَلِكَ بآيةٍ أُخْرىٰ مِنَ القُرْآنِ ؟

٦ـ مَا معنىٰ قولِه « واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ » ؟ ومَا مُواصفاتُ الصَّوْتِ المَقبولِ عِنْدَ اللهِ ؟

٧ـ لِمَاذا صَوْتُ الحَميرِ هُوَ أنْكَرُ الأَصْواتِ عِنْدَ اللهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخْرِجْ آيةً مِنْ سورَةِ الأنْبياءِ بنفسِ معنَىٰ الآيةِ السّادسةَ عشرةَ ، تُقَرِّرُ أنَّ اللهَ يُحاسِبُ علىٰ مِثْقالِ مِنْ حبةِ خَردلٍ يَوْمَ القيامةِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَ الآيتيْنِ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِك .

٢ـ سجّلْ الآيَةَ (١٨٦) مِنْ سورةِ آلِ عِمْرانَ ، واذْكُرْ مَوْضوعَها ، ثُمَّ اسْتَخْرِجْ منهَا أمرَيْنِ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ ، وَقارِنْهُما بالأوامرِ في الآيةِ السّابعةَ عشرةَ .

٣ـ اذْكرْ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تَنهىٰ عنِ المَشْيِ في الأرْضِ مَرَحاً ، فمهمَا فَعَلَ فَلَنْ يكونَ بِطولِ الجِبالِ ، واذْكرْ وَجهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ الثّامنةَ عشرةَ ، واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ الخامِسُ

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسْبَغَ	: أَكْمَلَ وَتَمَّمَ .
نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً	: نِعَماً مَحْسُوسَةً وَنِعَماً مَعنَوِيَّةً غَيْرَ مَحْسُوسَةٍ .
وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلىٰ ٱللهِ	: وَمَنْ يُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلىٰ ٱللهِ ، ويُقْبِلْ عَلىٰ طاعَتِهِ .
ٱلعُرْوَةِ الوُثْقىٰ	: ٱلْحَبْلِ ٱلأَوْثَقِ ٱلمَتينِ .
عَليمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدورِ	: عَليمٌ بِحَديثِ النُّفوسِ الكائِنِ فِي ٱلصُّدورِ .
نُمَتِّعُهُمْ قَليلاً	: نَجْعَلُهُمْ يَسْتَمْتِعونَ بِعُمْرِهِمُ ٱلقَصيرِ فِي الدُّنْيا .
نَضْطَرُّهُمْ	: نُلْجِئُهُم وَنُلزِمُهُم .
عَذابٍ غَليظٍ	: عَذابٍ ثَقيلٍ عَلىٰ الكُفّارِ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنِ المَواعِظِ الَّتي وَعَظَ بها لُقْمانُ ابنَه ، والتَّوجيهاتِ الَّتي قدَّمَها له ، فِي العقيدةِ والعبادةِ والأخْلاقِ .

وتعودُ هذه الآياتُ للحديث عنِ الكُفّار ، فتذمُّهم وتوبِّخُهم على شركهم باللهِ ، وإعراضهم عَنْ دينِ اللهِ ، وتُهدِّدُهم بالعذابِ الغليظِ يوْم القيامة .

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٢٠) ﴾ .

يقولُ الله للنَّاسِ مُقرِّرا إياهُمْ بمَا حَباهُمْ به منَ النِّعَمِ الَّتي تُحيطُ بِهِمْ ، فهْو قدْ سَخَّرَ لَهُمْ كُلَّ ما في السَّمواتِ ، منْ شَمْسٍ وقَمرٍ ونُجوم ، وكُلَّ مَا في الأرْض منْ مياهٍ وبحارٍ وأنْهارٍ ، وزُروع وثمار . وأتمّ عَليْكُمْ نِعمَهُ المحْسوسة الظَّاهِرَة في الأبْدانِ والأمْوال والمُمْتَلكات ، كما أتمَّ عَليْكُم نِعمَهُ البَاطنة المَعْنويّة كالإسْلام والعلْمِ واليَقينِ والرِّضا والسَّعادة ، ونعَمُ اللهُ علىٰ عبادِهِ لا تُحْصى ولا تُحْصَرُ . كمَا قالَ تعالَىٰ : ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصوها إنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

ومُقْتَضى هَذه النِّعَم الَّتي يُشاهِدُها الإنْسانُ في نَفْسه ، وفي الأرْضِ منْ حوْلِه ، وفي السَّماء التي فوْقَهُ ، أنْ يَشْكُرَ اللهَ وَلا يَكْفُرهُ ، ويَعْبُدَهُ ولا يعْصيَهُ ، إلاّ أنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ يكْفرون ولا يُؤْمنون ويُجادلونَ المُؤْمنينَ بالباطلِ ، زاعمينَ أنَّ اللهَ لَهُ شُركاءُ ، وهُوَ في جداله لا يَتَّبعُ دَليلاً ، ولا يَصْدُرُ عنْ علْمٍ ، ولا يَنْطِقُ عَنْ هُدى ، ولا يجدُ كِتابا صَحيحا يعْتَمدُ عليْهِ يُنيرُ لهُ طَريقَ الحَقِّ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٢١) ﴾ .

عندَما يدعُو المُؤْمنونَ هَؤلاءِ المُشركينَ المُجادلينَ إلىٰ الإيمانِ باللهِ وحْدهُ ، واتِّباع ما أُنْزِلَ من الوحي علىٰ رسولِه ﷺ يرْفضون ذَلكَ ، ويُصرُّونَ علىٰ تقْليد آبائِهمْ ، ويقولون : لنْ نَتّبعَكُمْ مهْما قدَّمتُم منْ دلائل ، لأنَّنا نتّبِعُ ما وَجَدْنا عليْهِ آباءَنا منَ الدِّين ، فهو وحْده الدِّينُ الصَّحيحُ .

وقدْ وبَّخَهُمُ اللهُ لِهذا التَّقليدِ الأعْمىٰ ، والموْقفِ المذْموم ، وأنْكر عَليْهم ذَلك بقوله : هلْ يتّبعونَ آباءَهُمْ بلاَ دَليلٍ ، حتَّىٰ لو كانوا مُتَّبعينَ للشَّيْطانِ يسيرون وراءَهُ بالباطل ، ويُلبُّونَ دَعْوتَهُ إلى الكُفْرِ والشِّرْكِ ، وهُو يَقودُهُمْ إلىٰ جهنّم ، ليُعذَّبُوا فيها عذاباً شديداً في نار مُسْتَعِرة .

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٢٢) ﴾ .

إذا كانَ الكافِرُ يُقلّدُ الآباءَ بالباطلِ ، ويلبّي دعوةَ الشيطانِ إلىٰ جهنَّم ، فإنَّ المُؤْمنَ مُسْتَمْسكٌ بالحقِّ ، وقدْ أثْنَىٰ عَليْهِ اللهُ بقولِه : مَنْ يؤمِنْ باللهِ ، ويُخلصْ لهُ ، ويُسْلِمْ وَجْههُ إليهِ ، فهُو الفَائِزُ المُوفَّقُ المُفْلحُ ، وهُوَ المُسْتَمْسكُ بالحبالِ القويّة ، والمُتعلِّقُ بأوْثَقِ الوسائلِ والأعْمالِ المُوصلة إلىٰ

الجنَّةِ ، ومَصيرُ المَخْلوقاتِ كُلِّها إلىٰ اللهِ يَوْمَ القيامَةِ ، فيعاقِبُ المُسيءَ بإساءَتِه ، ويُكافِيءُ المُحْسِنَ بإحْسانِه .

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

الرَّسولُ ﷺ كانَ يَفْرَحُ ويُسَرُّ عِنْدَما يَسْتَجيبُ لَهُ مَنْ يَدعوهُ ويَتْبَعُهُ ، ويُسْلِمُ وجهَه إلىٰ اللهِ ، وكانَ بالمُقابِلِ يَحْزَنُ عِنْدَما يَكْفُرُ بِهِ الكافِرونَ ويُعْرِضونَ عَنْهُ ، لأنَّه يُريدُ إنقاذَهُمْ مِنَ النَّارِ ، وهُمْ بإعْراضِهِمْ وكُفْرِهِمْ يَخْسَرونَ ، فكانَ يَحْزَنُ لَهُمْ .

ولِذلكَ واسَىٰ اللهُ رسولَهُ ﷺ بأنْ دَعاهُ إلىٰ عَدَمِ الحُزْنِ علىٰ الكُفَّارِ ، وقالَ لَه : لا تَحْزَنْ ولا تَغْتَمَّ لِكُفْرِ الكافِرينَ ، فإنَّهُمْ هُمُ الّذينَ يَخْسَرونَ ، وأنْتَ لَمْ تُقَصِّرْ في دَعْوَتِهِمْ ، لكنَّهُمْ رَفَضوا دَعْوَتَكَ عِنَاداً واسْتِكباراً .

ومَصيرُ هؤلاءِ الكافِرينَ إلىٰ اللهِ ، حَيْثُ سَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ القيامَةِ ، ويُنَبِّئُهُمْ بأعمالِهِمُ القَبيحَةِ ويُحاسِبُهُمْ عَلَيْها ، وقدْ كانَ عالِماً بِكُلِّ ما أَظْهَروهُ وأخْفَوْهُ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ، فلاَ تَخْفىٰ عليهِ خافِيَةٌ .

وهؤلاءِ خاسِرونَ لِدُنياهُم وآخِرَتِهِمْ ، لأنَّ حَياتَهُمْ في الدُّنيا قَصيرةٌ ، وأعْمَارَهُمْ فيها مَحدودةٌ ، سَرْعانَ ما تَنْتَهي ، وقدْ تمتَّعُوا في الدُّنيا بِشَهواتِها ومَلَذَّاتِها وزَخارِفِها ، ولَمْ يُؤمِنوا باللهِ ، ولَمْ يُفَكِّروا بالآخِرَةِ ، وانتَهىٰ تَمَتُّعُهُمْ في الدُّنيا بالمَوْتِ .

وفي الآخِرَةِ يُعذِّبُهُمُ اللهُ في جَهَنَّمَ عَذاباً غَليظاً شَديداً شاقّاً ثَقيلاً ، يُلْجِئُهُمْ إليْهِ ويُلْزِمُهُمْ بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضَ مُسَخَّرَةً لبني آدَمَ ، وخَلَقَ بني آدَمَ لِيَعبدوهُ وَحْدَهُ .

٢ـ نِعَمُ اللهِ علىٰ النَّاسِ لا تُحْصىٰ ، منْها الظَّاهِرةُ والباطِنَةُ ، ويَجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَشكروهُ عَلَيْها .

٣ـ الكافِرُ يُجادِلُ في اللهِ بالباطِلِ ، ويُشْرِكُ بِه ، ولا يَجِدُ دليلاً نَقْليًا أَوْ عَقْليّاً يَعْتَمِدُ عليهِ .

٤ـ الكُفَّارُ يُقَلِّدونَ آباءَهُمْ تَقليداً أعمىٰ ، ويَتَّبِعونَهُمْ علىٰ الباطِلِ ، ويَتْرُكونَ الحَقَّ .

٥ـ علىٰ الإنْسانِ أنْ يَتَّبِعَ الحَقَّ ، مَهْما كَانَ قائِلُهُ ، وأنْ يَرْفُضَ كُلَّ ما يَتعارَضُ مَعَهُ ، مَهْما كانَ صاحِبُهُ .

٦ـ المُسْلِمُ هُوَ المُهْتَدي البَصيرُ ، والمُسْتَمْسِكُ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ ، والفائزُ عِنْدَ اللهِ .

٧ـ المُسْلِمُ يَحْزَنُ وَيَتَأَلَّمُ لِكُفْرِ الكافِرِ وانْحرافِ العاصِي ، لأنَّ ذَلكَ يَحْرِمُهُ مِنَ الفلاحِ .

٨ـ كُلُّ مَلَذَّاتِ الدُّنيا ومُتَعِها قَليلةٌ ، لأنَّها مَوْقوتةٌ ، وتَنْتَهي بِمَوْتِ صاحِبِها ، والمَتاعُ الباقي فِي الجَنَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ أرْبعاً مِنْ نِعَمِ اللهِ الظَّاهِرةِ وأرْبعاً مِنْ نِعَمِهِ البَاطِنَةِ عَلَيْكَ .

٢ـ بِماذَا يَرُدُّ الكُفَّارُ علىٰ دَعْوةِ المُؤمِنينَ لَهُمْ إلىٰ اللهِ ؟ وعلَىٰ ماذا يَدُلُّ قَوْلُهُمْ ؟

٣ـ أ ـ مَا المُرادُ بإسلامِ الوَجهِ للهِ ؟ ب ـ وكَيْفَ يَكونُ الاسْتِمْساكُ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ ؟

٤ـ لِماذا يَحْزَنُ الرَّسولُ ﷺ علىٰ كُفْرِ الكَافِرينَ ؟ وما دَلالةُ ذلِكَ ؟

٥ـ اسْتِخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ (رقم ٢٤) دَلالةً تَرْبويةً نافِعَةً .

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأ الآياتِ الأولىٰ مِنْ سورةِ الحَجِّ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا آيةً بِنَصِّ القِسْمِ الثّانِي مِنْ هذهِ الآيةِ ﴿ومِنَ الناسِ . . . .﴾ ، وسَجِّلِ الآيةَ التي بَعْدَها ، ولاحِظ التَّهديدَ الّذي فيهَا .

٢ـ الآيةُ (١٧٠) مِنْ سورةِ البَقَرةِ بمعنىٰ الآيةِ الحاديةِ والعشرينَ . سَجِّلْها في دَفْتَرِك ، ثُمَّ لاحظِ الفَرْقَ بَيْنَ الآيَتيْنِ ، وَوجْهَ الشَّبهِ بَيْنَهُما .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ السَّادِسُ

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَمُدُّهُ : يَزِيدُهُ وَيُساعِدُهُ .

نَفِدَتْ : انْتَهَتْ .

كَلِماتُ ٱللهِ : كَلامُ ٱللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

التفسيرُ :

أخْبَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ رَفْضِ الكُفَّارِ اتِّباعَ الحَقِّ ، وجِدَالِهِمْ في اللهِ بالباطِلِ ، وذمَّتْهُمْ وَوبَّختْهُمْ ، وهَدَّدتْهُمْ بالعذابِ الغَليظِ .

وتُخْبِرُ هذهِ الآياتُ عَنْ إقرارِ المشْرِكينَ بأنَّ اللهَ هوَ الخالِقُ ، وهُمْ مَعَ ذلكَ يُشْرِكونَ بهِ .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

الكفَّارُ يُقِرُّون بأنَّ خالِقَ السَّمواتِ والأرْضِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُشْرِكونَ بِهِ آلِهَةً أخرىٰ .

يَقولُ اللهُ لِرَسوله ﷺ : إنْ سَأَلتَ هؤلاءِ المُشْرِكِينَ : مَنِ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ ؟ فَسَيُجِيبُونَ قائِلينَ : اللهُ وَحْدَهُ هوَ الَّذي خَلَقَهُما .

وهُمْ مُتناقِضونَ مَعَ أنْفُسِهِمْ ، فبالرَّغْمِ مِنْ إقرارِهِمْ بأنّ اللهَ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الخالِقُ ، فإنَّهُمْ يَعبدون غَيْرَه ، ويَجْعلونَ لَهُ شُركاءَ ، وهُمْ يَعْتَرِفون أنَّهُمْ مَخْلوقون مَمْلوكونَ للهِ ، ولكنَّهُمْ يعْصونَهُ!

وقَدْ أمَرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَحْمَدَ اللهَ عِندمَا يَسْمعُ جوابَهُمْ ، لأنّه أقامَ عَليْهِمُ الحُجَّة بتَقْريرِهِمْ أنّهُ الخَالِق ، فالخَالِقُ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ دونَ سِواهُ .

وَمَعَ ذلكَ فأكْثَرُ المُشْرِكينَ لا يَعْلمون ما يجبُ للهِ مِنَ الوحْدانيّةِ والخُضوعِ ، فيُشْرِكون مَعَهُ غَيْرَهُ ، ويَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِه ، مَعَ اعْتِرافِهِمْ أنَّهُمْ مَخْلوقون .

﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾

إذا كانَ اللهُ هُوَ ـ وَحْدَهُ ـ خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، باعْتِرافِ المُشْرِكين أنْفُسِهِمْ ، فإنَّه ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ المَالِكُ لِلسَّمواتِ والأرْضِ وما فيهِما ومَا بيْنَهُما ، المُتصرِّفُ في خلْقِهِ كما يَشاءُ . وهذا مَعْناهُ أنّهُ ـ وَحْدَهُ ـ الإلهُ الرّبُّ المَعْبودُ ؛ فلا يَسْتحِقُّ غَيْرُهُ الخُضوعَ والعبادةَ .

واللهُ الخَالِقُ المالِكُ هُوَ الغنيُّ الحَميدُ ، غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ ما سِواهُ ، والمخْلوقون مَمْلوكونَ للهِ ، فُقراءُ مُحْتَاجُونَ إليهِ ، وهُوَ المَحْمُودُ المُسْتَحِقُّ لِلثَّناءِ والشُّكْرِ ، لِما أنْعمَ بِهِ عَلَىٰ خلْقِهِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

اللهُ الخالِقُ المالِكُ المَعْبودُ الغَنِيُّ الحَميدُ ، وهُوَ مُتكلِّمٌ مَتى شاءَ ، كَيْفَ يَشاءُ ، وكلامُه لا نِهايةَ لَهُ ، لأنَّ الكلامَ مِنْ صِفاتِه القائِمةِ بذاتِهِ سُبحانَه وتعالَىٰ ، الّتي ليْسَ لها بدايةٌ ولا نِهايةٌ .

وَعَرَضَتْ لَنا الآيةُ صُورةً مُؤَثِّرَةً ، لِتَرْسيخِ هذه الحقيقةِ في أذْهانِنا ، مِنْ أنَّ لا نِهايةَ لِكَلِماتِ اللهِ .

لِنَتصوَّرْ أنّنا قَطعنا جَميعَ أشْجارِ الأرْضِ مِنَ الغاباتِ والجِبالِ والسُّهولِ والوِدْيانِ ، وجعَلْنا مِنْها أقْلاماً للْكِتابَةِ ، فَكَمْ سيكونُ عِندنا مِنَ الأقْلامِ! ولْنَتصوّرْ أنّنا جَعلنا البحْرَ حِبْراً لِلكِتابَةِ ، وأمْدَدناه بِسَبْعَةِ أبْحُرٍ أُخْرَىٰ جَعَلْنا ماءَها حِبْراً ، فكَمْ سَيكونُ عِنْدَنا مِنَ الحِبْرِ!

ولْنَتصوّرْ أنَّ المَخْلوقينَ جميعا شرَعوا بكِتابةِ كلماتِ اللهِ الّتي يَتكلّمُ سُبحانه بها بِتلكَ الأقْلامِ ، مُسْتَخدِمينَ ذلكَ الحِبْرَ مِنَ البِحارِ الثّمانِيَةِ!

ماذا ستكونُ النّتيجةُ ؟ سَوْفَ تتكسّرُ الأقْلامُ ، وينْفدُ وينْتهي حِبْرُ تلكَ البِحارِ ، ولا تَنْفَدُ كَلِماتُ اللهِ!

إنَّ كَلِمَاتِ اللهِ لا نِهايةَ لهَا ، لأنَّ كلامَ اللهِ لَيْسَ لهُ بدايةٌ ولا نِهايةٌ ، وكُتُبُ اللهِ الّتي أنْزلَها على رُسُلِه ، كالتّوراةِ والزّبورِ والإنْجيلِ والقُرآنِ مَحْدودةٌ مَحصورةٌ ، وهي بعْضُ كلامِ اللهِ الّذي لا نِهايةَ لهُ

وبكلماتِهِ خلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، وأَوْجَدَ الكَوْنَ وما فيهِ ، فهذا الكَوْنُ خُلِقَ بعِلْمٍ ، وأُقيمَ بحِكْمَةٍ .

واللهُ عَزيزٌ قَوِيٌّ ، لا يُعْجِزُه شَيْءٌ ، ولا يَغْلِبُهُ مَخْلوقٌ ، أَخْضَعَ المَخْلوقينَ لَهُ ، وهُوَ حَكيمٌ في صُنْعِهِ وكَلامِهِ وقَدَرِهِ .

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

كلامُ اللهِ لا نِهايَةَ لَهُ ، وعِلْمُهُ شامِلٌ لِكُلِّ شيءٍ ، وقُدْرَتُهُ مُطْلَقَةٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشاءُ ، وَلاَ يُعْجِزُه أيُّ شَيْءٍ ، وإِذَا أَرادَ شَيْئاً فإنَّما يَقولُ لهُ كُنْ فيكونُ .

ولا بدَّ أنْ يُوقِنَ النَّاسُ بكلِّ ذلكَ ، ومِنْ ثَمَّ يُؤْمنونَ بيومِ القيامَةِ ، ولا يَسْتغرِبونَ بَعْثَ النَّاسِ أحياءً بعدَ أنْ صارُوا تُراباً .

ولِذلكَ قالَ اللهُ لِلنَّاسِ : خَلْقُكُمْ جَميعاً في الدُّنْيا ، وبَعْثُكُمْ جميعاً يَوْمَ القيامَةِ ، هَيِّنٌ سَهْلٌ علىٰ اللهِ ، هُو كَخَلْقِهِ لِنفسٍ واحِدَةٍ مِنْكُمْ ، وكَبَعْثِهِ لِنَفْسٍ واحِدَةٍ ، الكُلُّ عِنْدَ اللهِ سَواءٌ ، الفردُ والمَجْموعُ ، يَستوِي عِنْدَه الواحِدُ والجَماعَةُ ، والقَليلُ والكَثيرُ .

كمَا قَالَ تعالَىٰ : ﴿إنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أَنْ يَقولَ لَهُ كُنْ فَيكونُ﴾ . [يس : ٨٢]

فمَنْ لا نَفادَ لِكَلماتِهِ ، ولا نِهايَةَ لِعِلْمِهِ ، ولا تَحْديدَ لِقُدْرَتِهِ يَقولُ لِلْمَوتَىٰ يومَ القيامَةِ : كونوا فَيكونونَ أحياءً كما أرادَ اللهُ .

واللهُ سَميعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وبَصيرٌ بكلِّ شَيْءٍ ، يَسْمَعُ أقْوالَ عِبادِهِ ، وَيَراهُمْ أينَما كانوا ، سَمْعُهُ وبَصَرُه بِهِمْ على كَثْرَتِهِمْ كَسَمْعِهِ وبَصَرِه بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يَعْتَرِفونَ بوجودِ اللهِ ، وأَنَّهُ الخالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالمُشْكِلَةُ عِنْدَهُمْ فِي وَحْدانيَّةِ اللهِ ، ولِهٰذا يُشْرِكُونَ بهِ غَيْرَهُ مِنَ المَخْلوقينَ .

٢ـ اللهُ الخالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، المالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، القادِرُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، وهٰذا معناهُ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ .

٣ـ الله يَتكَلَّمُ مَتى شاءَ ، كَيْفَ شاءَ ، وَقَدْ كَلَّمَ اللهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ كما كَلَّمَ رَسولَنا ﷺ في الإِسْراءِ ، والقُرْآنُ كَلامُهُ وَخَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِكَلماتِهِ .

٤ـ كلامُ اللهِ لاَ نِهايَةَ لهُ ، لأَنَّه صِفَةٌ قائِمَةٌ بِذاتِ اللهِ .

٥ـ قُدْرَةُ اللهِ مُطْلَقَةٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلاَ يُعْجِزُهُ أَيُّ شَيْءٍ ، وهٰذا مِنْ لَوازِمِ أُلوهيَتِهِ .

٦ـ الواحِدُ والجَماعةُ والقَليلُ والكَثيرُ سَواءٌ عِنْدَ اللهِ ، لأَنَّهُ يقولُ لِلشيْءِ كُنْ ، فَيَكونُ .

٧ـ يَجِبُ وصْفُ اللهِ بكلِّ كَمالٍ ، وأنْ نُسَمِّيَهُ سُبحانَه بما سَمَّىٰ نفسه مِنَ الأَسْماءِ الحُسْنَىٰ ، فهوَ عزيزٌ حكيمٌ ، سَميعٌ بَصيرٌ ، غَنِيٌّ حَميدٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ الآتيةِ :

١ـ لِمَاذَا أَكْثَرُ الكُفّارِ لا يَعْلَمون مَعَ أَنَّهُمْ يُقِرّونَ بأَنَّ اللهَ هُوَ خالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ ؟

٢ـ وَضّحْ الصُّورةَ الّتي رَسَمَتْها آياتُ الدَّرْسِ لِعدمِ انتهاءِ كَلماتِ اللهِ .

٣ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ عَدَمِ نِهايَةِ كَلِماتِ اللهِ ، وبَيْنَ كَوْنِ كَلِماتِ القرآنِ وآياتِهِ مَحْصورَةً ، مَعَ أَنَّه كَلامُ اللهِ ؟

٤ـ اقرأْ آياتِ الدَّرْسِ ، واسْتَخْرِجْ منهَا سِتَّةَ أسماءٍ للهِ ، وبيِّنْ معنىٰ كلِّ اسْمٍ منها .

٥ـ كَيْفَ يَكونُ خَلْقُ النّاسِ وَبَعْثُهُمْ كالنَّفْسِ الواحِدَةِ ؟ وعلىٰ ماذا يَدُلُّ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ آخِرِ سُورةِ الكَهْفِ بِمعنىٰ الآيةِ الخامسةِ والعشرينَ ، تُقَرِّرُ أنَّه لا نِهايةَ لِكَلماتِ اللهِ ، واذْكُرْ الفَرْقَ بَيْنَ الآيتيْنِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ أَرْبَعَ آياتٍ أُخْرَىٰ مِنَ القُرْآنِ مَبْدوءَةً بقولِه : « لَئِنْ سأَلْتَهم » تُقَرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ عِنْدَما يُسأَلونَ عنْ خالِقِ السَّمواتِ والأرضِ يُجِيْبُونَ أنَّه اللهُ ، واكْتُبْها فِي دَفْتَرِك .

* * *

الدَّرْسُ الثَّلاثونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ السَّابِعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يولِجُ** : يُدْخِلُ .
- **سَخَّرَ** : ذَلَّلَ وَأَخْضَعُ .
- **أَجَلٍ مُسَمًّى** : وَقْتٍ مُحَدَّدٍ ، يَتَوَقَّفانِ عِنْدَ مَجيئِهِ ، وَهُوَ يَوْمُ ٱلقِيامَةِ .
- **ٱلفُلْك** : ٱلسُّفُنَ .
- **صَبَّار** : كَثيرِ ٱلصَّبْرِ .
- **غَشِيَهُم** : غَطّاهُم وَعَلاهُم .
- **الظُّلَل** : جَمْعُ ظُلَّةٍ، وهِيَ الَّتِي تُظَلِّلُ ٱلنَّاسَ وَتَحْجُبُ عَنْهُمْ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ كَالسَّحابَةِ وَالجَبَلِ .
- **مُقْتَصِدٌ** : مُتَوَسِّطٌ فِي ٱلعَمَلِ ٱلصَّالِحِ .
- **خَتَّار** : غَدَّارٍ .

التفسيرُ :

تحدثتِ الآياتُ السَّابقةُ عنْ خلْقِ اللهِ للسموات والأرضِ ، وملْكِهِ لهُما ، وبيّنَتْ أنّهُ لا نِهايةَ لِكَلماتِهِ ، ولاَ تحديدَ لِقُدْرَتِه ، فَهُوَ اللهُ الخالِقُ المالِكُ القادِرُ ، لا شَريكَ لَهُ .

وتتحدّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ فِعْلِ اللهِ في كَوْنِهِ ، والحِكَمِ المُتَرَتِّبَةِ على ذَلِكَ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

منْ أَفْعالِ اللهِ الّتي تَحدَّثَتِ الآياتُ عَنْها إيلاجُ النَّهارِ في اللّيْلِ ، واللّيْلِ في النَّهارِ وتَسخيرُهُ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وتَقديرُ جَرَيانِهِما .

يقولُ اللهُ لِرَسولِه ﷺ ولِكُلِّ مُتدبِّرٍ منْ بَعْدِه : أَلَمْ تُشاهِدْ آيةً رَبّانيّةً في تَعاقُبِ اللّيْلِ والنَّهارِ ، فاللهُ ـ وَحْدَهُ ـ هُوَ الّذي يأْتي بهِما ، يُدْخِلُ اللّيْلَ في النَّهارِ ، ويزيدُ فيهِ ، فيكونُ اللّيْلُ طَويلاً والنَّهارُ قصيراً ، وذلكَ فِي الشِّتاءِ ، ويُدخِلُ النَّهارَ في اللّيْلِ ، فيكونُ اللّيْلُ قصيراً والنَّهارُ طويلاً ، وذلكَ فِي الصَّيْفِ .

وجَعَلَ اللهُ تَعاقُبَ اللّيْلِ والنَّهارِ لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ علىٰ وجْهِ الأرضِ ، وسَخَّرَ لَهمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، يَسْتَفيدونَ مِنْ سَيْرِهِما ، ويُحَقِّقونَ مَصالِحَهُمْ ومَنافِعَهُمْ ، وأخْضَعَ اللهُ هَذيْنِ الكَوْكَبَيْنِ الكَبيرَيْنِ لأَمْرِهِ ، وجعلَهُما يَجْرِيانِ وَيَسيرانِ ، مِنْ دونِ تَوَقُّفٍ أوِ انْقِطاعٍ ، إلىٰ أَجَلٍ مُحَدَّدٍ لهُما ، وهوَ يَوْمُ القيامةِ ، حَيْثُ يَقْضي عليْهِما ويُنْهي الحَياةَ الدُّنْيا .

واللهُ العالِمُ بِكلِّ ما يَجْري في الكَوْنِ ، عَالِمٌ بِكُلِّ ما يَعْمَلُهُ النَّاسُ منْ خَيْرٍ أَوْ شرٍ ، وبِمَا يُعْلِنونَهُ أَوْ يُخْفونَهُ ، لا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خافِيَةٌ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

يُذَكِّرُنا اللهُ بآياتِه الكَوْنيةِ المُشاهَدَةِ ، لِنَتوصَّلَ مِنْ خلالِها إلىٰ تَوْحيدِه وعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ .

يَقولُ اللهُ : إنَّما يُظهِرُ اللهُ لكُم آياتِهِ ، ويُبيِّنُ لَكُمْ عَجائِبَ قُدرَتِهِ وحِكْمَتِهِ ، لِتَسْتَدِلُّوا بها عَلىٰ أنَّهُ هُوَ الإِلٰهُ الحَقُّ ، لا شَريكَ لَهُ ، وهُوَ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ ، وأنَّ كلَّ ما يَعْبُدُهُ الكُفّارُ ويَدْعونَه مِنْ دونِه ، وَيَجْعَلونَه إلٰهاً شَريكاً لهُ باطِلٌ ، لَيسَ إلٰهاً ولا مَعْبوداً .

وهذا مَعْناهُ أنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ ، تعالىٰ على المَخْلُوقِينَ ، فلمْ يُساوِه في عُلُوِّهِ أَحَدٌ ، وَهُوَ الكَبيرُ ،

لا يَقْرَبُهُ فِي كِبْرِيَائِهِ أَحَدٌ ، فَهُوَ العَلِيُّ الأَعْلَىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الكَبِيرُ الأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلُّ ما سِواهُ خاضِعٌ لَهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وفِي مُقابِلِ المُؤْمِنِ الصَّبَّارِ الشَّكورِ ، الكافِرُ الخَتَّارُ الكَفُورُ ، فالكُفَّارُ يَلْجَؤونَ إِلىٰ اللهِ في الضُّرِّ ، ويَكْفُرونَ بِهِ عِنْدَ الرَّخاءِ .

فَقَدْ يُسافِرُ الكُفَّارُ فِي البَحْرِ ، ويُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَمْواجَ البَحْرِ العاتِيَةِ الشَّديدَةِ ، فَتَغْشاهُم وتُحدِقُ بِهِم مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وتُشْبِهُ فِي ارْتِفاعِها الجِبالَ والسَّحابَ ، عِنْدَ ذلِكَ يَدعونَ اللهَ بِتَضرُّعٍ وإِلْحاحٍ ، ويُخْلِصونَ لهُ الدِّينَ ، ويُعاهِدُونَهُ علىٰ الاسْتِقامَةِ إِنْ هُوَ نَجَّاهُمْ .

وعِنْدَما يُنَجِّيهِمْ إِلىٰ البَرِّ سالِمينَ ، يَبْقىٰ قَليلٌ مِنْهُمْ علىٰ عَهْدِهِ مَعَ رَبِّهِ ، يُوحِّدُهُ ويَعْبُدُهُ ، ويَكونُ مُقْتَصِداً مُتَوسِطاً فِي عَمَلِهِ الصَّالِحِ والأَوْلَىٰ لَهُ أَنْ يَزيدَ مِنْهُ ، وَيَرْجِعُ كَثيرٌ مِنْهُمْ عَنْ عَهْدِهِ ، ويَكْفُرُ بِرَبِّهِ ، ويَجْحَدُ نِعْمَتَه ، ويُشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ ، وبذلِكَ يَكونُ غَدَّاراً ناقِضاً لِلْعَهْدِ ، كَفوراً جاحِداً لِلنِّعْمَةِ .
واللهُ لا يحِبُّ كلَّ غدَّارٍ خائِنٍ كفورٍ جاحِدٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ مِنْ آياتِ اللهِ ، وعَلَىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَلْتَفِتَ لها ، ويَفيدَ مِنْها .

٢ـ نظَّمَ اللهُ حَرَكَةَ الشَّمْسِ والقَمرِ والأَرْضِ والنُّجومِ وقَدَّرَها تَقْديراً ، وَجَعَلَها تَسيرُ بِدِقَّةٍ مُتناهِيَةٍ .

٣ـ اللهُ هُوَ الإِلهُ الحَقُّ ، والدَّلائلُ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَثيرةٌ ، وعِبادةُ غَيْرِه باطِلٌ وضَلالٌ .

٤ـ يُري اللهُ النَّاسَ آياتِهِ ، مِنْ خلالِ نِعَمِهِ وعَطاياهُ ورَحْمَتِه ، لَكِنْ لا يَلْتَفِتُ لهَا إلاَّ المُؤْمِنُ .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَجْمعَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ المُتَقابِلَيْنِ : الصَّبْرِ علىٰ الشِّدَّةِ ، والشُّكْرِ علىٰ النِّعْمَةِ .

٦ـ الكافِرُ لا يَعْرِفُ اللهُ إلاّ عِنْدَ الشِّدَّةِ ، وهُوَ يَنْقُضُ عَهْدَه معه عِنْدَ الرَّخاءِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبعةَ دلائِلَ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وتَسْخِيرِهِ الكَوْنَ للإنسانِ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ صِفتيْنِ مَحْمُودَتيْنِ لِلْمُؤْمِنِ ، فِي مُقابلِ صِفَتَيْنِ مَذْمومَتَيْنِ لِلْكافِرِ .

٣ـ مَا مَوْقِفُ الكُفَّارِ عِنْدَ الشِّدَّةِ ؟ ومَاذا يَفْعَلونَ عِنْدَ الرَّخاءِ ؟

٤ـ كَيْفَ يُولِجُ اللهُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ ؟ ومَتَىٰ ؟ وكَيْفَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللّيْلِ ؟ وَمَتَىٰ ؟

٥ـ سَجّلْ فَائِدتَيْنِ تَخْرُجُ بِهِما مِنْ مَجيءِ النَّهارِ ، وفائِدتَيْنِ تَخْرُجُ بِهما مِنْ مَجيءِ اللَّيْلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخرِجْ مِنَ القُرْآنِ ثَلاث آياتٍ مِنْ سُوَرٍ أخرىٰ ، تُخْبِرُ عَنْ إيلاجِ اللّيْلِ فِي النَّهارِ وإيلاجِ النَّهارِ في اللَّيْلِ ، وسَجِّلْها في دفترِك ، واسْتَخْرِجْ منهَا ثلاث دَلالاتٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الّتي تُبيِّنُ أَنَّ الكِبْرِياءَ للهِ وَحْدَهُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الحادِي والثلاثونَ

سُورَةُ لُقْمانَ - القِسْمُ الثَّامِنُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱتَّقوا رَبَّكُمْ : خافوا عَذابَ ٱللهِ .

لاَ يَجْزي : لاَ يُغْني وَلاَ يَنفعُ .

لاَ تَغُرَّنَّكُمُ : لاَ تَخْدَعَنَّكُمْ .

ٱلغَرورُ : ٱلشَّيْطَانُ يَغُرُّ ٱلإنسانَ وَيَخْدَعُهُ .

عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ : ٱللهُ يَعْلَمُ وَقْتَ مَجيءِ ٱلسَّاعَةِ .

يُنَزِّلُ ٱلغَيْثَ : يُنَزِّلُ ٱلماءَ مِنَ ٱلسَّحابِ رَحْمَةً وَغَيْثاً لِعِبادِهِ .

التفسيرُ :

أخبرتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ خُضوعِ الكَوْنِ للهِ ، وقَدَّمتِ الأدِلَّةَ علىٰ وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، وَبيَّنَتْ رَحْمَتَه بالنَّاسِ فِي إنْعامِهِ عَلَيْهِمْ وتَيسيرِ حياتِهِمْ .

ودَعَتْ هذهِ الآياتُ إلىٰ تقوىٰ اللهِ وخَشْيَتِه والخَوْفِ مِنْ عذابِهِ ، وعَرَضَتْ صُورَةً لأهْوالِ يَوْمِ القِيامةِ ، كيْ لا ينساها النَّاسُ ، ولا يَنْشَغِلوا بالدُّنْيا عَنْها .

وختمت السورة بآية جامعة تبين علم الله الشامل لكل شيء ، وذكرت مفاتح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ .

يدعو الله الناس إلى عدم الانخداع بالحياة الدنيا ونسيان الآخرة ، وعليهم أن يتذكروا يوم القيامة ، الذي لا ينفع فيه أحد أحداً ، ليزدادوا تقوى وخشية لله

يقول الله للناس جميعاً ، مسلمين وكافرين : يا أيها الناس اتقوا الله ربكم ، الذي خلقكم ورزقكم ، وتقواكم له تعني الازدياد من عبادته وذكره ، وترك ما حرمه ، والحذر من عقابه ، لتنالوا محبته ورضوانه .

وعليكم أن تخشوا يوم القيامة ، وأن تخافوا من أهواله ، فأهواله مخيفة تجعل الأطفال شيبا ، ولو أراد الوالد أن يفدي ابنه أو ينفعه ما استطاع ، ولو أراد الابن أن يفدي أباه أو ينفعه ما استطاع ، فلا يغني أحد عن أحد ، ولا ينصر أحد أحداً ، ولا يشفع أحد لآخر إلا بإذن الله وكل إنسان مشغول بنفسه عن الآخرين ، والإنسان يفر من أقرب الناس إليه في الدنيا .

ويوم القيامة آت حتما لأن الله أراد ذلك ، ووعد عبده مجيئه ، ووعده حق لا يتخلف ، والإنسان يوم القيامة إما مؤمن مثاب منعم في الجنة ، وإما كافر معذب في جهنم .

ويدعو الله الناس إلى عدم الاغترار والانخداع بالحياة الدنيا ، وعدم الانشغال بها عن الآخرة ، ونسيان الآخرة في غمرة الالتهاء بها ، فهي زائلة فانية بالرغم مما فيها من زينة ومتاع وزخارف ، ومن اغتر بها يخسر خسارة بالغة .

وعلى الناس أن يحذروا الشيطان المخادع ، لأنه غرور يغر الناس ، ويخدعهم بوساوسه وأمانيه ، ويزين لهم المخالفة ، ويرغبهم في المعصية ، ويخدعهم بحلم الله وإمهالهم ، ويؤجل لهم التوبة . كما قال تعالى عنه : ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا . يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ [النساء ١١٩-١٢٠] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾ .

لله مالك الدنيا والآخرة ، أمره ماض فيهما ، ليس معه شريك ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، وجاءت خاتمة السورة بياناً لعلم الله الشامل ، وتأكيدا لقصور الإنسان وضعفه . حيث ذكرت المفاتح الخمسة التي اختص الله بها . فلا يعلمها أحد غيره ، لا يقدر عليها غيره .

ـ اللهُ ـ وَحْدَه ـ الّذي يَعْلَمُ متىٰ تقومُ السّاعَةُ ؛ حَيْثُ تنتهي الدُّنْيا ، ويَجيءُ يَوْمُ القيامَةِ ، ولَمْ يُطْلِعْ علىٰ هٰذا مَلَكاً مُقرَّباً ، ولا نبيًا مُرْسلاً ؛ كمَا قالَ تعالىٰ : ﴿لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاَّ هوَ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

ـ اللهُ ـ وَحْدَه ـ الّذي يُنزّلُ الغيْثَ ؛ فَهْوَ الّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ وَيَسوقُ السَّحابَ ، ويأْمُرُ بإنزالِ الغَيْثِ علىٰ عِبادِه رَحْمَةً بهِمْ ، ويُحيي بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ، وإذا مَنَعه اللهُ فلاَ أحدَ يَقْدِرُ علىٰ إنْزالِه مِنْ بَعْدِه .

ـ اللهُ ـ وحْدَهُ ـ الّذي يَعْلَمُ مَا في الأَرْحام ؛ فَهُوَ الّذي يَعْلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثىٰ ، مِنَ الإنْسِ أَوِ الجنِّ أَوِ الدّوابِّ ، ولا تَحملُ الأُنْثىٰ إلاّ بأَمْرِه ، ولاَ يَحْفَظُ الجَنينَ فِي رَحِمِها إلاَّ هُوَ ، وهُوَ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يعْلَمُ صِفاتِ ذلكَ الجنينِ وطَبائِعَهُ وخَصائِصَهُ ، وَحدَّدَ لهُ مَعالِمَ شَخصيتِهِ ورِزْقِهِ وأَجلِه ، وهُداهُ أوْ ضَلالَهُ ، وشَقاءَهُ وسَعادتَهُ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يَعْلمُ ماذا يَكْسِبُ كُلُّ واحِدٍ ؛ فهُوَ الّذي يُحَدِّدُ لِكُلِّ إنْسانٍ رِزْقَهُ ودَخْلَهُ في حياتِهِ ، وقدَّرَ لهُ ذلكَ ، وبالرّغْمِ مِنْ أنَّ الإنْسانَ يَسْعىٰ ويأْخُذُ بالأسْبابِ ، ويَحْرِصُ ويَجْتَهِدُ ، إلاّ أنَّه لا يُحَدِّدُ رِزْقَهُ بِكَسْبِهِ ، إنَّما الّذي يُحدِّدُ ذلكَ اللهُ وَحْدَهُ .

ـ اللهُ ـ وَحْدَهُ ـ الّذي يعْلَمُ أيْنَ يَموتُ كلُّ إنْسانٍ ؛ فَهُوَ الّذي يُحَدِّدُ لِكُلِّ إنْسانٍ أَجَلَهُ ، وقدَّرَ لهُ عُمُرَهُ ، وإذا جاءَ أجَلُهُ لا بدَّ وأنْ يَموتَ ، وأَبْقىٰ هٰذا مَخْفِيًّا عنهُ ، فلاَ يَعْلَمُ إنْسانٌ أيْنَ أوْ كَيْفَ أوْ أنّىٰ يموتُ ، لأنَّ عِلْمَ ذلكَ عِنْدَ اللهِ .

وبما أنَّ اللهَ اخْتصَّ بالعِلْمِ بهذِهِ المَفاتِحِ الغَيبيّةِ الخَمْسَةِ فَهُوَ الّذي أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وهُوَ العليمُ الخَبيرُ سُبْحانه وتَعالىٰ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ الخَوْفِ مِنَ اللهِ وتَقْواهُ والخَوْفُ مِنْ عَذابِهِ والاسْتعدادُ لِلقائِه .

٢ـ التَّذكُّرُ المُسْتَمِرُّ لأَهْوالِ يَوْمِ القيامَةِ ، حَيْثُ لا يَجْزي أَحَدٌ عنْ أحَدٍ لِلاستقامةِ علىٰ طاعةِ اللهِ .

٣ـ عَدمُ الانْخِداعِ والاغْترارِ بالحَياةِ الدُّنْيا وزينَتِها لأَنَّها غَرّارَةٌ تُنسي الآخِرَةَ .

٤ـ الحَذَرُ مِنَ الشَّيْطانِ ووَساوِسِهِ وتَزيينِه ، وعَدمُ الاسْتجابَةِ لَه ، لأنّهُ لا يَعِدُ النّاسَ إلاَّ غُروراً .

٥ـ مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهنَّ إلاّ اللهُ .

٦ـ مَهْما بَلَغَ الإنْسانُ مِنَ العِلْمِ فإنَّ عِلْمَهُ لا يَكادُ يُذْكَرُ أمامَ مَا يَجْهَلُهُ ويُخْفيهِ اللهُ عَنْهُ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اشْرَحِ الصُّوْرَةَ الّتِي تَعْرِضُها الآيَةُ لأهْوالِ يوم القيامةِ .

٢ـ مَنِ الَّذينَ تَغُرُّهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا ؟ ولِماذا لا يَغْتَرُّ المُؤْمِنُ بِها ؟

٣ـ مَا المُرادُ بِالغُرورِ في الآيةِ ـ بضمِ الغَيْنِ ـ ؟ ولِماذا التَحْذيرُ مِنْهُ ؟

٤ـ اذْكُرْ مَفاتِحَ الغَيْبِ المَذكورةَ فِي الآيةِ الأخيرةِ ، واسْتَشْهِدْ لهَا بحديثِ رسول اللهِ ﷺ .

ـ كَيْفَ تُوفِّقُ بَيْنَ إنزالِ اللهِ الغَيْثَ ونَشْرَةِ الأحْوالِ الجَويَّةِ عَنِ الأَمْطارِ ؟

ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ عِلْمِ اللهِ بمَا فِي الأرْحامِ وتَعيينِ الأطبَّاءِ نَوْعَ الجَنينِ ذكراً أوْ أُنثَىٰ ؟

نَشاطٌ :

١ـ تَحدَّثَتْ سُورةُ عَبَسَ عَنِ الصَّاخَّةِ ، حَيْثُ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أقْرَبِ النَّاسِ إليْهِ . سَجِّلِ الآياتِ الّتِي تَحدَّثَتْ عَنْ ذلكَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهَا الأشْخاصَ الّذينَ يَفِرُّ مِنْهُمْ الإنسانُ ، وسَببُ ذلكَ .

٢ـ هذهِ المَفاتِحُ الخَمْسَةُ مَذكورةٌ مُجْمَلَةٌ في سُورةِ الأنْعام ، وفَسّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ آيةَ سورةِ الأنْعام بآيةِ سورةِ لُقْمانَ . سَجِّلْ آيَةَ الأنْعام المُتَحدِّثَةِ عَنْ مَفاتِحِ الغَيْبِ ، ثمَّ سَجِّلْ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ في تَفسيرِها بالآيةِ الرابعةِ والثلاثينَ .

٣ـ الغَيْنُ في آيةِ الدّرْسِ مَفتوحةٌ « الغَرور » بينَما هِيَ فِي آيةِ سورةِ النِّساءِ مَضْمومَةٌ « غُروراً » . ارْجِعْ إلىٰ أحدِ مَعاجمِ اللُّغةِ ، وسَجِّلْ في دَفْترِك الفَرْقَ بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثون

سُورَةُ السَّجْدَةِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ السَّجْدةِ مَكِّيَّةٌ ، وسُمِّيتْ بهٰذا الاسْمِ لأنَّ إحدَىٰ آياتِها أخبَرتْ عَنْ سُجودِ المُؤْمنينَ لله .

وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقْرأُ سورةَ السَّجْدةِ فِي الرَّكْعةِ الأولَىٰ مِن صَلاةِ فَجْرِ يَوْمِ الجُمُعةِ ، ويَقْرَأُ في الرَّكعةِ الثّانيةِ سورةَ الإنْسانِ .

ومَوْضوعُ السُّورَةِ تقريرُ حقائقِ العَقيدةِ ، وإثْباتُ وَحْدانيَّةِ اللهِ ونُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ واليوْمِ الآخِرِ ، وتُخْبرُ عَنْ صِفاتِ المُؤْمنينَ ونَعيمِهِمْ ، وتَعْرِضُ نَماذجَ مِنْ أَفْعالِ اللهِ فِي الوُجودِ ، تَدلُّ علىٰ قُدْرةِ اللهِ وحِكْمَتِهِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

ٱلْكِتَابِ	ٱلقُرْآنِ .
لَا رَيْبَ فِيهِ	لا شَكَّ فِي أَنَّ ٱلقُرْآنَ كَلامُ ٱللهِ .
ٱفْتَرَاهُ	اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ ٱلقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَنَسَبَهُ إِلىٰ ٱللهِ .
ٱلْعَرْشِ	هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقاتِ ٱللهِ .
يَعْرُجُ إِلَيْهِ	يَصْعَدُ ٱلأَمْرُ إِلَيْهِ .

التفسير :

افْتُتحَتِ السّورةُ بالأحْرُفِ المُقطَّعةِ ، ثمَّ قرَرتْ أنَّ القُرْآن كلامُ اللهِ ، وردَّتْ علىٰ شُبُهاتِ الكُفّار ضدَّهُ ، وعَرَضتْ دَلائِلَ علىٰ وَحْدانيَّة اللهِ ، منْ خَلْقهِ للسّموات والأرْضِ واسْتِوائه علىٰ العَرْشِ ، وتَدبيرِهِ أَمْرَ الكَوْنِ ، وعِلْمِهِ بكلِّ ما فيه .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

هذهِ هي السُّورةُ السَّادِسَةُ المُفتتحةُ بالأحْرُفِ الثّلاثةِ المُقطّعة : ألفْ . لامْ . ميمْ .

وهذهِ الحروفُ المُقطَّعةُ في افْتتاحِ بعْضِ السُّورِ لِتحدّي المُشْرِكين بالقُرْآنِ ، ومُطالبتِهمْ بالإتْيانِ بمِثْلِهِ ، وعندَما يَعْجزونَ عَنْ ذلك يَثْبُتُ أنّ القرآنَ كَلامُ اللهِ .

وبَعْدَ الأحْرُفِ المُقطَّعةِ جاءَ تقريرُ حَقيقتَيْن : الأولى : أنّ القُرْآن ليْس فيه ما يُوجبُ رَيْباً أيْ شَكّاً ، لأنْ أَخْبَارَهُ صِدْقٌ كُلُّها وأحْكامُهُ عَدْلٌ كُلُّها . والثّانيةُ : أنّه منْ رَبِّ العالمينَ ، والحَقيقتانِ مُتَلازمتانِ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

اللهُ يُقرِّرُ أنَّ القُرْآنَ كلامُهُ ، لا رَيْبَ فِيهِ ، والكُفّارُ لا يَأْخذونَ بكلامِ اللهِ ، ويَزْعُمون أنَّ مُحَمّداً ﷺ اخْتلقَهُ منْ عِنْدِهِ . والآيةُ تَذْكُرُ شُبْهَتَهُمْ ثمَّ تَنْقُضُها .

يقولُ اللهُ : بلْ إنَّ الكفّارَ يَقولونَ زُوراً وبُهْتاناً : مُحَمّدٌ اخْتلقَ القُرْآنَ ، وألّفَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، ونسبهُ إلىٰ اللهِ كَذِباً وافْتراءً .

ويواسي اللهُ رَسولَهُ مُحَمّداً ﷺ ويرُدُّ تُهْمَةَ الكُفّارِ الباطلة ، ويقولُ لهُ : إنَّ القُرْآن هُو الحقُّ منْ ربِّك ، أوْحىٰ بهِ إليكَ ، فالكُفّارُ كاذبونَ ظالمون في اتّهامِهِمْ لك .

واللهُ جَعَلكَ نَبيًّا رسولاً ، وأنزلَ عَليْكَ القُرْآنَ ، لِتُنْذِرَ العالمين وتُخوّفهُمْ العذابَ ، وتبدأَ بإنْذارِ قوْمِك مِنْ قُرَيْشٍ ، وهُم لَمْ يأتِهِمْ رَسولٌ مِنْ قَبْلِكَ ، ولَعلّهُمْ يقبلونَ دَعْوتَكَ ، ويُؤثّرُ فيهم إنْذارُكَ ، فَيُؤْمِنونَ ويَهْتدون إلىٰ طريقِ الحقِّ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

بَعدما أثْبَتَ اللهُ النُّبوّةَ والرّسالةَ ، وأنَّ القُرْآن كلامُهُ ، وأنّ رسولَهُ نذيرٌ للعالمينَ ، ذَكرَ أَساسَ

دَعْوَتِه ﷺ لِلنّاسِ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَبْدأَ بالدّعوة إلىٰ وَحْدانيّةِ اللهِ ، ويُقيمَ الدّلائلَ علىٰ ذلِكَ .

إنَّ اللهَ هوَ الخالِقُ لِكُلِّ شيْءٍ ، وبدأَ خَلْقَ السّمواتِ والأَرْضِ مِنَ العَدَمِ ، وأوْجَدَهُما في سِتَّةِ أيامٍ ، واللهُ أعْلَمُ بمقدارِ هذه الأيامِ ، فإنهُ من الغَيْبِ الّذي لا نَعْلَمُهُ .

واللهُ خَلَقَ عَرْشَهُ ، وهُوَ أعْظَمُ مَخْلوقاتِه واسْتَوىٰ عَلَيْهِ ، اسْتِواءً يَليقُ بِعَظَمَتِهِ سُبحانَهُ ، وَلاَ نَعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتِوائِهِ لأنّنا لا نُحيطُ عِلماً باللهِ ، ولا تُدرِكُهُ أبْصارُنا .

واللهُ لَهُ الأَمْرُ والحُكْمُ ، يَتولّى أُمورَ النّاسِ ، ولَيْسَ لهُم مِنْ دُونه وَلِيٌّ يلي أُمورَهُمْ ويَنْصُرَهُمْ ، ولا شَفيعَ لهُم عِنْدَ اللهِ ، إلاّ بإذنِهِ سُبْحانه ، واللهُ هُوَ الوَليُّ والنّاصِرُ والمُعينُ .

وعلىٰ النَّاسِ أنْ يَتذَكَّروا هَذهِ الحقيقةَ ، ويَتدبّروها ويَتَّعِظوا بها ، لِيُؤْمنوا باللهِ وحْدَهُ .

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

اللهُ هُوَ الخالِقُ للسّمواتِ والأرْضِ ، وهُوَ المَلِكُ لهما ، يقومُ عليْهما ، ويُدبّرُ الأَمْرَ فيهما ، ويتنزّلُ أمْرُهُ مِنْ أعلىٰ السّمواتِ إلىٰ أقصىٰ تُخومِ الأرْضِ ، وتُنَفِّذُ المَلائِكَةُ أمْرَ اللهِ في تدبيرِ الأرْضِ وما فيها ، ثُمَّ يَصْعَدُ إليهِ سُبحانه أثَرُ أمْرِهِ وتنفيذُهُ ، تَصْعَدُ بهِ الملائِكَةُ .

وتُرْفَعُ الأُمورُ المُتعَلِّقةُ بالمَخْلوقينَ في الدُّنْيا ، صغيرُها وكبيرُها ، إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ لِيَفْصِلَ فيها ، ويَحْكُمَ في شأْنِها ، ويُحاسِبَ أصْحابَها ، ويَكونُ ذلكَ يَوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ يَبْعَثُ اللهُ النّاسَ ويُحاسِبُهُمْ ، ويُثيبُهُمْ أوْ يُعاقِبُهُمْ ، ويَوْمُ القيامةِ مقدارُه ألفَ سَنَةٍ مِنْ أيامِ الدّنيا الّتي نَعُدُّها في حَياتِنا .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾

اللهُ الّذي يَبْدَأُ أمْرَ المَخلوقِين علىٰ الأرْضِ وحَياتَهُمْ ، عالِمٌ بجميعِ الأشْياءِ ، يَعْلَمُ كلَّ ما غابَ عنِ الأبْصارِ مِمَّا يَجْهَلُهُ النّاسُ ، ويَعْلَمُ ما هُوَ مشاهَدٌ تُشاهِدُهُ الأبْصارُ .

واللهُ هوَ العزيزُ ، الّذي غَلَبَ كلَّ شَيْءٍ وقهَرَهُ وأَخْضَعَه لَهُ ، وهُوَ الرَّحيمُ يَرْحَمُ عِبادَهُ ، ويُنْعِمُ علَيْهِم ويُعْطيهِمْ ، ويُنَظِّمُ حَياتَهُمْ ويُدَبِّرُ أُمورَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الكفّارُ جاهِلونَ سُفهاءُ ، ولِذلكَ لا يُصدّقونَ اللهَ ، فاللهُ يُقرِّرُ أنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ ، وهُمْ يَقولونَ : مُحَمَّدٌ افترىٰ القُرْآنَ ونَحنُ مُرتابونَ فيه .

٢ـ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أيامٍ ، وهُوَ قادِرٌ علىٰ خلْقِها في لَحْظةٍ ؛ ولَعَلَّ في هٰذا دَعوةً لنا إلىٰ التّأَنّي فِي العَمَلِ وإتقانِهِ .

٣ـ اسْتوىٰ اللهُ علىٰ عَرْشهِ ، بما يَليقُ بجلالِهِ ، ولا نعْرِفُ كَيْفيَّةَ اسْتوائِهِ ، وعَلَيْنا الإيمانُ والتَّصْديقُ بهِ .

٤ـ اللهُ يُدبِّرُ الأمرَ علىٰ الأرْضِ ، ويُنَظِّمُ حياةَ النَّاسِ ويُحاسِبُهُمْ يَوْمَ القيامةِ .

٥ـ الأيامُ الغَيْبيَّةُ تَتفاوَتُ في طولِها عِنْدَ اللهِ ، فهُناكَ يَوْمٌ بألْفِ سَنَةٍ ، وهناكَ يَوْمٌ بخمسين ألفَ سَنَةٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا دَلالةُ الكَلامِ عَنِ القرآنِ بَعْدَ الحُروفِ المُقطّعةِ « ألم » ؟

٢ـ كَيْفَ تُوفِّقُ بيْنَ إنذارِ الرَّسولِ ﷺ لقومِهِ وعُمومِ رسالتِهِ للْعالَمينَ ؟

٣ـ مَا المُرادُ بالأيامِ السِّتَّةِ الّتي خَلَقَ اللهُ بها السَّمواتِ والأرْضَ ؟

٤ـ اذكُرْ معنىٰ الآيةِ الخامِسَةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ أسْماءَ السّوَرِ المُفْتَتَحةِ بالأحْرُفِ الثّلاثةِ : « ألم » .

٢ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الشّعراءِ يأْمُرُ اللهُ فِيها رَسولَه بإنْذارِ عَشيرتِهِ الأَقْرَبينَ ، وآيةً مِنْ سورةِ سَبَأ يُخْبِرُه بأنَّه رَسولٌ لِكافّةِ النَّاسِ ، ثمَّ اجْمعْ بيْنَ الآيتينِ .

٢ـ اكتُبْ فِي دفْترِكَ آيةً مِنْ سورةِ المعارجِ ، تُخْبِرُ أنَّ طُولَ ذلكَ اليَوْمِ خَمسونَ ألْفَ سنة ، ثمَّ اجمعْ بَيْنَها وبينَ الآيةِ الخامسةِ ، وأزلِ التّعارُضَ بيْنَهما . بعدَ مُراجَعتِكَ لبعضِ كُتُبِ التَّفسيرِ .

تَعلَّمْ :

سُئِلَ الإمامُ مالكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عنْ معنَىٰ قولِه تعالى : ﴿ثمّ اسْتوَىٰ علىٰ العَرْشِ﴾ فقالَ : الاسْتواءُ مَعْلومٌ ، والكَيْفُ مَجْهولٌ ، والإيمانُ بهِ واجبٌ ، والسُّؤالُ عنْه بِدْعَةٌ .

الدَّرسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الثَّاني

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** : أَتْقَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ .
- **نَسْلَهُ** : ذُرِّيَّتَهُ .
- **سُلالَةٍ** : نُطْفَةٍ مُسْتَلَّةٍ مَأْخوذَةٍ .
- **مَاءٍ مَّهِينٍ** : ماءٍ ضَعيفٍ ، وَهُوَ المَنِيُّ .
- **سَوَّاهُ** : صَوَّرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ ٱلإِنْسانِيَّةِ المُتَناسِقَةِ .
- **ضَلَلْنا فِي ٱلأَرْضِ** : بَلينا وَصِرْنا تُراباً ، وَتَحَلَّلَتْ أَجْسادُنا .
- **خَلْقٍ جَديدٍ** : نُبْعَثُ أَحْياءً مَرَّةً ثانِيَةً .
- **يَتَوَفَّاكُم** : يَقْبِضُ أَرْواحَكُم .
- **تُرْجَعونَ** : تُبْعَثونَ يَوْمَ القِيامَةِ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ خَلْقِ اللهِ لِلسَّمواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما ، وتَدبيرِهِ لِلْحَياةِ علىٰ الأَرْضِ وتَنظيمِها ، وعِلْمِهِ بكلِّ شَيْءٍ فهُو عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ .

وتتحدَّثُ الآياتُ عنْ خلْقِ اللهِ للإنسانِ ، وأطوار هٰذا الخلق .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾

اللهُ خالقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أحْسن كُلَّ شيْء خلَقَه ، وأحْكمَهُ وأتْقنهُ ، فجاءَ هٰذا المَخْلوقُ علىٰ أحْسَنِ صورَة ، وأفْضَلِ شيْءٍ ضبْطاً وتقْديراً . ويبدو هٰذا في خلْقِ السَّماء ونُجومِها وكَواكِبها ، وخلْقِ الأرْضِ وجبالِها وأنهارِها وأشْجارِها ، وخلْقِ الإنْسانِ وتصويره وتقديره .

كلُّ ما خَلَقَهُ اللهُ فهْو مُحْكَمٌ مُتْقَنٌ ، مُرَتَّبٌ مُنَظَّمٌ ، لأنّه لا خطأ ولا نقص في ما يفْعلُهُ اللهُ ، ولا تفاوتَ ولا تناقُضَ في مَا يَخْلُقُه اللهُ .

واللهُ الَّذي أحْسنَ وأتْقنَ خَلْقَ كلَّ شيء ، فعلَ ذلكَ بالإنسانِ ، حَيْثُ خَلقهُ في أحْسَنِ تقويم ، وفَضَّلَهُ علىٰ باقي المَخْلوقات ، وجَعَلَهُ خَليفةً في الأرْض .

وأوَّلُ إنْسانٍ مَخلوقٍ هُو آدمُ أبُو البشرِ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقدْ خلقَهُ اللهُ منْ طين ، ثُمَّ نَفَخَ فيه مِنْ روحِه فصارَ حيًا بإذنِ اللهِ .

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

بعدَ أنْ خَلقَ اللهُ آدمَ مِنْ طينٍ ، وخلقَ لهُ زوْجَهُ حوّاء ، زوّجَ الرّجالَ منَ النّساء ، وجعلَهُم يتكاثرُونَ ويَتناسلونَ عَنْ طريقِ التَّزاوُج .

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

وَنفخَ اللهُ في الإنْسان مِنْ روحِه ، فَصارَ إنْساناً حيّاً . وأنْعمَ اللهُ على الإنْسانِ بالحواسِّ لتَيْسير حياتِهِ ، وقيامِه بوَظيفتِهِ ، فمَنحهُ الأُذُن ليَسْمَع بها ، ومَنَحهُ العيْن ليرى بها ، ومنَحهُ الفُؤاد والقلْب ليُفكِّرَ ويَعِيَ وَيَتدَبّرَ ويعْتَبِر .

والأصْلُ في المَخْلوقينَ أنْ يعْترِفوا لله بالفضْلِ والمنّة فيحْمدوهُ ويشْكُروهُ ويَعْبُدوهُ ويذْكروهُ ، وأنْ يسْتَعْمِلوا تلكَ النِّعَم في ما يُرْضي الله .

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

المُشْرِكون يكْفرون بالبعْث ، وقدْ حدَّثنا اللهُ أنّهُمْ يتساءلون متعجّبينَ منْكرينَ ، ويقولونَ إذا صارَتْ أجْسامُنا تُراباً ، وتحَلّلتْ وامْتزجتْ بتُرابِ الأرْضِ ، هلْ منَ المعْقولِ أنْ تعود أجسامُنا حيّة ، وأنْ نَعودَ خلْقاً جَديداً ، وأنْ نكونَ أحْياء كما كُنّا في الدُّنيا ؟

وهُمْ في سُؤالهِمْ لإنكاريّ هٰذا يُنكِرونَ قُدْرةَ اللهِ المُطْلقة على فعْلِ ما يشاءُ ، ويكْفُرون بالبعْث

ويَوْم القيامةِ ، ويُنْكِرونَ لِقاءَ اللهِ لِلْحِساب ، وهٰذا كقولِه تعالىٰ : ﴿فَقالَ الكافِرونَ هٰذا شَيْءٌ عَجيبٌ. أإذا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً ذٰلِك رَجْعٌ بَعيدٌ﴾ [ق : ٢-٣] .

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾

هٰذا رَدٌّ مِنَ اللهِ علىٰ المُشْرِكينَ في إنْكارِهِمُ البَعْث ، يَأْمُرُ فيهِ رَسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ أنْ يقولَ لهُم : لِماذا تَسْتبعِدُونَ وتُنْكِرونَ البَعْثَ ، واللهُ هُو الّذي خَلَقَكُمْ ، وجَعلَ لَكُمْ عُمْراً مُحَدَّداً في الدُّنْيا ، وعِنْدَ حُلولِ آجالِكُمْ يَأْمُرُ مَلَكَ المَوْتِ بِقَبْضِ أرْواحِكُمْ ، فَيتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ ، وهُوَ المُوكَّلُ بِقَبْضِ أرْواحِكُمْ .

ولَيْسَ المَوْتُ هُوَ نِهايةُ كُلِّ شيْءٍ ، فإنَّ اللهَ سَيَبْعَثُكُمْ أحْياءً يَومَ القيامةِ ، ويُعيدُكُمْ إليهِ ، لِيُحاسِبَكُمْ علىٰ أعْمالِكُمْ ، فَيُجازي المُحْسِنَ بالجَنَّةِ ، ويُعاقِبُ المُسيءَ بالنَّارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١- أصْلُ النّاسِ واحِدٌ ، فَكُلّهُمْ لآدَم ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ ، وهُمْ يتفاضلونَ بالتَّقْوى .

٢- تَكاثُرُ النّاسِ في الأرْضِ بَعْدَ آدَمَ بالزَّواجِ .

٣- اللهُ حَكيمٌ في فِعْلِهِ ، وقدْ أحْسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ وأَتْقَنَهُ ، فلاَ تَفاوُتَ ولاَ تناقُضَ ولاَ خَطأَ في خَلْقِه .

٤- خَلَقَ اللهُ الإنْسانَ وسَوَّاهُ ومَنَحَهُ الحواسَ ، وحَفِظَهُ ورَعاهُ في كُلِّ مَراحِلِ حَياتِهِ .

٥- علىٰ الإنْسانِ أنْ يَشْكُرَ اللهَ علىٰ مَا آتاهُ مِنَ النِّعَمِ .

٦- عُقولُ الكُفَّارِ ضَيِّقَةٌ ولِهذا يسْتَبْعِدونَ البَعْثَ والحَياةَ بَعْدَ أنْ كانوا تُراباً .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلة الآتيةِ :

١- مَنِ الإنْسانُ الّذي خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طينٍ ؟ ومَنِ الّذي خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ ؟

٢- كَيْفَ أحْسَنَ اللهُ خَلْقَ الإنْسانِ ، واسْتَشْهِدْ علىٰ ذلك بآياتِ سورةِ الانْفِطار .

٣- مَا الواجِبُ عَلَيْكَ تِجاهَ النِّعَمِ الّتي أنْعَمَ اللهُ بها عَلَيْكَ ؟

٤ـ مَا معنَىٰ قولِ المُشْرِكِينَ : أإذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ إِنَّا لفِي خَلْقٍ جَديدٍ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ـ تعالَىٰ ـ .

نَشاطٌ :

١ـ سَجِّلْ في دَفْتَرِك الآيتَيْنِ (٣ـ٤) مِنْ سورةِ المُلْكِ ، واذْكرِ الشَّبَهَ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ السّابعةِ ، ومَا معناهُما بإيجازٍ ؟

٢ـ اسْتَخرجْ مِنْ سورةِ الانْفطارِ ثَلاثَ آياتٍ تَتَحدَّثُ عَنْ خَلْقِ الإنْسانِ وتَسويتِهِ وتَصويرِهِ ، وَبيِّنِ الخُطُواتِ الأَرْبَعِ الّتِي مَرَّ بهَا خَلْقُ الإنْسانِ ، واكْتُبْ ذَلِك في دَفْتَرِك .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَاكِسوا رُؤُوسِهِمْ : يَخفِضونَ رُؤوسَهُمْ وَيُطَأْطِئونها خجَلاً وَخِزْياً .

فَٱرْجِعْنا : فرُدَّنا وَأَعِدْنا إِلَىٰ ٱلحياةِ ٱلدُّنْيا .

مُوقِنونَ : مُؤْمنونَ ٱلآنَ بِيَوْمِ ٱلقِيامَةِ لِدَرَجَةِ ٱليَقينِ .

لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها : وَفَّقْنا كُلَّ نَفْسٍ لِلإيمان .

حَقَّ ٱلقَوْلُ مِنِّي : ثَبَتَ قَضائِي وَوَجَبَ .

ٱلجِنَّة : ٱلجِنِّ .

نَسِيناكُمْ : تَرَكْناكم مُعَذَّبينَ فِي جَهَنَّمَ .

عَذابَ ٱلخُلْدِ : عَذابَ جَهَنَّمَ الدَّائِمَ وأَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فيهِ .

تَتجافَىٰ جُنوبُهُمْ : تَتَنَحَّى وَتَرْتَفِعُ جُنوبُهُمْ عَنِ الفراشِ .

المَضاجِعِ : الفُرُشِ الَّتِي يَضْطَجِعونَ وَيَنامونَ عَلَيْها .

قُرَّة أَعْيُنٍ : نَعيمٍ تُسَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ .



التفسيرُ :

تحدَّثتِ الآياتُ السَّابِقةُ عَنْ خُضوعِ الإنْسانِ للهِ ، مُنْذُ ميلادِهِ إلى وَفاتِهِ ، ومعَ ذلكَ يَسْتَبعِدُ الكُفّارُ مَجيءَ يَوْمِ القيامة .

وتَتحدَّثُ هٰذه الآياتُ عَنْ مصيرِ كُلٍّ من المُؤْمنينَ والمُجْرِمينَ في الآخِرَة .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

كانَ الكُفّارُ في الدُّنْيا يُنكِرون مَجيء يَوْم القيامَةِ ، وعِنْدما يُبْعَثونَ في الآخِرةِ ، ويَروْنَ أحْداث يَوْمِ القيامةِ يُصابونَ بالخِزْيِ ، ويَطلبون العَوْدَةَ للدُّنْيا لِيُؤْمِنوا ويَعْملوا الصّالحات .

يقولُ اللهُ لِرَسوله ﷺ : لوْ رأَيْتَ مَشهَدَ المُجْرمينَ الكُفّار يَوْمَ القيامةِ لرأَيْت أَمْراً عَجيبا ، فإنَّهُمْ سيوقفونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ لِيُحَاسِبَهُمْ ، وسَيُنَكِّسونَ رُؤوسَهُمْ ويَخْفِضونَها خِزياً وذُلاًّ ونَدامَةً ، وسَيَقولونَ : يا رَبّنا ، لقَدْ كُنّا في الدّنْيا نَكْفُرُ بكَ ونَعْصيكَ ، لكنّنا الآنَ نَسْمعُ قولَكَ ونُطيعُ أَمْرَكَ ، بَعدَما أبْصَرْنَا ورأَيْنا أحْداثَ يَوْمِ القيامةِ ، ونحنُ نادِمون علىٰ ما عَمِلْناهُ في الدُّنْيا مِنْ جرائمَ ، فأَرْجعْنا يا ربِّ إلىٰ الحياة الدّنيا ، لِنَعْملَ الأعْمالَ الصّالحة الّتي تُرْضيكَ . ونَحنُ الآنَ مُوقنونَ بأنَّ يَوْمَ القيامةِ حقٌّ ، وأنَّكَ ـ وحدكَ ـ ربُّ العالَمينَ ، القادرُ علىٰ إحْياءِ النّاسِ وإماتَتِهم وبَعْثِهِمْ .

وهمْ كاذبون في تَعهُّدِهِمْ بالإيمانِ والاسْتقامةِ ، فَلوْ اسْتجابَ اللهُ لَهُمْ وأعادهُمْ لِلدُّنْيا لعادُوا لِلكُفْرِ مِنْ جديدٍ .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

لَوْ شاءَ اللهُ أنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ جَميعاً مِنْ دونِ اخْتيارٍ لَفَعلَ ، ولَخَلقَهُمْ مُؤْمنينَ بالإكْراه والاضْطرار ، لكنّهُ أرادَ أنْ يكونَ إيمانُ النَّاسِ في الدّنْيا باخْتيارِهِمْ ، فمَنْ أَرادَ الإيمانَ واخْتارَهُ فإنَّ اللهَ يُوَفِّقُهُ إليْهِ ويُعينُهُ عَليْهِ ، ومَنْ رَفضَ الإيمانَ فإنَّ اللهَ يُضِلُّهُ ويَطْمِسُ علىٰ قَلْبِه .

وقَضاءُ اللهِ النّافِذُ أنّه يَجْزي المُؤْمنَ بالجَنّةِ ، ويُعاقِبُ الكافرَ بالنّارِ ، وقدَّرَ أنْ يَمْلأَ جهنَّمَ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ كُفّارِ الإنْسِ والجِنِّ ، الّذينَ رَفضوا الإيْمانَ واخْتاروا الكُفْرَ .

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يملأُ اللهُ جهنَّم مِنْ كفارِ الإنْسِ والجنِّ ، وعِنْدَما يكونُونَ مُعذَّبينَ فِيها يُقالُ لَهُم مِنْ بابِ الذَّمِّ والتوبيخ : ذُوقُوا هٰذا العذاب فِي النَّارِ ، بسببِ تكْذيبكُمْ بيوْمِ القيامَةِ وإنكاركُمْ وقُوعَهُ ، وهٰذا أدَّى إلىٰ تناسيكُمْ لَهُ ، وتركِكُمْ الاسْتعداد لهُ ، وارْتكابكُمْ لِلْمُحرَّماتِ والمَعاصِي ، ولِذَلكَ سَيُعامِلُكُمْ اللهُ مُعامَلَةَ النَّاسي ، بأنْ يَتْركَكُمْ مُعذَّبينَ فِي جهنَّمَ ، تَذوقُونَ عذابها الدَّائِمَ ، مُخَلَّدينَ فيهِ ، بسببِ كُفْركُمْ وتكْذيبكُمْ وسُوءِ عملِكُمْ .

والنِّسيانُ بمعنىٰ عدمِ التذكُّرِ ، والسَّهْوُ نَقْصٌ يُنزَّهُ اللهُ عَنْهُ ، فهوَ عالِمٌ بكلِّ شَيْءٍ ، لا ينسَىٰ شيئاً ، ونِسْيانُه للكفَّارِ فِي جهنَّم بمعنىٰ تركُهُمْ مُعذَّبينَ فيها إهانةً واحْتقاراً لَهُمْ . قالَ تعالَىٰ : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم : ٦٤] .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ .

بعدَ الحديثِ عنْ عذابِ الكُفَّارِ فِي النَّارِ يأتِي الحَديثُ عَنِ المُؤْمِنينَ أَصْحابِ الجَنَّةِ ، وعنْ عِبادتِهِمْ فِي الدُّنيا .

يقولُ اللهُ : المُؤْمنون الَّذين يُؤْمنون ويُصدِّقونَ بآياتِ القُرْآنِ ، هُمْ الَّذينَ عندَما يُوعَظونَ ويذكَرونَ بها يَستمِعونَ ويَسْتجيبون لها ، ويَخِرُّونَ ساجِدينَ للهِ ، مُسَبِّحينَ حامِدينَ للهِ ، يقولُونَ : سُبحانَ اللهِ وبحمْدِه ، مُتذلِّلينَ خاضِعينَ لَهُ ، لا يَسْتكبِرُونَ عنْ عبادَتِه وطاعَتِهِ .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

ومِنْ أوْصافِ هؤلاءِ المُؤْمنينَ الصَّالحين أنَّهم يُصلُّونَ صَلاةَ التَّهجُّدِ فِي اللَّيْلِ ، حَيْثُ تَتجافي جُنوبُهُمْ عَنْ فُرُشِهِمْ ومَواضِعِ نَوْمِهِمْ بمعنى تَتباعَدُ ، فَيَهْجُرونَ النَّوْمَ والرَّاحةَ ، ويُبادِرونَ إلى الصَّلاةِ ، يَدْعونَ ربَّهُمْ ويتضرَّعونَ إليْهِ ، ويَخافونَ عَذابَه ، ويَطْمَعُونَ فِي جَنَّتِه وثوابِهِ .

وخارِجَ الصَّلاةِ يُحْسِنونَ إلىٰ عِبادِ اللهِ المُحْتاجِينَ ، ويُنفقونَ عليْهِمْ مِنَ الأمْوالِ والأَرْزاقِ الَّتي أنْعَمَ اللهُ بها عليْهِمْ .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

هؤلاءِ المُؤْمِنونَ الصَّالحونَ العابِدون للهِ فِي الدُّنيا يَنالونَ عِنْدَ اللهِ أَحْسَنَ الجَزاءِ ، حَيْثُ أعدَّ اللهُ

لَهُمْ مِنَ النَّعيمِ ما لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ ، وأَخْفاهُ عَنِ المَخْلوقينِ ، وحفِظَهُ لَهُمْ جَزاءً علىٰ حُسْنِ أَعْمالِهِمْ فِي الدُّنْيا ، ويُعطيهِمْ إيّاهُ لِتَقَرَّ أعْيُنُهُمْ وتَسْعدَ أَنْفُسُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكفّارُ يَغْشاهُمُ الذُّلُّ والخِزْيُ يَوْمَ القيامةِ لأَنَّهُم رَفضوا الإيمانَ .

٢ـ لو شاءَ اللهُ لَهدى النّاسَ جميعاً ، ولٰكِنَّهُ عَرَّفَهُمُ الهُدى ودَلَّهُمْ عليْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمنَ ومِنْهُم مَنْ كَفَرَ ، ومِنْهُم أَهْلُ الجَنّةِ ومِنْهُم أَهْلُ النّارِ .

٣ـ مَنْ تَرَكَ شَرْعَ اللهِ وغَفَلَ عَنْ لِقائهِ يُعاقِبُهُ اللهُ بالإهْمالِ والتَّرْكِ فِي العذابِ .

٤ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يَخْضعَ لله ، ولا يَكونَ مِنَ المُسْتَكْبِرينَ ، وعِنْدَما يُذَكَّرُ بآياتِ اللهِ يُسارِعُ بالسُّجودِ لله .

٥ـ المُؤْمِنُ حَريصٌ علىٰ قيامِ اللَّيْلِ ومُناجاةِ اللهِ ، وهَجْرِ الرّاحةِ ولَذّةِ النَّوْمِ ؛ طَلباً لِما عِنْدَ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ مَا الّذي يَطْلُبُهُ المُجْرِمون يَوْمَ القيامةِ ؟ ولماذا ؟ وهلْ هُمْ جادّونَ صادِقونَ فيهِ ؟

٢ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ الجَنَّةِ ـ بفتحِ الجيمِ ـ والجِنَّةِ ـ بِكَسْرِ الميمِ ـ ؟

٣ـ بِمَاذا تُفسِّرُ قَوْلَ اللهِ لِلْكُفّارِ : « إنّا نسيناكُمْ » ؟

٤ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أَرْبعةَ أعْمالٍ صالحةٍ يَعْمَلُها المُؤْمِنونَ في الدُّنيا .

٥ـ سَجِّلِ الحديثَ فِي ما أَخْفىٰ اللهُ لِلْمُؤْمنينَ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ في الجَنَّةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورةِ الأَنْعامِ آيتيْنِ تُخبِرانِ عَنْ طَلَبِ الكُفّارِ العَوْدةَ لِلدُّنْيا ، ولٰكِنَّهُمْ لَوْ أُعيدُوا لَعادُوا لِلْكُفْرِ ، واذْكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بَيْنَهما وبَيْنَ الآيةِ الثانيةَ عشرةَ ، واكْتُبْ ذٰلكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ فِي دَفْتَرِك السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ المندوب عَمَلُها عِنْدَ قراءةِ آيةِ السَّجْدةِ أَوْ سَماعِها .

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سورة الذّاريات الآياتِ الّتي تُثْنِي علىٰ الْمُؤْمِنين لِتَهَجُّدِهِمْ واسْتِغفارِهِمْ وصدقَتِهِمْ علىٰ الْمُحْتاجِين ، واذْكُرْ وجْه الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْن الآيةِ السّادسةَ عشرةَ ، واكْتُبْ ذلكَ فِي دَفْتَرِك .

٤ـ سجِّل الحديثَ الّذي يَذْكُرُ أنَّ اللهَ أعَدّ لِلْمُؤْمنين ما لمْ تر عَيْنٌ ، ولَمْ تَسْمعْ أُذُنٌ ، ولَمْ يَخْطُرْ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ .

* * *

الدَّرْسُ الخَامِسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَانَ فاسِقاً : كانَ كافِراً ، خارِجاً عَنْ شَرْعِ اللهِ .

لاَ يَسْتَوونَ : لاَ يَتَساوَىٰ المُؤْمِنونَ مَعَ الكافِرينَ .

جَنَّاتُ المَأْوَىٰ : جَنَّاتُ الإقامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتي لاَ ارْتِحالَ عَنْها .

نُزُلاً : تَكْريماً وَضِيافَةً .

مَأْوَاهُمُ النَّارُ : إقامَتُهُمُ الدَّائِمَةُ فِي النَّارِ ، وَلاَ ارْتِحالَ لَهُم عَنْها .

العَذَابِ الأَدْنَىٰ : العذابِ الأقْرَبِ وَهُوَ عَذابُ الدُّنْيا .

العَذابِ الأَكْبَرِ : عَذابِ جَهَنَّمَ العَظيمِ الدَّائِمِ .

التفسيرُ :

ذكَرتَ الآياتُ السَّابِقةُ بَعْضَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَفْعَلُها المُؤْمِنونَ ، مِنْ سُجودٍ وتَهَجُّدٍ وتَضرُّعٍ وتَصدُّقٍ ، وتَكْريمِ اللهِ لَهُم بالنَّعيمِ العظيمِ فِي الجَنَّةِ .

وتُبيِّنُ هذهِ الآياتُ عَدَمَ المُساواةِ بَيْنَ المُؤْمِنين والفاسِقينَ الكافرينَ ، لا فِي الصِّفاتِ ولاَ فِي الأعْمالِ ، ولاَ فِي المَصيرِ .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

النَّاسُ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : مُؤْمِنٌ باللهِ ورَسولِه ، مُطيعٌ للهِ ، مُنَفِّذٌ لأمْرِهِ ، مُسْتقيمٌ علىٰ طاعتِه ، وكافِرٌ باللهِ ورَسولِه ، فاسِقٌ خارجٌ عنْ طاعةِ ربِّه ، مُكَذِّبٌ بالحَقِّ ، مُرْتَكِبٌ لِلْمُحرَّمات .

هلِ المُؤْمِنُ مِثْلُ الفاسقِ ؟ وهلْ يَستوي الرَّجُلانِ ؟

الجوابُ بالنَّفي ، إنَّهما لا يَسْتويانِ ، لا فِي الصِّفاتِ ولا فِي الأفْعالِ ، ولا فِي الشُّعورِ ، ولا فِي الدُّنْيا ، ولا فِي الآخِرَةِ .

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

لا يستوي المُؤْمِنونَ والكُفَّار في الآخرَة ، فالمُؤْمنونَ يُكْرِمُهُمُ اللهُ بإدْخالِه جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ، ويَجْعَلُها مأوىً لهُم ، فيهَا قُصورُهُمْ وغُرَفُهُمُ التي يَأْوُونَ إليْهَا ويُقيمونَ فيها .

وهذهِ الجَنَّاتُ نُزُلٌ لَهُمْ وتَكريمٌ ، وجَزاءٌ وثَوابٌ ، مُقابِلَ أعْمالِهِمُ الحُسْنىٰ الصَّالحةِ الَّتي كانوا يَعْمَلُونَها فِي الدُّنْيا ، وهُمْ خالِدونَ فِيها ، يَسْتَمتِعونَ ويَتلذَّذون ويَتَنعَّمونَ .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ز

وإذَا كانَ المُؤْمِنونَ مُنَعَّمينَ فِي الجَنَّةِ فإنَّ الكَافِرينَ الفاسقينَ مُعَذَّبونَ في النَّارِ ، وإذا كانتِ الجَنَّةُ مَأْوىً لِلْمُؤمنينَ يُقيمُونَ فيها ، فإنَّ النَّارَ مأْوىٰ الفاسقينَ ، يَأْوونَ إليْها ويُقيمونَ فيهَا مُعَذَّبينَ .

وعِنْدَما يُصَبُّ عَليْهِمُ العَذابُ فيهَا يُحاولونَ أنْ يَخْرجوا منها لِينجوا مِنَ العَذابِ ، وكلَّما حاوَلوا أَعادَتْهُمْ ملائِكَةُ العَذابِ فيهَا بالرَّغمِ عَنْهُمْ ، فلاَ خُروجَ ولا نَجاةَ ولا موتَ لهُم فيها ولاَ حياةَ .

وعندَما يُعادون إلىٰ جهَنَّمَ ، يُقالُ لهُم : ذوقوا عَذابَ النَّارِ وتَحمَّلوهُ واحْترِقوا بهِ ، هٰذا العَذابُ الّذي كُنْتُمْ تُكذِّبونَ بهِ في الدُّنْيا ، وكُنْتُم تُنكِرون مَجيئَهُ ووقوعَهُ ، فماذَا تقولون الآنَ ؟ وهٰذا القَوْلُ يُقالُ لهُم مِنْ بابِ التَّوبيخِ والتَّأنيبِ ، لِيزدادوا حَسْرَةً .

قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : واللهِ إنَّ أيْديَهُمْ لَموثَقَةٌ ، وإنَّ أرْجُلَهُمْ لَمُقَيَّدَةٌ ، وإنَّ اللّهبَ لَيَرْفعُهُمْ ، وإنَّ المَلائِكةَ لَتَقْمَعُهُمْ .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

الكفَّارُ مُعذَّبونَ في النَّارِ عذاباً مُؤبَّداً ، لأنَّهُمْ أصرُّوا علىٰ الكُفْرِ ، وماتوا عَليْهِ ، وقَدْ أخْبَرَ اللهُ أنَّه سَيُعذِّبُهُم عَذاباً آخرَ مِنْ قَبْلِهِ ، وذلكَ فِي الدُّنْيا .

سَيُذيقُ اللهُ الكُفّارَ والعُصاة عذاباً فِي الدُّنْيا ، يَتَمَثَّلُ فيما يُوقِعُهُ بِهِمْ مِنَ الآفاتِ والمَصائِبِ والشَّدائدِ ، كالمَرَضِ والجُوعِ والفقْرِ والغَمِّ والألَمِ والقتْلِ والجَدْبِ ، وغيْرِ ذلك مِنْ صُوَرِ الابْتلاءِ وأَنْواعِهِ .

وهٰذا العَذابُ هُوَ العذابُ الأدنَىٰ ، وهُوَ عذابُ الدُّنْيا وهُوَ الأقَلُّ والمْحَدَّدُ ، يُعذبُهُمْ اللهُ بِهِ مِنْ أجْلِ أنْ تَسْتَيْقِظَ قُلوبُهُمْ ، فَيرْجِعوا إِلىٰ الإيمانِ والاسْتقامةِ ، ويَتخلَّوْا عنِ الكُفْرِ ، فإنْ لمْ يَرْجِعوا إِلىٰ الحَقِّ ، فإنَّ اللهَ سيَصُبُّ عَليْهِمُ العذابَ الأكْبَرَ فِي جَهَنَّمَ ، الّذي لنْ يخرُجوا منْهُ أبداً .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

الكافِرونَ مُعَذَّبونَ العَذابَ الأَدْنَىٰ والعَذابَ الأكْبَرَ لأنَّهم ظَالِمونَ مُجْرِمونَ مُعْرِضونَ عنْ آياتِ اللهِ ، ويُقرِّرُ أنَّه لا أحَدَ أشَدُّ وأقْبَحُ ظُلْماً مِنْ ذلكَ الظَّالم الّذي يُذَكِّرُهُ الأنْبياءُ والصَّالِحُون والعُلَماءُ بآياتِ رَبِّهِ القُرْآنيَّةِ ، الدَّالَّةِ علىٰ الحقِّ ، ولَكِنَّه يُعْرِضُ عنْها ويَتْرُكُها ويَتناساها ، كأنَّهُ لا يَعْرِفُها ، ويَبقَىٰ علىٰ كُفْرِه وإجْرامِهِ وضَلالِهِ .

واللهُ مُنْتَقِمٌ جَبَّارٌ ، يَنْتَقِمُ مِنَ المُجْرِمينَ الظَّالمينَ ، ويُعَذِّبُهُمْ بسَببِ ذلكَ ، فَيكونُونَ قَدْ خَسِروا الدُّنْيا والآخِرَةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الأَصْلُ عَدَمُ مُساواةِ الفاسِقينَ بالمُؤْمِنينَ ، وعَدَمَ تَفْضيلِ الفاسِقينَ علىٰ المُؤْمِنينَ ؛ لأنَّ المُؤْمِنينَ هُمُ الأكْرَمُ والأفْضَلُ عِندَ اللهِ ، ويَجِبُ أنْ يَكونُوا هٰكذا عِنْدَ عبادِ اللهِ .

٢ـ المُؤْمِنونَ مُخَلَّدونَ في نَعيمِ الجَنَّةِ جَزاءً وثَواباً لَهُمْ علىٰ أعْمالِهِمُ الحَسَنةِ فِي الدُّنْيا .

٣ـ النَّارُ مأوَىٰ الكُفّارِ ومُسْتَقَرُّهُمْ ، لا يَخْرُجُون منهَا ، ولا يُفتَّرُ عَنْهُمْ عَذابُها .

٤ـ كانَ الكُفَّارُ يُكذِّبونَ بعذابِ النَّارِ فِي الدُّنْيا فَعُذِّبُوا بِهِ ، وصَدَّقَ بِهِ المُؤْمِنونَ فأنجاهُمُ اللهُ منهُ .

٥ـ يُعَذِبُ اللهُ الكُفّارَ العَذابَ الأَدْنَىٰ فِي الدُّنْيا ، المُتَمَثِّلَ فِي المَصائِبِ والشدّائدِ ، فإنْ آمَنوا واسْتَقامُوا نَجَوْا مِنَ العَذابِ الأكْبرِ فِي الآخِرَةِ ، وإلاّ عُذِّبوا فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٦ـ الظُّلْمُ دَرجاتٌ أقْبَحُها التَّكذيبُ بآياتِ اللهِ والإعراضُ عَنْها .

٧ـ اللهُ عادِلٌ فِي انْتقامِهِ مِنَ الكُفّارِ ، لأنَّهُ يُعاقِبُهُمْ علىٰ ذُنوبِهِم ، ويُوقِعُ بِهِمْ نَتائجَ جرائِمِهِمْ .



أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ ـ لِماذا لا يسْتوي المُؤْمنونَ والكافِرون ؟ اذْكُرْ آيتيْنِ تُقرّرانِ ذَلك .

٢ ـ حَدِّدِ الفَرْقَ بيْنَ مأْوىٰ المُؤْمنينَ ومأوىٰ الكافِرينَ في الآخرَةِ .

٣ ـ ماذَا يُفْعَلُ بالكُفّارِ عِنْدَ محاولتِهِمْ الخُروجَ مِنَ النّارِ ؟ وماذا يُقالُ لهُمْ عندَ ذلكَ ؟

٤ ـ ما المُرادُ بالفاسِقينَ والمُجْرِمينَ المذكُورينَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ ومَا معنىٰ كلٍّ مِنَ الكَلِمَتَيْنِ ؟

٥ ـ يُعَذِّبُ اللهُ الكفّارَ بعذابيْنِ ، اذْكُرْهما ، وحَدِّدْ صِفَةَ كلٍّ منْهما ، ومَثِّلْ لِكُلٍّ واحِدٍ .

٦ ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ (رقم : ٢٢) أعْمالَ الكُفّارِ القبيحةِ الّتي اسْتَحقُّوا بها عَذابَ اللهِ .

نَشاطٌ :

١ ـ حقيقةُ عدمِ تساوِي المُؤْمنين والفاسِقينَ وردتْ فِي سُوَرٍ عِدّة . اسْتَخْرِجْ آيةً تُصَرِّحُ بذلكَ فِي سورةِ الجاثيةِ ، وآيةً أُخْرىٰ فِي سورةِ الحَشْرِ ، واكْتُبْهمَا فِي دَفْتَرِكَ .

٢ ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ الحَجِّ تُقرِّرُ أنَّ الكُفَّارَ يُعادون إلىٰ جَهنَّمَ كُلَّما أرادُوا الخُروجَ منْها ، وبَيِّنْ وجْهَ الشَّبهِ بيْنَها وبيْنَ الآيةِ العشرينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آتَيْنا مُوسَىٰ الكِتابَ : آتَيْنا مُوسَى التَّوْراةَ .

فِي مِرْيَةٍ : فِي شَكٍّ .

جَعَلْناهُ هُدًى : جَعَلْنا فِي التَّوْراةِ أَسْبابَ الهِدايَةِ .

يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ : يَقْضِي بَيْنَهُمْ .

التَّفسيرُ :

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ عَدَمِ المُساواةِ بَيْنَ المُؤْمنينَ والفاسِقينَ ، وتَتَحدَّثُ هٰذِهِ الآياتُ عَنْ موسَىٰ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ والتَّوارةِ والأَئِمةِ الصَّالِحينَ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ .

وتُبيِّنُ الآياتُ الصِّلةَ بَيْنَ موسَىٰ ومُحَمَّدٍ ـ علَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ والْتِقاءَ التَّوراةِ والقُرْآنِ علىٰ الحَقِّ ، وقيامَ الأئمةِ مِنْ بَنِي إسْرائيلَ بالدَّعوةِ إلىٰ الهُدىٰ .

وهيَ تَهْدِفُ إلىٰ تَثْبيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ وأَصْحابِه علىٰ الحَقِّ ، فَلَهُ فِي موسَىٰ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ أُسْوَةٌ ، ولِلصَّحابةِ فِي أَئِمةِ بَنِي إسْرائيلَ قُدْوَةٌ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ رَسولَه مُحَمّداً ﷺ أنّه آتَى موسَى ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ التَّوْراةَ ، وجَعَلَها هُدىً لِقَوْمِهِ ،

ويدعوهُ إلىٰ عدَمِ الشَّكِّ فِي لِقاءِ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامْ ـ والالْتقاءِ معهُ علىٰ الحقّ ، واتّفق القرآنِ مع التّوْراةِ علىٰ توْحيدِ الله .

وقدِ الْتقَىٰ رَسولُ اللهْ ﷺ موسىٰ ـ عليْهِ السَّلاَمْ ـ في لَيْلةِ الْمِعْراجِ ، حَيْثُ رحَّبَ بهِ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلام ـ في السَّماءِ السادسةِ ، وجَرَىٰ بيْنهُما حوارٌ حوْلَ الصَّلواتِ ، الّتي فَرَضَها اللهْ علىٰ المُسْلِمينَ .

والتقَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ موسَىٰ ـ عليْهِ السّلامُ ـ في الدّعْوةِ ، واتَّفقَ معَه فِي الحَقِّ ، فكلاهُما رَسولٌ بَعثَه اللهُ ، وكِلاهُما أَنْزَلَ اللهُ عَليْهِ كِتابَه ، وكِلاهُما دَعا إلىٰ الإيمانِ والعَقيدةِ ، وكِلاهُما واجَه أَذَىٰ الكافِرينَ .

وإذا كانَ موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ ثَبتَ وَصبرَ فَنَصَرَهُ اللهُ ، فلاَ بدَّ وأنْ يَثْبُتَ رسولُ اللهِ ﷺ وَيَصْبِرَ لِيَنالَ نَصْرَ اللهِ .

والكِتابُ الّذي أنْزَلَه اللهُ علىٰ مُوسىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ هُوَ التَّوْرَاةُ ، جَعَلَهُ اللهُ هُدىً لبنِي إسْرائيلَ ، وأَمَرَهُمْ بالالْتِزامِ بمَا فيهِ ، وتَطبيقِ أحْكامِهِ . لِكنَّهُمْ حرَّفُوهُ ، وأضافوا لهُ كلامَ أحْبارِهِمْ ، ولَكِنْ لا يجوزُ لنا العَمَلُ بهِ لِتَحْريفهِ ونَسْخِ اللهِ لهُ بالقُرْآنِ .

والتَّوْراةُ المَوْجودةُ الآنَ بيْنَ أيدِي اليهودِ ـ العَهْدُ القديمْ ـ لَيْستْ هُدىً ، وإنَّما هِيَ مُحرَّفةٌ ، مَمْلوءَةٌ بأكاذيبِ الأحْبارِ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

جعَلَ اللهُ التَّوْراةَ هُدىً لبنِي إسْرائيل ، ومَنِ اهْتدَى بها مِنْهُمْ كانَ مِنَ المُفْلِحينَ ، ومَنْ رَفَضَ الاهْتِداءَ بها كانَ مِنَ الخاسِرينَ .

وجَعَلَ اللهُ بنِي إسْرائِيلَ أئِمَةً في الخَيْرِ ، وقادةً يَدْعونَ قَوْمَهُمْ إلىٰ الإيمانِ والاهْتَداءِ والاسْتقامَةِ ، وقامَ هَؤلاءِ الأئِمَّةُ المُصْلحونَ بواجبِهِمْ فِي الدَّعْوَةِ إلىٰ اللهِ ، والأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وكانُوا أَئِمَةً دُعاةً بأمْرِ اللهِ وإذْنِهِ ، وتَوفيقِهِ وعَوْنِهِ .

وهمْ لمْ يَصيروا أئِمَةً هُداةً إلاّ بَعدَما صَبَروا ، كما أمرَهُمُ اللهُ ، صَبروا علىٰ طاعةِ اللهِ ، وعلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَ اللهُ ، وعلَى مَشَقَّةِ الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ ، وجَاهَدوا أنْفُسَهُمْ ، وقوُّوا هِمَمَهُمْ وعزائِمَهُمْ ، وبِذلكَ أدَّوا واجِبَهُمْ .

وهٰذا تَوْجيهٌ لِلصّحابةِ ، أَنْ يَقْتدوا بالأئِمةِ الصَّابرينَ الدُّعاةِ مِنْ بنِي إسْرائِيلَ ، فَيَصْبِروا ويَثْبُتوا ويدعُوا إلىٰ اللهِ ، لِيَكونوا أئِمَةَ هُدَىً ، يَهْدُونَ النَّاسَ بِدَعْوَتِهِمْ إلىٰ اللهِ .

لقدْ دلّتِ الآيةُ المُسْلمينَ علىٰ طريقِ الإمامةِ في الدِّينِ ، إنّها الصَّبْرُ واليقينُ ، فمَنْ لَمْ يُحقق الصَّبْرَ والتَّقوىٰ لَنْ ينالَ الإمامةَ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

ماذا فَعلَ بنو إسْرائيلَ بَعْدَ ذلكَ بأحْكامِ التَّوراةِ ؟ وبِمَا سَمِعوا مِنْ كلامِ أئمّتِهِمُ الدُّعاةِ الهُداة ؟

مِنْهُمْ مَن اسْتجابَ لَهُمْ ، واسْتَقامَ علىٰ شرْعِ اللهِ ، فكانَ مِنَ المُفْلِحين الفائزينَ ، ومنهم من رَفضَ دَعْوتَهُمْ ، واتّبعَ هواهُ ، فَضَلَّ عَنِ الهُدىٰ ، وكانَ مِنَ الخاسرين .

وقد اخْتلَفَ اليَهودُ في دينِهِمْ ، مِنْ بعْدِ مَا جاءَهُمُ الحَقُّ ، وانقَسموا إلىٰ شيَعٍ وأحْزابٍ مُخْتلِفةٍ . كُلٌّ مِنْها يزعمُ أنّه علىٰ الحَقِّ ، ويُكَفِّرُ غيْرَهُ .

ويُهدِّدُ اللهُ هٰذهِ الفِرَقَ والأحْزابَ المُخْتَلِفَةَ بالحِسَابِ والعَذابِ يوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ سَيبْعثُهُم جمَيعاً ، ثُمَّ يُحاسِبُهُمْ علىٰ أعْمالِهِمْ في الدُّنْيا ، وسَيَحْكُمُ ويَفْصِلُ بَيْنَهم ، ويُبيِّنُ لهُمُ الحقَّ فيما اختَلَفُوا فيهِ مِنْ مَسائِلِ الدِّينِ ، فَيُثيبُ مَنْ كانَ علىٰ صَوابٍ ، ويُعاقِبُ مَنْ كان علىٰ خطأ وضَلالٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَجبُ الإيمانُ بأنَّ التَّوْراةَ مُنَزَّلَةٌ علىٰ موسَىٰ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ولٰكِنَّ اليهودَ حَرَّفوها بعْد ذلك .

٢ـ التقىٰ مُحَمَّدٌ بموسَىٰ ـ علَيْهما الصَّلاةُ والسَّلاَمُ ـ حقيقةً فِي لَيْلة المِعْراجِ ، والْتَقىٰ مَعَهُ علىٰ أُصولِ الدِّين ، واتَّفَقا علىٰ الحقِّ ، لأنَّ الأدْيانَ والرِّسالاتِ تتَفقُ علىٰ الأُصول .

٣ـ الأئِمّةُ نَوْعانِ : أَئِمةُ هُدًى يَدْعونَ إلىٰ الخَيْرِ ، وأَئِمةُ ضَلالٍ يَدْعونَ إلىٰ النَّار .

٤ـ لا تُنالُ الإمامَةُ فِي الدّينِ إلاّ بالصَّبْرِ واليَقينِ والدَّعْوةِ إلىٰ الله .

٥ـ يَقْتدِي الدُّعَاةُ بالأنْبياءِ وبأَئِمةِ الهُدَىٰ مِنَ السَّابقينَ ، فيَثْبُتونَ على الحَقّ .

٦ـ التزامُ شَرْعِ اللهِ يَجْمعُ بَيْنَ النَّاسِ علىٰ الحَقِّ ، ومُخَالَفتُه تُؤَدّي إلىٰ الفُرْقَةِ والنِّزاعِ والخِلافِ .

٧ـ لَنْ يَتمَّ إنْهاءُ الخِلافِ إلاّ يَوْمَ القيامةِ ، حَيْثُ يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ المُخْتَلِفينَ ، فَيُثيبُ مَنْ كانَ علىٰ حَقٍّ ، ويُعاقِبُ مَنْ كانَ علىٰ باطِلٍ .



التَّقْوِيمُ :

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ـ أيْنَ الْتقَى مُحَمَّدٌ بمُوسَى ـ عليْهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ حَقِيقةً ؟ وأيْنَ الْتقَى معه فِي الدِّينِ ؟

٢ـ كانت التَّوْراةُ هُدى لبني إسْرائيل ؟

٣ـ الأئمَّة نوعانِ . اذْكُرْهُما ، ومَثِّلْ لِكُلِّ نَوْعٍ بمثالٍ .

٤ـ الإمامَةُ في الدِّينِ لها شَرْطانِ ؛ اذْكُرْهُما ، واسْتَخْرِجْهُما مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٥ـ متى يتِمُّ إنهاءُ الخلاف بَيْنَ الْمُخْتلفين ؟ وكَيْفَ ؟

٦ـ ماذا تقولُ فِي العَهْدِ القَديمِ المَوْجودِ عنْدَ اليهودِ ؟ وهَلْ هُمْ مُؤْمنونَ مُهْتَدونَ ؟ ولِماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقرأ الآيات (٧٥ـ٧٩) مِنْ سورةِ البقرةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهَا الأدِلَّةَ علىٰ تَحْريفِ اليَهودِ للتَوْراة ، واكْتُبْها في دفْترِكَ .

٢ـ اقرأ الآيَة (١٨٦) مِنْ سُورةِ آلِ عمْران ، واسْتَخْرِجْ مِنها تَوْجيهَ اللهِ لِلْمُسْلمينَ ، لِيَصْبِروا ويَتَّقوا ، واذكرْ وجْه الشَّبهِ بيْنَها وبيْنَ الآيةِ الرابعةِ والعشرين ، واكْتُبْ ذلكَ في دفْتَرِك .

٣ـ اقْرأ الآيات (١٢ـ١٤) مِنْ سورةِ المَائِدَةِ ، واسْتخْرِجْ مِنْهَا الخلافَ بَيْنَ فِرقِ اليَهودِ والنصارى ، وما بيْنَها مِنْ عداوةٍ وبغْضاءٍ إلىٰ يوْمِ القِيامَةِ ، واكْتُبْ ذلِكَ فِي دَفْترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ** : أَوَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ .
- **القُرونِ** : الأُمَمِ السَّابِقَةِ .
- **الأَرْضِ الجُرُزِ** : الأَرْضِ الَّتِي لا تُنْبِتُ . والجُرُزُ : هَوَ القَطْعُ والإِزالَةُ .
- **الفَتْحُ** : الفَصْلُ بِالحُكْمِ .
- **يَوْمَ الفَتْحِ** : يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ يَفْصِلَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِهِ .
- **وَلاَ هُمْ يُنظَرونَ** : وَلاَ يُؤَخَّرونَ وَلاَ يُمْهَلونَ .
- **أَعْرِضْ عَنْهُمْ** : اتْرُكْهُمْ وَلاَ تُبالِ بِتَكْذِيبِهِمْ .
- **وَانْتَظِرْ** : وَانْتَظِرِ النَّصْرَ أَوْ تَعْذيبَ الأَعْداءِ .

التَّفْسيرُ :

تَحَدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ إِثْباتِ الوَحْدانيَّةِ والنُّبوَّةِ والبَعْثِ ، وأَقامَتِ الأَدِلَّةَ علىٰ ذلك .

وتَتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ ذلكَ باعْتِبارِها خاتِمَةً لِلسورةِ ، وتَلْخيصاً لِمَوْضوعاتِها ، إِنَّها تَلْفِتُ

أَنظارَ المُشْرِكينَ إلىٰ الأدلَّةِ منْ واقعِ حياتِهِمْ ، الدَّالةِ علىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَتَرُدُّ علىٰ اسْتِبعادِ الكُفَّارِ لِلْبَعثِ وكُفْرِهِمْ بهِ .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) ﴾ .

تدعُو الآيةُ الكُفَّارَ إلىٰ مُلاحظةِ آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقينَ ، والاعْتبارِ بذلكَ ، وتُنْكِرُ عليْهِمْ عَدَمَ فِعْلِ ذَلكَ ، وتتساءلُ : أوَلَمْ يَتبيَّنْ لِهَؤُلاءِ الكُفَّارِ المُكَذِّبينَ إهْلاكُ الأقْوامِ السّابقينَ الكثيرينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، الّذينَ كَفرُوا وكَذَّبوا رُسُلَهُمْ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ ودَمَّرَهَمْ ، وَبَقِيتْ آثارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ ، وهُمْ يَمْشونَ فِي تِلْكَ المَساكِنِ ، ويُشاهِدونَ تِلْكَ الآثارَ ؛ كَمَساكِنِ وآثارِ عادٍ وثمودَ ومدينَ وقومِ لوطٍ ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ .

وفِي تِلْكَ المَساكِنِ والآثارِ آياتٌ ودَلائِلُ وَعِبَرٌ ، يَراها النَّاسُ فَيَتَّعظونَ ويَعْتَبرونَ وَيُؤْمِنونَ ، أفلاَ يَسْمَعُ الكفَّارُ آياتِ القرآنِ الّتي تَتَحدَّثُ عنْ ذلكَ فَيَعْتَبِرُونَ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) ﴾ .

تَلْفِتُ الآيةُ السَّابِقَةُ أنْظارَ الكُفَّارِ إلىٰ مَصارعِ السَّابقينَ لِمَعْرِفَةِ قُوَّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ علىٰ إهْلاكِ أعْدائِهِ ، وتَلْفِتُ هذهِ الآيةُ أنْظارَهُمْ إلىٰ دَليلٍ آخَرَ مِمَّا حَوْلَهُمْ ، يَدُلُّ علَىٰ وَحْدانيَّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ ورَحْمَتِهِ .

تقولُ الآيةُ : أوَلَمْ يُشاهِدِ الكُفَّارُ الأرْضَ حَوْلَهُمْ تَكونُ مَيِّتَةً يابِسَةً جَافَّةً ، لا نباتَ فيها ، فَيَسوقُ اللهُ إليْها الماءَ عَنْ طريقِ السَّحابِ والمَطَرِ ، فَيُحيِيها بَعْدَ مَوْتِها ، ويُخْرِجُ بِهِ النَّباتَ والزَّرْعَ ، وتُثْمِرُ بِهِ الأشْجارُ ، فَيَأْكُلونَ مِنْهُ الزَّرْعَ والحَبَّ والثَّمَرَ ، ويُطْعِمونَ أنْعامَهُمُ النَّباتَ والعَلَفَ .

أفلاَ يُشاهِدونَ هٰذا ، ويَعْتبرونَه دَليلاً علىٰ وَحدانيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، وعَلىٰ البَعْثِ يَوْمَ القيامَةِ ؟ فمَنْ أَحْيَا الأرْضَ بالنَّباتِ قَادرٌ علىٰ إحْياءِ النّاسِ مِنْ قُبورِهِمْ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) ﴾

لَمْ يَلْتَفِتِ الكُفَّارُ إلىٰ دَلالةِ إحْياءِ الأرْضِ المَيتةِ بالماءِ ، وإخْراجِ النَّباتِ ، علىٰ قُدْرَةِ اللهِ علىٰ إحْياءِ المَوْتَىٰ ، وبَعْثِ النَّاسِ يَوْمَ القيامةِ ، واسْتَمَرُّوا علىٰ إنْكارِ البَعْثِ .

وعندَما يُخْبِرُهُمُ المُؤْمِنونَ عَنْ يوْمِ البَعْثِ ، ويُسْمعُونَهُمْ آياتِ القُرْآنِ الّتِي تَتَحدَّثُ عَنْهُ ويُهدِّدونَهُمْ بالعذابِ ، يَزْدادُ الكُفَّارُ تَكْذيباً وإنْكاراً ، ويَقولونَ لَهُمْ باسْتبعادٍ : متىٰ يأتِي يَوْمُ

القيامةِ ، الّذي تزْعُمونَ أنَّ اللهَ يَفْتَحُ بيْننا وبيْنَكُم ، يَفْصِلُ ويَحْكُمُ ويقضِي ، إنْ كُنتُمْ صادِقينَ فِي زَعْمِكُمْ وإيمانِكُمْ بهِ ؟

ويأْمُرُ اللهُ المُؤْمنينَ أنْ يُجيبوا الكُفّارَ قائِلينَ ، يوْمُ الفتْحِ قادمٌ لا مَحالةَ ، وعِنْدما ترَوْنَ مشاهِدَهُ وأهْوالَهُ ستؤْمنونَ ، لكِنَّ إيمانَكُمْ لَنْ ينْفعَكُمْ ولَنْ يُقْبَلَ منْكُمْ ، لأنّه جاءَ فِي غيْرِ وقْتِهِ . وعِنْدَما تطْلُبونَ العوْدَةَ للدُّنْيا لِتُؤْمنوا وتُصْلحوا ، لَنْ يُسْتَجابَ لكُمْ ، ولَنْ يُؤَخرَ العَذابُ عنْكُمْ!

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

الكفّارُ يُنْكِرونَ يوْمَ الفتْحِ فِي الآخِرَةِ ، معَ أنَّه آتٍ ، ويُوجِّهُ اللهُ رَسولَه ﷺ إلىٰ أنْ يَتْرُكَ الكُفّارَ ، ولاَ يُبالي بهِمْ ، ويَستمرَّ علىٰ دَعْوَتِه وتَذكيرِه .

يقولُ اللهُ لهُ : أعْرِضْ عَنِ الكُفّارِ بَعْدَ دَعْوتِهِمْ ، وَلا تُبالِ بتكذيبِهِمْ ، ولاَ تُشْغِلْ نَفْسَكَ بِهِمْ ، ولا تَتوقَّفْ عَنِ الدّعْوةِ .

وانْتَظِرِ الفَتْحَ والنَّصرَ عَلَيْهِمْ ، فإنَّ اللهَ سَيَنْصُرُكَ ، ويَهْزِمُهُم أمامَكَ ، وهُمْ يَنْتَظِرونَ أنْ تَموتَ أوْ تُقْتَلَ . قال تعالَىٰ : ﴿أَمْ يَقولونَ شاعِرٌ نَتَربَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنونِ . قُلْ تَرَبَّصوا فإنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصينَ﴾ [الطور : ٣١-٣٢] .

ونَتيجةُ الانْتظارِ هِيَ النَّصْرُ مِنَ اللهِ لِلْمُؤْمنينَ ، والهَزيمةُ والإذْلالُ لِلْكَافِرينَ ، وفِي الآخِرَةِ الثَّوابُ والجَزاءُ لِلصَّالِحينَ ، والعِقابُ والعَذابُ لِلْكافرينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مُشاهَدَةُ آثارِ المُعذَّبين السَّابقينَ تَقودُ إلىٰ العِبْرةِ والعِظَةِ عِنْدَ المُؤْمنينَ .

٢ـ مِنَ الأدِلَّةِ علىٰ وحْدانيَّةِ اللهِ والبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ خُروجُ النَّباتِ بَعْدَ المَطَرِ .

٣ـ الكفَّارُ يُطْمَسُ علىٰ قُلوبِهمْ فَلا يَلْتَفِتونَ لِلدَّلائلِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، ولاَ يَعْتبرونَ بما جرَىٰ .

٤ـ الكُفّارُ يَتهكَّمونَ بالمُؤْمنينِ ، ويَسألونَهم أسْئلةً تَهَكُّميَّةً يَسْتبعِدونَ بها حقائقَ العَقيدةِ .

٥ـ يَوْمُ القيامَةِ هوَ يَوْمُ الفَتْحِ ، لأنَّ اللهَ يَحْكُمُ ويَفْصِلُ بَيْنَ المُؤْمنينَ والكُفَّارِ .

٦ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يُعْرِضَ عَنِ الكُفّارِ بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ ، فلاَ يَنْشَغِلُ بِهِمْ ، ولاَ يَتأَثَّرُ لِشُبُهاتِهِمْ .

٧ـ علَىٰ المُؤْمِنِ الصَّبْرُ والثَّباتُ علىٰ الحَقِّ ، وانْتِظارُ الفَرَجِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فإنَّ دينَ اللهِ ظاهِرٌ بإذْنِ اللهِ .



أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذْكُرْ أربعَ عِبرٍ ودَلالاتٍ تَخْرُجُ بِها عِنْدَ نَظَرِكَ فِي آثارِ المُعَذَّبينَ السَّابقين .

٢ـ لِماذا لا يَعْتَبِرُ الكُفَّارُ بِما يَرَونَ ويَسْمَعونَ ؟

٣ـ كيفَ تَجْعَلُ المَطَرَ والزَّرْعَ دَليلاً علىٰ البَعْثِ ؟

٤ـ لماذا سُمِّيَ يَوْمُ القِيامَةِ يَوْمَ الفَتْحِ ؟

٥ـ متىٰ يُعْرِضُ الدَّاعيةُ عَنِ الكُفَّارِ ؟ ولِماذا ؟

٦ـ مَا الَّذي يَنْتَظِرُهُ المُؤْمِنونَ ، ومَا الَّذي يَنْتَظِرُهُ الكافِرُونَ مِنَ الصِّراعِ بيْنَهما ؟ ولِمنِ العَاقِبَةُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ أسْماءَ سِتَّةِ مواقعَ أَثَرِيَّةٍ في بلادِ الشَّامِ ، واذْكُرْ خَمْسَةَ مَظاهِرَ لِلْعِظَةِ والاعْتبارِ يُمْكِنُ أنْ تُؤْخَذَ مِنْهَا ، واكْتُبْ ذلكَ فِي دَفْتَرِكَ .

٢ـ سَجِّلِ الآيتين (٢٨ـ٢٩) مِنْ سورةِ الأَنْعامِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بيْنَهُما وبيْنَ الآيةِ الثّامنة والعشرينَ .

* * *

المَراجعُ

١ـ تفسيرُ القرآنِ العظيمِ

الحافظُ عمادُ الدّينِ : إسماعيلُ بنْ كثيرِ الدِّمشقيّ .

٢ـ في ظلالِ القرآنِ

سيد قطب .

٣ـ تفسيرُ المَراغيِّ

لأحمدَ مصطفىٰ المَراغِيِّ .

٤ـ التفسيرُ الوسيطُ

مجمعُ البحوثِ الإسلاميةِ ـ القاهرةُ .

٥ـ تيسيرُ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ

لعبد الرحمنِ بنِ ناصرِ بنِ سعدِي .

٦ـ التفسيرُ المنيرُ

الدكتور وهبة الزحيلي .

٧ـ الجَامعُ لأحكامِ القرآنِ

أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ القرطبيُّ .

٨ـ أنوارُ التنزيلِ وأسرارُ التأويلِ

لناصرِ الدّينِ عبدِ اللهِ بن عمرَ البيضاويِّ .

* * *

